

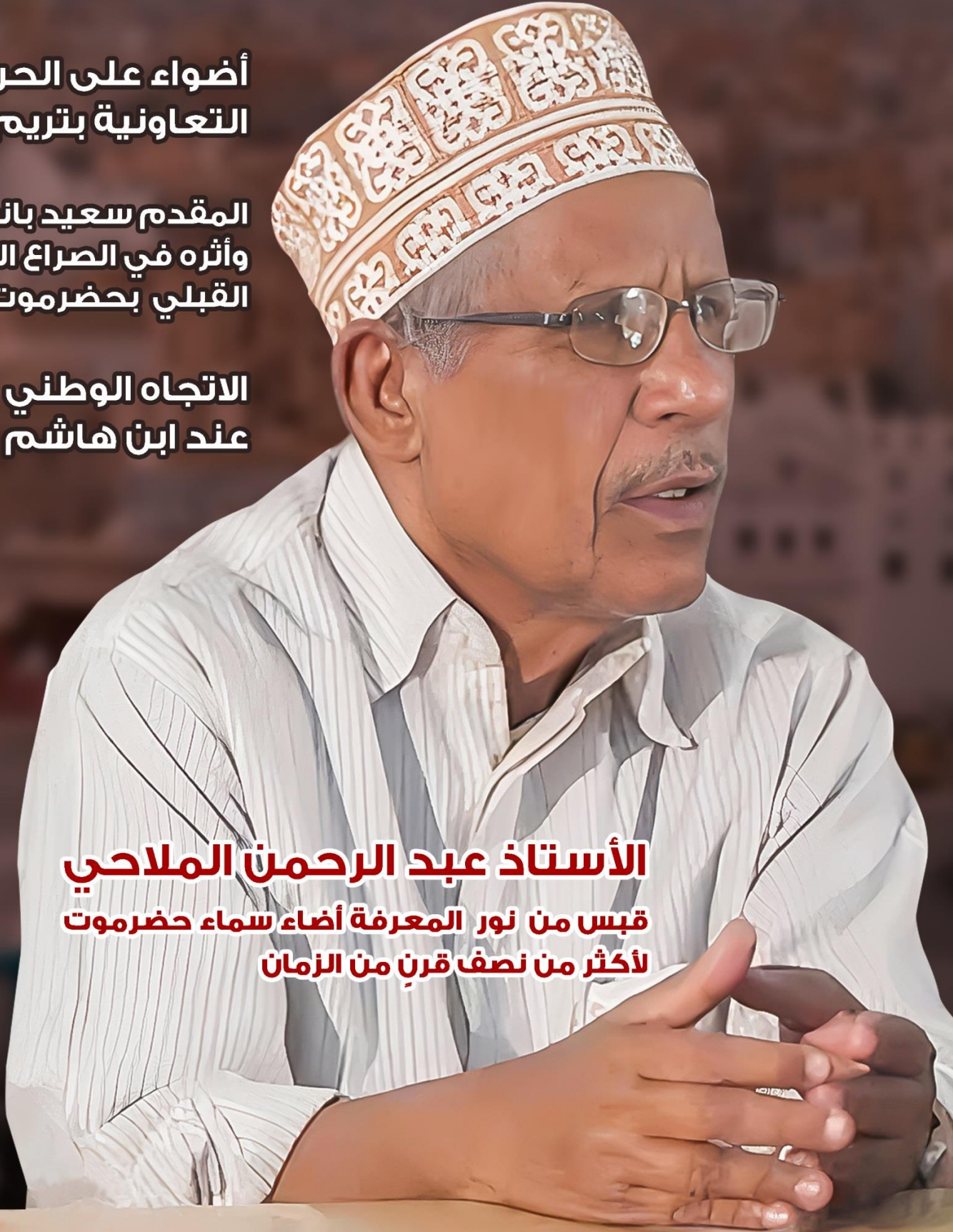
أضواء على الحركة
التعاونية بتريم

المقدم سعيد بانهيم
وأثره في الصراع القعيطي
القبلي بحضرموت

الاتجاه الوطني
عند ابن هاشم

الأستاذ عبد الرحمن الملاحي

قَبَسٌ مِنْ نُورِ الْمَعْرِفَةِ أَضَاءَ سَمَاءِ حَضْرَمُوتَ
لأكثر من نصف قرنٍ من الزمان





الفنان / محمد جمعة خان

(1903 – 1963م)

- مُحَمَّد جُمُعَة خان فنان وموسيقي حضرمي كان له دور كبير في تطوير اللون الغنائي الحضرمي وأدخل عليه الكثير من الألحان والإيقاعات.
- وُلِدَ لأب هندي وأم حضرمية، في قرية قرن ماجد وادي دوعن أيام السلطنة القعيطية ذات الارتباطات الوثيقة بالهند فكان والده أحد أعضاء فرقة الشاوش في الهند، وهي فرقة عسكرية هندية أصول أفرادها القديمة من حضرموت.
- نشأ في أسرة فنية وأنضم إلى جوقة الفرقة السلطانية ودأب على الاستماع إلى أغاني المصريين وتقاسيم العود التي كانوا يعزفونها فكانت ثقافته الموسيقية ذاتية.



كتابة وسائل التواصل الاجتماعي



د. عبد القادر علي باعيسى
رئيس التحرير

مجذراً، فلغة الكاتب ممزقة ولغة الآخر المحاور له ممزقة أيضاً، ومن ثم لا مجال للتواصل بينهما.

نحن إذاً أمام حال من النطق الصامت، وإذا ما اتسقت فكرة معينة بين مجموعة من المسهمين، وأخذت تتنامى دخل عليها من يقلبها رأساً على عقب، ويجد له العشرات من المؤيدين، فلا تتسقى الفكرة إلى النهاية بقدر ما يتسقى الاضطراب، فيدورون حول المعرفة كما يدور الوثنيون حول الصنم لا يفقههم، ويرون أنهم واعون بما يقولون، وأنه يفهمهم، فأغلب ما لدينا في وسائل التواصل الاجتماعي هو على هذا الشكل التواصل، من غير أن يكون معروفاً على أي طريقة من طرق التواصل، فهو تواصل انعزالي حتى لو كان في إطار مجموعة واحدة.

ومسألة القراءة والكتابة مسألة في غاية التعقيد، وبما أن الإرسال متعدد الاتجاهات يضطرب الأمر على القارئ الخالي الذهن كما يقول القدماء، فلا يعرف كيف يتكون ثقافياً، ومن ثم يصعب عليه التواصل ثقافياً بثقة تامة، فيظل رهين الاتجاهات جميعاً، أو بينها، ومن هنا ينشأ الاختلاف الشديد بينه وبين نفسه، وبينه وبين الآخرين، ويريد مع هذا أن يظل متميزاً بينهم فلا يستطيع، ويغدو تأثيره ضعيفاً في أي اتجاه ذهب، ومن الطبيعي أن يطير من ذهنه - في هذه الحالة - وضع التفكير العميق فضلاً عن الدخول في مناقشة القضايا المعقدة التي تقوم على دراية، ومتابعة مستمرة، وتأمل.

في وسائل التواصل الاجتماعي ينطلق كل من الموقف الذي يراه في فضاء مفتوح تنعدم فيه الموضوعة المركزية أو الأساسية لأي مشروع أو اتجاه، فكل يقرأ في مساحات واسعة متنوعة ومتقاطعة من الكلام، وكل يكتب وفق الطريقة التي تحلو له، فهذه الوسائل (وسائل التواصل الاجتماعي) وسائل قراءة وكتابة، وهذه ميزتها وإشكالياتها في الوقت نفسه، يكتب كل فيها بلغته الخاصة بدءاً من اللغة الفصحى إلى الفصحى إلى اللهجات العامية إلى أساليب لا يمكن نسبها إلى أي لهجة أو لغة، فلا يفهم سوى الشكل الظاهري للكلمات أشبه بالكلمات المتقاطعة التي لا يربطها معنى متماسك، وما يحدث مع الآخر - المخاطب هو نوع من المقاربة البعيدة، ومن ثم نكون بمواجهة أبعاد أشد من الأبعاد الدراماتيكية، فلا يجد القارئ في تلك الكتابات السريعة والمضطربة كلاماً شافياً وعميقاً، ولا مؤصلاً

محتويات العدد

أعضاء

الشيخ صالح سعيد بن علي الحاج أحد مقادمة الجيش القعيطي
(مع وثائق عن الجيش غير النظامي تُنشر للمرة الأولى)



أ. د. علي صالح الخلاقي

ص 17

الاتجاه الوطني عند ابن هاشم

د. أحمد باحارثة

ص 25



أعضاء على الحركة التعاونية بترميم
في ستينيات القرن العشرين الميلادي
جمعيتا (المزارعين) و(العمال) أنموذجاً



صالح مبارك عصبان

ص 37

حضر مؤثر الثقافة

مجلة فصلية

السنة الثامنة العدد (30)

أكتوبر - ديسمبر 2023م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراستات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ. د. عبدالله سعيد بن جَسَّار الجعدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

التنفيذ الطباعي

مطبعة وحدين الحديثة للأوقست

الهيئة الاستشارية

أ. د. عبدالله حسين البار

أ. د. عبدالله صالح بابعير

أ. د. ناجي جعفر الكثيري

أ. د. مسعود سعيد عمشوش

أ. د. خالد يسلم بلخشر

د. حسن صالح الغلام العمودي

د. طه حسين الحضرمي

د. أحمد سعيد عبيدون

د. صادق عمر مكنون

- المواضيع المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

- ترتيب المواد جاء وفق ضوابط فنية إخراجية.

- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة لتسليمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر. ولا تتلزم بنشر المقالات المرسلة إليها بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

hadcenter1@gmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

لننوا: المكلا - حي الشهيد - (معهد باشراف سابقاً) - ت. ٢٥٠١٢٥

الطبقية والسياسة

دراسة للتحوّل السياسي في بلدة
حريضة في الجنوب العربي

أ. د. عبدالله سعيد بن جيسار الجعدي

ص 52



في ذكرى رحيله العاشرة
الأستاذ عبدالرحمن الملاحي
قبس من نور المعرفة
أضاء سماء حضرموت
لأكثر من نصف قرن من الزمان

حاوره/ صالح حسين الفردي

ص 57



حضرموت أرض العلماء الأفاضل
ابن عبيد الله السقاف
عالم لا يضاهاى

د. محمد صالح بلعفير النهدي

ص 68



المقدم سعيد بانهميم
وأثره في الصراع
القعيطي القبلي
بحضرموت

د. محمد سالم باحمدان

ص 75



ص 80

ملاحظات عن بعض عمليات الاستيعاب والابتكار
في لغة حضرموت وثقافتها خلال تاريخها القديم



أليسيا بريوليتا (Alessia Prioleta) ترجمة: د. خالد عوض بن مخاشن

حديث البداية

• كتابة وسائل التواصل الاجتماعي... د. عبدالقادر علي باعيسى - رئيس التحرير... 3

أضواء

- الحضارة في الفلبين... د. أبوبكر حسين مقيبيل... 29
- السيف النقاد شاعر مجهول... مفيد فهد نيزو... 49

دراسات

- أسلوب البناء فالهدم في رسم ملامح الصورة الحضرمية (أرضاً وإنساناً)
قراءة في سياق الوصف التصويري للمجتمع الحضرمي عند (مايبل بنت) (ج. ٢). 95
- د. زهير برك الهويل

كتابات

- بين مثاليين... سليمان مطران... 104
- أدبية نازمة تسأل الحافظ السقاوي... طارق بن محمد العمودي... 106
- الصوت الذي يشبهني... عمّار باطويل... 109
- الأديب والباحث عبدالرحمن الملاحي... سالمين سعيد بنقح... 110

إبداع

- مرثاة في وفاة الشيخ أمين سعيد باوزير (قصيدة)... حسين عبدالله بامطرف... 112
- حفلة (سرد)... صالح بحرق... 113
- (أنغاعاً كالطفل) (قصيدة)... أكرم بن عبدالكريم بايماني... 113

توقيع قلم

- "قرب حطبك وماك ورزقك على مولاك"... د. عبدالله سعيد بن جيسار الجعدي... 114

دراسة للأحوال الاجتماعية والاقتصادية

ص 89

في محمية عدن



ترجمة: نجيب سعيد باوزير

تأليف: دورين إنجرامز



المحافظ بن ماضي يزور مركز حضرموت للدراسات التاريخية ويشيد بدور المركز في تعزيز دور الثقافة في حضرموت

ويمارس مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر نشاطه في مجالات الدراسات والبحوث التاريخية والترجمة والتوثيق والنشر، ويخصص من نشاطه العلمي حيزاً كبيراً لدراسة تاريخ حضرموت وحضارتها وأعلامها، ويستمد أهدافه من الإرث التاريخي والحضاري العميق لحضرموت وذلك بإعادة إحيائه، وتنشيط الحركة البحثية، وتقديم مرجعية ذات موثوقية، ورفد المجتمع بالمعارف

aut Centre for Historical Studies
mentation and Publication.



إعلام المركز/ خاص

زار محافظ محافظة حضرموت أ. مبخوت مبارك بن ماضي مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق مؤكداً أن ثقافة التعريف بالتاريخ وتوثيقه وإبرازه تعد أحد أهم الأعمدة في تشكيل الوعي وتعزيز الهوية لاستشراف المستقبل وصنع موقف موحد وقوي قادر على اتخاذ القرار انطلاقاً من إرث وحضارة ومساحة ومقدّرات حضرموت.



والعلوم والبحوث والدراسات ذات الصلة، والسعي لتعميق الفكر، وغرس السلوكيات النبيلة، والإسهام مع الجهات ذات العلاقة في تجميع الوثائق التاريخية المتعلقة بحضرموت وحصرها والعناية بها وأرشفتها وإنشاء جوائز ثقافية سنوية والإشراف عليها.



وخلال الزيارة شكر رئيس المركز البروفيسور عبدالله سعيد بن جَسَّار الجعدي، ونائب رئيس المركز مدير دائرة الإعلام والثقافة الدكتور عبدالقادر علي باعيسى، وأعضاء اللجنة العلمية بالمركز، دعم ومساندة المحافظ لنشاطات المركز واهتمامه بالجانب الثقافي.

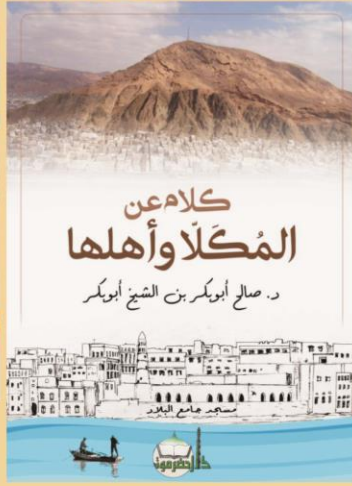




ندوة عن كتاب (كلام عن المكلا وأهلها) بنادي متطوعون



د. صالح أبوبكر بن الشيخ أبوبكر
مؤلف الكتاب



خاص/ إعلام المركز:

نظم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بالتنسيق مع دار حضرموت للدراسات والنشر والتوزيع مساء يوم الخميس ٣٠ / ١١ / ٢٠٢٣م في نادي (متطوعون) بالمكلا ندوة ثقافية عن كتاب (كلام عن المكلا وأهلها) للدكتور صالح أبوبكر بن الشيخ أبوبكر أسهم فيها الأساتذة د. عبده عبدالله بن بدر و د. عبدالقادر علي باعيسى و د. محمد سالم باحمدان و أ. عمر عبدالعزیز بن عقيل و أ. محمد عوض محماس.

وتناولت الأوراق المقدمة في الندوة مناحي مختلفة من الكتاب أسهمت في إثرائه بالقراءات ووجهات النظر، وقد



د. عبده بن بدر د. عبدالقادر باعيسى د. محمد باحمدان أ. عمر بن عقيل أ. محمد محماس

عبر د. بن الشيخ أبوبكر عن سعادته بهذا الصدى والتفاعل الذي تركه كتابه سواء في أنفس الأساتذة القراء أو المتدخلين الذين قدموا ملاحظاتهم، هذا وقد أدار الندوة أ. د. عبدالله سعيد الجعدي، وحضرها جمع غفير من الأساتذة والمثقفين.



مركز حضرموت للدراسات التاريخية

ينفذ المؤتمر العلمي الخامس (التاريخ والمؤرخون الحضارمة

في النصف الأول من القرن العشرين) بمدينة سيئون

إعلام المركز/ خاص:



نفذ مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر المؤتمر العلمي الخامس (التاريخ والمؤرخون الحضارمة في النصف الأول من القرن العشرين) بمدينة سيئون برعاية وكيل المحافظة لشؤون الوادي والصحراء الأستاذ عامر سعيد العامري، وبشراكة مع جامعة سيئون، وشارك فيه ١١ عنواناً متنوعة المواضيع على عدد من الجلسات، و ٣ مداخلات.



وفي مستهل المؤتمر رحب رئيس المركز أ.د. عبدالله سعيد الجعدي بالحاضرين من مسؤولين وأساتذة أكاديميين وباحثين ومثقفين ومهتمين، وقال: إن فكرة سلسلة المؤتمرات التي تبناها المركز بتناول دراسة نصف قرن من الزمان ترمي فيما ترمي إليه إلى وضع إطار أفقي عام يمكن من خلاله مستقبلاً تناول موضوعات راسية أو أكثر تركيزاً، ثم إن هذه الخمسين عاماً التي يعنى بها هذا المؤتمر قابلة - كما هو معروف للمختصين - لأن تستوعب قضايا تاريخية خصبة لعشرات المؤتمرات والندوات ومئات المحاضرات وحلقات النقاش، فنحن نضع أحجاراً في المياه الساكنة لتحفيز حركتها وتشجيع تدفقها.





وفي كلمة السلطة المحلية التي ألقاها أ. الحكم سالم يسلم بن شرمان نيابة عن أ. عامر سعيد العامري إن السلطة المحلية تشجع مثل هذه المؤتمرات التي تثري معرفتنا بحقبة زمنية مهمة بكثير من تفاصيلها، والاستفادة من العناوين التي تم اختيارها في هذا المؤتمر لترسم لهذا الوطن المستقبل الذي نرجوه. واختتم المؤتمر بتوصيات قرأها نائب رئيس المركز مدير الإعلام والثقافة د. عبدالقادر علي باعيسى، أوصت في عمومها بالاستفادة من عبر التاريخ ومجرباته لبناء واقع ومستقبل برؤى واعية متفاعلة، وتكريم المسهمين في إنجاح المؤتمر والمشاركين فيه.



سيئون تحتضن فعالية الأبعاد الثقافية والاجتماعية في الأمثال الحضرية لمركز حضرموت للدراسات التاريخية



إعلام المركز / خاص:

احتضنت سيئون فعالية (الأبعاد الثقافية والاجتماعية في الأمثال الحضرية) التي نفذها مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بالشراكة مع نادي المعلم بسيئون بتاريخ ١٩ أكتوبر ٢٠٢٣م.

تحدث في الندوة أ.د. عبدالله سعيد الجعدي رئيس مركز حضرموت في جانب الفعالية التاريخية معرجاً على نقاط عديدة تمثلت في الفرق بين القول المأثور والمثل، وعن فكرة المثل وتطورها في مختلف الشعوب وارتباطها بالبيئة الاجتماعية للإنسان.

وتحدث د. عبدالقادر باعيسى في ورقته التي أخذت بعداً سيميائياً عن أحد عشر مدلولاً تنبثق عن المثل الحضرمي الذي

بين الكناية والأمثال التي اختلطت لدى المجتمع، مضيفين إلى الندوة بمدخلاتهم وملاحظاتهم واستفساراتهم التي أجاب عنها المتحدثون في الندوة.



يقول (كل ذرة وكل سكر) في أبعاد مختلفة بين الإيجاب والسلب.

وتداخل العديد من الحضور في خلال الندوة عن أهمية الأمثال وتغييرها للسلوك الإنساني وارتباطها بحياتنا بشكل عام، وعن مدى الفرق



اللجنة العلمية بالمركز تجتمع للتباحث

حول أنشطة المركز العلمية للربع الأخير من العام 2023م



الحضارمة في النصف الأول من القرن العشرين

إعلام المركز / خاص:

اجتمعت اللجنة العلمية بمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر للاطلاع والتباحث حول أنشطة المركز للربع الأخير للعام ٢٠٢٣م ومن أبرزها استعراض الأبحاث المقدمة للمؤتمر العلمي الخامس (التاريخ المؤرخون

محاضرة في شبام عن مآثرات الزراعة في حضرموت ينفذها مركز حضرموت للدراسات التاريخية



إعلام المركز / خاص:

نُفذت في مدينة شبام ٢٣ / ١ / ٢٠٢٤م محاضرة علمية بعنوان (من مآثرات الزراعة في حضرموت) بالشراكة بين مركز حضرموت للدراسات التاريخية ومنتدى شبام الثقافي ألقاها أ.د. رزق سعد الله الجابري تناولت العديد من المآثر في الزراعة وربطها بالأشعار والشواهد والأمثال والدلائل العلمية التي كان يسترشد بها المزارعون منذ زمن قديم حتى اللحظة، مبيناً بعض المعلومات عن النجوم الشبامية التي عرفها المزارعون ومدى ارتباطها بنوعية

المحصول ووقت التغير المناخي.

حضر المحاضرة عدد من أعيان المدينة والشخصيات الثقافية والمزارعون والمهتمون.





وفد مركز حضرموت يزور عدداً من مدارس وثانويات مديرية شبام



إعلام المركز / خاص:

زار وفد مركز حضرموت للدراسات التاريخية ضمن ترتيباته لانعقاد ندوة شبام في عهد ازدهارها التجاري في مدينة شبام التاريخية في شهر فبراير القادم عدداً من مدارس وثانويات مديرية شبام وأهدى عدداً من الإصدارات والكتب الخاصة بالمركز لإثراء روح الاطلاع والمعرفة عند الطلاب.

وفي ثانوية عائشة للبنات رحب المدير أكرم الحبشي بالزيارة التي سبق التنسيق لها منذ فترة وطاف بوفد المركز للمكتبة وأطلعهم على عدد من الأنشطة.



وفي ختام الجولة تم زيارة أول مدرسة نظامية في وادي حضرموت (مدرسة عبدالله بن سميث) برفقة مدير عام مديرية شبام أ. طارق فلهوم ومدير المدرسة أ. عبدالله بن حازم.



حضر الزيارة أ.د. عبدالله بن جيسار رئيس المركز، ود. عبدالقادر باعيسى نائب رئيس المركز، وأ.د. رزق الجابري عضو اللجنة العلمية بالمركز، وأ. عوض حسان أحد وجهاء مدينة شبام التاريخية وثقفيها.

وفي زيارتهم لثانوية شبام للبنات قال نائب المدير ردفان بن كده إن المدارس اليوم بحاجة إلى كثير من الكتب والمحاضرات التي تقوي لغتهم العربية وتعزز لديهم مستوى الفكر في معرفة الكثير من المعلومات الحياتية، واعتبر الكتب التي تصدر من مركز حضرموت إضافة نوعية إلى مكتبة أ. عوض حسان بالثانوية.



متابعات انعقاد ندوة شبام في عصر ازدهارها التجاري الشهر القادم



إعلام المركز/ خاص:

عقد لقاء صباح يوم الأحد الموافق ٢١ / ١ / ٢٠٢٤م بمدير مديرية شبام أ. طارق طالب فلهوم لمناقشة التنسيق والإجراءات لتنظيم ندوة شبام في عصر ازدهارها التجاري التي ستنفذها مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر في نهاية الشهر القادم فبراير برعاية السلطة المحلية بوادي وصحراء حضرموت.

وتأتي هذه الندوة نظراً لأهمية شبام تاريخياً وتجارياً ولزخم المعلومات الكثيرة التي تحتاج إلى توثيق علمي ودراسات خاصة في مجالات عدة عاصرتها شبام حضرموت.

وفي خلال الجلسة رحّب مدير عام المديرية بهذه الخطوة العلمية التي سيصدر بعدها كتاب من عدة أبحاث علمية تخص موضوع الندوة، وقدم كافة التسهيلات التي من شأنها أن تسهم في نجاح برنامج الندوة مع البرنامج الثقافي والتراثي الموازي مع الحرص على التغطية الإعلامية التي من شأنها أن توصل هذه الندوة لأهدافها العلمية المرجوة.

وقال أ.د. عبدالله بن جيسار الجعدي رئيس المركز إن هذا الكرم بالاستقبال والاهتمام بالثقافة يطمئنا بأن المسيرة والرسالة التي نقوم بها في المركز تسير في أمان واختيارنا لمدينة شبام للمرة الثانية حرص منا على أن نقدم ما نستطيع لهذا المعلم والمكان التاريخي الذي نجول في مقدمته فقط ولا زال أماننا الكثير لهذه المدينة.

حضر اللقاء د. عبدالقادر باعيسى نائب رئيس المركز مدير الإعلام والثقافة، وأ.د. رزق الجابري عضو اللجنة العلمية بالمركز، والدائرة الإعلامية وعدد من الإدارة التنفيذية بالسلطة المحلية مديرية شبام.



مركز حضرموت يعلن عن ندوة (شباب في عصر ازدهارها التجاري) من مدينة شبام التاريخية



إعلام المركز خاص

أعلن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر اليوم في مدينة شبام التاريخية بين أعيانها وشخصياتها الاعتبارية عن إقامة ندوة في مطلع العام القادم ٢٠٢٤م بعنوان (شباب في عصر ازدهارها التجاري) في لقاء أقيم بالمركز الحرفي لتنمية المجتمع بتنسيق من أ. عوض حسان.

منه لأجيال قادمة بوصف شبام عاصمة حضرموت الاقتصادية في فترة زمنية ماضية.

بعد ذلك تداخل عدد من الحضور بإبداء آرائهم حول محاور الندوة وتقديم مقترحات أضافت إلى محاورها.

وقال د. عبد القادر باعيسى النسخ الحضاري العميق موجود في شبام من خلال ما سمعناه من مداخلات قيمة جعلت منا نفكر في أبعاد جديدة لهذه الندوة التي تزيدنا إيماناً بخصوصية الشخصية الشبامية التي توارثت النباهة والتميز في مجالات كثيرة. وفي ختام اللقاء تداخل عدد من الحضور بإبداء الرأي حول الندوة واعطاء اقتراحات أضافت إلى محاور الندوة.

وتحدث أ.د. عبدالله الجعيد عن هذه الزيارة بوصفها حقاً لأهل شبام بأن يكونوا شركاء مع المركز في إبداء الرأي للوصول إلى نتيجة تخدم شبام لنفسها وشباب حضرموت والوطن أجمع، حاثاً الأهالي في تزويد الباحثين بالوثائق المتعلقة بعنوان الندوة حتى تكون الندوة كتاباً تاريخياً يستفاد



عقد لقاء تشاوري مع د. مراد باعلوي لترجمة بعض الدراسات والإصدارات الروسية إلى العربية



إعلام المركز / خاص:

عقد لقاء مع الأستاذ المساعد بقسم العلوم السياسية بجامعة حضرموت د. مراد باعلوي بمركز حضرموت للدراسات التاريخية، وفي خلال اللقاء تم الاتفاق مع الدكتور باعلوي على ترجمة بعض الكتابات والإصدارات باللغة الروسية إلى العربية في خطوة لتعزيز المكتبة العربية

بالمعلومات الجديدة لاسيما ما يتعلق بالتاريخ الحضري.



التحضير لمهرجان امرئ القيس في مدينة الهجرين



وجرى خلال اللقاء مناقشة التصور العام
لبنود المهرجان وكيفية تنفيذها ووضع المقترح
الأولي باللجنة التحضيرية العليا للمهرجان
لرفعه إلى المحافظ.



إعلام المركز/ خاص:

في إطار توجيهات محافظ محافظة حضرموت
الأستاذ مبخوت مبارك بن ماضي بإقامة
مهرجان امرئ القيس الثقافي - الهجرين ٢٠٢٤م
قامت الأستاذة عبير محمد الحضرمي مدير
مكتب وزارة الثقافة بساحل حضرموت بزيارة
إلى مركز حضرموت للدراسات التاريخية
والتوثيق والنشر بهذا الشأن، استقبلها خلالها
في مكتبه أ.د. عبدالله سعيد الجعدي رئيس
المركز، ود. عبدالقادر علي باعيسى نائب
رئيس المركز مدير إدارة الثقافة والإعلام.

مدير العلاقات العامة بتلفزيون حضرموت

يزور مركز حضرموت للدراسات التاريخية لبناء علاقة تعاون مشترك

حضرموت في الاهتمام بالثقافة والتاريخ الحضرمي،
وزيارته للمركز الشهر المنصرم، مؤكداً حرص
التلفزيون على هذا التعاون باعتباره إضافة لمحتوى
التلفزيون ومؤكداً ترحيب رئيس قطاع تلفزيون
حضرموت أ. مجاهد بن علي الحاج وحرصه على
هذا التعاون.



من جانبه رحب مدير مركز حضرموت أ.د.
عبدالله الجعدي بالزيارة التي ستثمر في تحقيق
الكثير من الأهداف التي يعمل عليها المركز في
إيصال رسالته ورؤيته بهذا التعاون الجديد
ومدى أهميته.



إعلام المركز/ خاص:

زار مدير العلاقات العامة بتلفزيون حضرموت
أ. ايمن باحميد مركز حضرموت للدراسات
التاريخية والتوثيق والنشر لبحث أوجه التعاون
مع المركز بعد توجيهات محافظ محافظة

مناقشة كتاب "دور مؤسسة الأمل للتنمية في دعم التعليم في مديرية بروم ميفع"

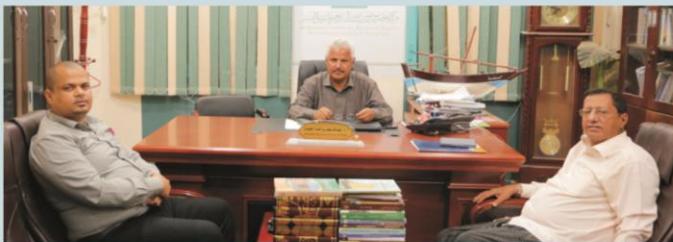


واشتملت الجلسة على تقديم عام عن الكتاب للأستاذ عبدالعزيز باحسون تلا ذلك قراءة الكتاب وتحليل تفاصيله والملاحظات عليه قدمها أ. د. سالم عبدالله باصريح وأ. درزق سعد الله الجابري وأثر ودور المؤسسة منذ نشأتها في تقديم الكثير من الخدمات التي حسنت من جودة التعليم والتنمية في مديرية بروم ميفع.



إعلام المركز/ خاص:
نوقش مساء يوم السبت ٣٠ / ١٢ / ٢٠٢٣ م، كتاب دور مؤسسة الأمل للتنمية في دعم التعليم في مديرية بروم ميفع بالتنسيق مع مركز حضر موت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بحضور أ. علوي أحمد الحامد نائب مدير مكتب التربية والتعليم بساحل حضر موت ود. عبدالله مهدي باقروان مدير مؤسسة الأمل للتنمية - بروم، وأ. د. عبدالله سعيد الجعدي رئيس مركز حضر موت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر وأ. قائد البهيشي مدير مكتب التربية والتعليم بالمديرية وعدد من الأساتذة والمهتمين بالشأن التعليمي.

مركز حضرموت للدراسات التاريخية يهدي جامعة سقطرى عدداً من إصداراته من الكتب ومجلة حضرموت الثقافية



الذي نتعامل به مع الجامعات والمدارس يصب في أهداف المركز ورسالته التي نعمل عليها منذ التأسيس.

أهدى مركز حضر موت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر عدداً من إصداراته من الكتب ومجلة حضرموت الثقافية بحضور أ. محسن باقطينان الموفد المكلف من رئيس الجامعة أ. د. نديم العزيبي.

وقال أ. د. عبدالله الجعدي رئيس المركز إن هذا التعاون

الشيخ صالح سعيد بن علي الحاج أحد مقادمة الجيش القعيطي

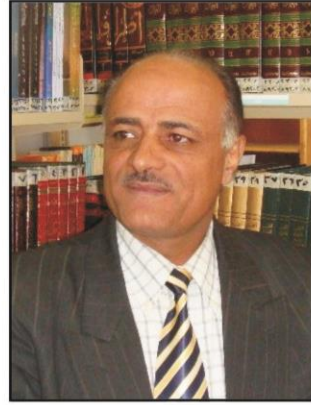
(مع وثائق عن الجيش غير النظامي تُنشر للمرة الأولى)



قلت له:

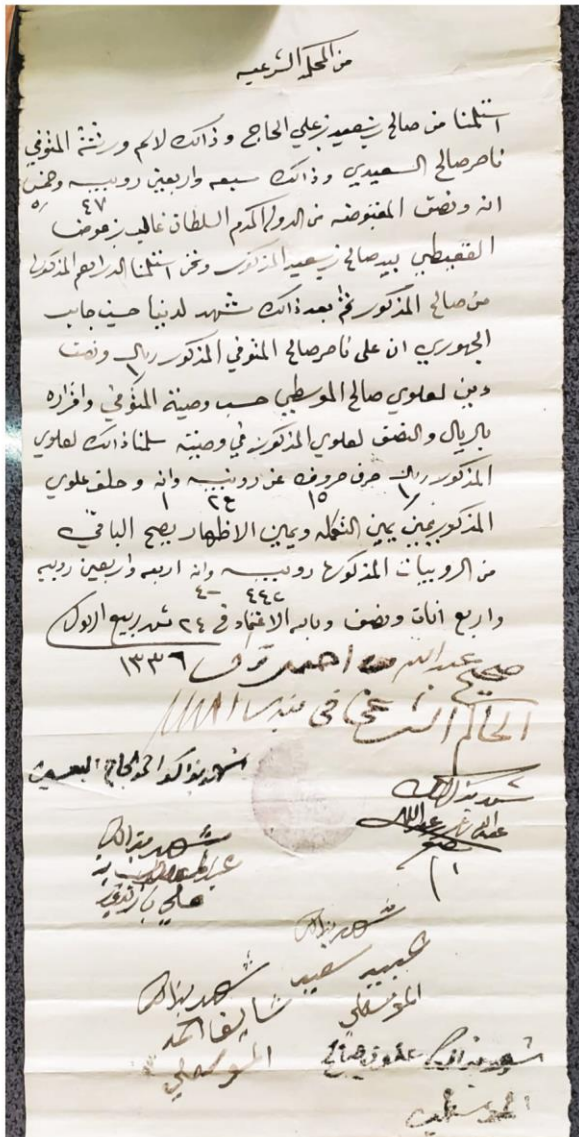
- بكل تأكيد... إنها ليست مجرد كشوفات عادية بالنسبة للباحث والمؤرخ، وإنما وثائق تاريخية ستكشف لنا بعض الجوانب العسكرية، كالرواتب، وأسماء العسكر، ومكانتهم في السلطنة القعيطية.

قلت له ذلك لإدراكي أن كثيرًا من وقائع تاريخنا المعاصر ما زالت مجهولة وغير واضحة؛ لانعدام المصادر والوثائق الأصلية، التي تؤرخ لتلك الأحداث في حينها، فبسبب تعاقب الدول والتبدلات السياسية تضع وثائق الدول المنتهية أو تتعرض للإهمال. هكذا كان حال الدولة القعيطية بعد الاستقلال؛ إذ فقد الكثير من وثائقها، وتعرض أرشيفها للإهمال، وربما للطمس من قبل سلطة الجبهة القومية بعد الاستقلال الوطني ١٩٦٧م، مثلما طمست هي -أي الدولة القعيطية- كذلك وثائق الدولة الكسادية بعد أن قضت عليها، وكما تُدين تدان.



أ.د. علي صالح الخلاقي*

عندما فتح مٌضيفي الشابُ النبيلُ عبدالناصر صالح بن علي الحاج صناديقَ وثائقِ أسرَتهم، ذات الصلة بالأحداث العامة والخاصة في يافع وحضر موت والهند، لتصويرها في قريرتهم (ريد-بيافع)، قال لي: هناك دفتر قديم فيه كشوفات بأسماء العسكر ورواتبهم في السلطنة القعيطية، هل ستحتاجها؟!.



ولعل من محاسن الصدف أن بعض الوثائق الخاصة بالتاريخ العسكري للسلطنة القعيطية قد حفظها لنا الأرشيف الأسري لآل علي الحاج، وهم أسرة أثيلة المجد، تنتشر في يافع في موطنهم الأصلي قرية (ريد)، وفي حضر موت تنتشر أعدادهم أضعافاً مضاعفة عما في يافع، حيث تتوزع مواطنهم بين الوادي والساحل، وأكبر تجمع لهم في حضر موت هو في مشواهم المسمى باسمهم (ساحة آل علي الحاج) في مديرية القطن، في وادي حضر موت، ولهم وجود له حضور كبير في المكلا، وفي غيل باوزير، كما أنهم ينتشرون في الديس الشرقية والشحر وبروم والهجرين، إضافة إلى وجودهم واستقرارهم في عُمان وفي المهجر الهندي وشرق أفريقيا، وفي دول الخليج وغيرها من بلدان العالم. ولهم حضورهم الواضح في تاريخ حضر موت المعاصر، فقد برزت منهم شخصيات عسكرية وإدارية والأدبية ورجال قضاء وشعراء. وتحلى دورهم بشكل أكثر وضوحاً في عهد السلطنة القعيطية التي تبوأ فيها عدد من شخصيات هذه الأسرة مواقع مرموقة مدنية وعسكرية، ممن تركوا سيرة عطرة، وبصمات مشرفة في مسيرة حياتهم، وغادرنا البعض وغادر دنياه دون أن نعرف عنهم شيئاً.

ومن هؤلاء الشيخ صالح بن سعيد بن علي الحاج الحوثيري الموسطي اليافعي، أحد الشخصيات العسكرية والاجتماعية المهمة، التي تنقلت بين يافع وحضر موت والهند، وفي كل مكان وجد فيه كان حضوره قوياً ومؤثراً، وحظي بمكانة عظيمة ومنزلة رفيعة لدى سلاطين الدولة القعيطية، ولدى مشايخ يافع وسلاطينها، ولم نكن لنعرف عنه شيئاً - مثله مثل كثيرين أمثاله - لولا دلالة الوثائق التاريخية عليه والشواهد الخاصة به التي حفظها لنا أرشيف أسرهم.

فمن هو الشيخ صالح سعيد بن علي الحاج؟

هو الشيخ صالح بن سعيد بن سالم بن سعيد بن عبدالله بن صلاح بن علي الحاج، كما دون اسمه الكامل بخطه الجميل في

عدد من الكتب والمؤلفات التي كان يمتلكها شخصياً، وما زالت محفوظة في حقيبة خاصة، وكذا وجود الختم الخاص به، برسم (المحتاج صالح بن سعيد سالم علي الحاج)، وهو مصنوع من النحاس سنة ١٣٣٣ هجرية/ الموافق ١٩١٥ م، وهناك ختم آخر يختصر اسمه الثلاثي فقط من غير لقب الأسرة، وبالعامة نفسه أيضاً، فضلاً عن كثرة الرسائل الموجهة إليه من عليّة القوم في عصره ومخاطبتهم له بتبجيل وتوقير واحترام، مما ينم عن مستوى ثقافته وعُلو كعبه في العلم وأمانته، فضلاً عن رفيع مكانته الاجتماعية كشيخ لقومه، ومصلح اجتماعي، في مسقط رأسه يافع، أو في مهجره الهندي أو في حضر موت.

سنة		علي حبيب
١	١٢٧١	علي بن حبيب
٢	١٢٧٢	علي بن حبيب
٣	١٢٧٣	علي بن حبيب
٤	١٢٧٤	علي بن حبيب
٥	١٢٧٥	علي بن حبيب
٦	١٢٧٦	علي بن حبيب
٧	١٢٧٧	علي بن حبيب
٨	١٢٧٨	علي بن حبيب
٩	١٢٧٩	علي بن حبيب
١٠	١٢٨٠	علي بن حبيب
١١	١٢٨١	علي بن حبيب
١٢	١٢٨٢	علي بن حبيب
١٣	١٢٨٣	علي بن حبيب
١٤	١٢٨٤	علي بن حبيب
١٥	١٢٨٥	علي بن حبيب
١٦	١٢٨٦	علي بن حبيب
١٧	١٢٨٧	علي بن حبيب
١٨	١٢٨٨	علي بن حبيب
١٩	١٢٨٩	علي بن حبيب
٢٠	١٢٩٠	علي بن حبيب
٢١	١٢٩١	علي بن حبيب
٢٢	١٢٩٢	علي بن حبيب
٢٣	١٢٩٣	علي بن حبيب
٢٤	١٢٩٤	علي بن حبيب
٢٥	١٢٩٥	علي بن حبيب
٢٦	١٢٩٦	علي بن حبيب
٢٧	١٢٩٧	علي بن حبيب
٢٨	١٢٩٨	علي بن حبيب
٢٩	١٢٩٩	علي بن حبيب
٣٠	١٣٠٠	علي بن حبيب
٣١	١٣٠١	علي بن حبيب
٣٢	١٣٠٢	علي بن حبيب
٣٣	١٣٠٣	علي بن حبيب
٣٤	١٣٠٤	علي بن حبيب
٣٥	١٣٠٥	علي بن حبيب
٣٦	١٣٠٦	علي بن حبيب
٣٧	١٣٠٧	علي بن حبيب
٣٨	١٣٠٨	علي بن حبيب
٣٩	١٣٠٩	علي بن حبيب
٤٠	١٣١٠	علي بن حبيب
٤١	١٣١١	علي بن حبيب
٤٢	١٣١٢	علي بن حبيب
٤٣	١٣١٣	علي بن حبيب
٤٤	١٣١٤	علي بن حبيب
٤٥	١٣١٥	علي بن حبيب
٤٦	١٣١٦	علي بن حبيب
٤٧	١٣١٧	علي بن حبيب
٤٨	١٣١٨	علي بن حبيب
٤٩	١٣١٩	علي بن حبيب
٥٠	١٣٢٠	علي بن حبيب
٥١	١٣٢١	علي بن حبيب
٥٢	١٣٢٢	علي بن حبيب
٥٣	١٣٢٣	علي بن حبيب
٥٤	١٣٢٤	علي بن حبيب
٥٥	١٣٢٥	علي بن حبيب
٥٦	١٣٢٦	علي بن حبيب
٥٧	١٣٢٧	علي بن حبيب
٥٨	١٣٢٨	علي بن حبيب
٥٩	١٣٢٩	علي بن حبيب
٦٠	١٣٣٠	علي بن حبيب
٦١	١٣٣١	علي بن حبيب
٦٢	١٣٣٢	علي بن حبيب
٦٣	١٣٣٣	علي بن حبيب
٦٤	١٣٣٤	علي بن حبيب
٦٥	١٣٣٥	علي بن حبيب
٦٦	١٣٣٦	علي بن حبيب
٦٧	١٣٣٧	علي بن حبيب
٦٨	١٣٣٨	علي بن حبيب
٦٩	١٣٣٩	علي بن حبيب
٧٠	١٣٤٠	علي بن حبيب
٧١	١٣٤١	علي بن حبيب
٧٢	١٣٤٢	علي بن حبيب
٧٣	١٣٤٣	علي بن حبيب
٧٤	١٣٤٤	علي بن حبيب
٧٥	١٣٤٥	علي بن حبيب
٧٦	١٣٤٦	علي بن حبيب
٧٧	١٣٤٧	علي بن حبيب
٧٨	١٣٤٨	علي بن حبيب
٧٩	١٣٤٩	علي بن حبيب
٨٠	١٣٥٠	علي بن حبيب
٨١	١٣٥١	علي بن حبيب
٨٢	١٣٥٢	علي بن حبيب
٨٣	١٣٥٣	علي بن حبيب
٨٤	١٣٥٤	علي بن حبيب
٨٥	١٣٥٥	علي بن حبيب
٨٦	١٣٥٦	علي بن حبيب
٨٧	١٣٥٧	علي بن حبيب
٨٨	١٣٥٨	علي بن حبيب
٨٩	١٣٥٩	علي بن حبيب
٩٠	١٣٦٠	علي بن حبيب
٩١	١٣٦١	علي بن حبيب
٩٢	١٣٦٢	علي بن حبيب
٩٣	١٣٦٣	علي بن حبيب
٩٤	١٣٦٤	علي بن حبيب
٩٥	١٣٦٥	علي بن حبيب
٩٦	١٣٦٦	علي بن حبيب
٩٧	١٣٦٧	علي بن حبيب
٩٨	١٣٦٨	علي بن حبيب
٩٩	١٣٦٩	علي بن حبيب
١٠٠	١٣٧٠	علي بن حبيب

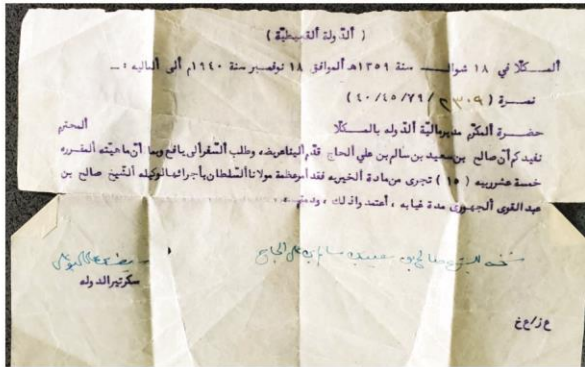
ويبدو أنه في سنة ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م، ما زال حينها في مهجره الهندي، كما يتضح من وثيقة يقرُّ فيها علي بن محمد بوبك بن بوبك أحمد بن علي عامر البعسي، أنه إذا جرى عليه أمر الله المعلوم ويومه المحتوم وانقضى أجله، فإن وصيَّه هو صالح بن سعيد سالم بن عبد الله صلاح بن علي الحاج وفوضه

بأن يقبض ويتصرف بجميع ما يخصه من إرث المحرومة والدته نور بنت سالم سعيد بن علي الحاج مما يخصها إرثاً بجهة جبل يافع ببلد الحوثره، وفي جهة حضر موت بجهة القطن، وفي جهة الهند بأرض الدكن.

تنقل بعد ذلك بين يافع وحضر موت، وتبين لنا الوثائق الخاصة به منزلته الاجتماعية الرفيعة في يافع أيضاً؛ إذ كان من كبار المصلحين الاجتماعيين، وحظي بتقدير الناس وثقتهم به؛ لعلمه وإلمامه بالعرف والشرع وم صداقته وصدعه بالحق فلا يخشى في ذلك لومة لائم. وما يؤكد منزلته الأثيرة ومكانته العظيمة لدى عليّة القوم أنهم كانوا يخاطبونه بكل تجلّة واحترام، ويتوجهون إليه بعبارات التبجيل والثناء، يستوي في ذلك المشايخ والسلطين والأعيان، ومن جميل الصفات التي أطلقوها عليه في مستهل مراسلاتهم إليه الأوصاف الرفيعة التالية: "عالي الجناح.. الأكرم المكرم.. حميد المساعي والشيم.. محترم المقام.. الأكمل الماجد المحترم.. عالي الجناح ولذيذ الخطاب، الذهب الصافي والصدى الوافي.. الأعز العزيز المحترم.. إلخ". وعن كان يخاطبه بإجلال وتقدير

عاليين شيخ الوسطة، وهو المكتب الذي ينتمي إليه، ففي رسالة محررة يوم الجمعة ١٠ من ذي الحجة ١٣٤٠ هـ الموافق ٤ من أغسطس ١٩٢٢ م، أرسلها إليه بوبك بن علي عسكر النقيب، من غير أن يسبقها بكلمة شيخ - وهو رأس مكتب الوسطة وشيخها - يخاطبه بقوله: "حضره جناب عالي الجناح الأكرم المكرم الشيخ صالح سعيد سالم بن علي الحاج". ويبلغه بوفاة الولد عبدالحافظ بن محمد محسن، الذي انتقل إلى رحمة الله في حوطة لحج، ويذكر أن سبب موته (القطيب)، ولا ندري ما طبيعة هذا المرض.

وبالمثل هناك رسالة محررة في ٢٥ من شعبان سنة ١٣٤١ هـ/ الموافق ١٢ من أبريل ١٩٢٣ م، أرسلها إليه من حوطة لحج فضل بن علي هريرة، من غير ذكر مكانته، كسلطان يافع الوسطة، ويخاطبه بإجلال وتقدير قائلاً: "حضره جناب الأجل الأكرم



السم	السم	السم	السم	السم	السم
١٥٠	١٥	١٠	١٥	١٥	١٥
٧٥	١٥	٥	١٥	١٥	١٥
٧٥	١٥	٥	١٥	١٥	١٥
١٠٥	١٥	٧	١٥	١٥	١٥
٢٠	١٥	٢	١٥	١٥	١٥
٧٥	١٥	٥	١٥	١٥	١٥
١٥	١٥	١	١٥	١٥	١٥
٩٠	١٥	٦	١٥	١٥	١٥
٢٢	١٥	١	١٥	١٥	١٥
٧٥	١٥	٥	١٥	١٥	١٥
٣٠	١٥	٢	١٥	١٥	١٥
٧٥	١٥	٥	١٥	١٥	١٥
٧٥	١٥	٥	١٥	١٥	١٥
٩٠	١٥	٦	١٥	١٥	١٥
٧٥	١٥	٥	١٥	١٥	١٥
٣٠	١٥	٢	١٥	١٥	١٥
٧٥	١٥	٥	١٥	١٥	١٥
١٣١٢					

المحترم، حميد المساعي والشيم، الشيخ صالح بن سعيد سالم بن علي الحاج"، وفيها يخبره عن إرسال رسائل (خطوط) من قبل الشيخ بوبك علي النقيب مع ناجي أخيه وحسين إلى عند الإمام في صنعاء، وما نتج عن ذلك من ردود فعل بعد مسيرهم، وكذا مطالبته برجوع السوق، وأن الوسطة جميعاً تراضوا على السوق، ما عدا الرشيد فلم يوافق بعد. ويذكر مساعي للدولة القيعية لغرض السلام والمناظرة.

وهذه نماذج فقط تبين عظيم مكانته في عصره، وأنه ساد قومه بعلمه وحكمته وم صداقته وعدله. وفي أرشيف أسرته الكثير من الشواهد والوثائق على ما قام به من أعمال كثيرة في إصلاح ذات البين، وتحكيمه العادل بين الناس فيما شجر بينهم، وتهديته للفتن التي كانت منتشرة بيافع، وفض الكثير من المنازعات، وعنايته بالمحتاجين من الأيتام والأرامل... إلخ.



الرقم	الاسم	الراتب/ رؤية	عدد الاشهر	الإجمالي
١	صالح سعيد بن علي الحاج	١٠	٨	٨٠
٢	علي صالح بن علي الحاج	٧	٨	٥٦
٣	عبدالله علي بن علي الحاج	٢	٨	١٦
٤	أحمد عبدالله بن علي الحاج	٥	٨	٤٠
٥	عوض حسين بن علي الحاج	١	٨	٨
٦	عامر بن عمر بن علي الحاج	٦	٨	٤٨
٧	سالم بن عامر بن علي الحاج	١٠	٨	١٢
٨	عمر بن ناصر بن علي الحاج	٢	٨	١٦
٩	محمد سالم بن علي الحاج	٥	٨	٤٠
١٠	عبدالله بن أحمد بن علي الحاج	٦	٨	٤٨
١١	عبدالله سعيد بن علي الحاج	٦	٨	٤٨
١٢	صالح سعيد بن علي الحاج	٦	٨	٤٨
١٣	سعيد بن حسين بن علي الحاج	٥	٨	٤٠
١٤	سعيد عبدالله بن علي الحاج	٥	٨	٤٠
١٥	مجلد أحمد بن علي الحاج	٥	٨	٤٠
١٦	صالح بن مجمل بن علي الحاج	٥	٨	٤٠
١٧	عبدالقوي بن عوض بن علي الحاج	٦	٨	٤٨

ونجد في كشف الرواتب أعلاه أن عدد العساكر من آل علي الحاج يبلغ ١٧ شخصاً من إجمالي عدد ٣٠ عسكرياً، أي إنهم يشكلون الغالبية، فضلاً عن كون بقية العساكر هم من المتتمين إلى يافع وإلى مكتب الوسطة الذي ينتمي إليه آل الحاج الحوثيري، وتتفاوت نسبتهم في بقية الأعوام، لكنهم يتصدرون الغالبية فيها مقارنة بغيرهم، وهو ما يوضحه الكشف الآتي للأعوام من ١٣٣٠ هجرية وحتى ١٣٣٥ هجرية:

عدد الأشهر والسنة حسب الكشوفات	عدد العسكر كامل	عدد آل علي الحاج منهم
من القعدة ١٣٣٠م إلى جماد آخر ١٣٣١م	٢٧	١٥
من رجب ١٣٣١- إلى رمضان ١٣٣٢م	١٩	١٠
من شوال ١٣٣٢- إلى جماد أول ١٣٣٣م	٣٣	١٤
من الحجة ١٣٣٣- إلى رمضان ١٣٣٤م	٣٠	١٧
من شوال ١٣٣٤- إلى رجب ١٣٣٥م	٤١	١٤

مكانته في جيش السلطنة القعيطية:

من المعروف أن جيش السلطنة القعيطية قد تأسس على غرار جيش النظام الهندي القائم في حيدر آباد، وهذا يعود للعلاقة الوثيقة التي كانت قائمة بين السلطان القعيطي والهند، وظلّ حاله كذلك حتى أسند السلطان صالح بن غالب القعيطي مهمة تحديثه في عام ١٩٣٦م إلى المستشار الإنجليزي إنجرامس. وقد بلغ تعداد الجيش غير النظامي في عام ١٩٣٤م بين ١٠٠٠ و ١٢٠٠، يقوده ١١ مقدماً، ووصل عام ١٩٣٧م إلى ١٤٠٠ يافعي، غالبهم من يافع الجبل، مع مئات من عبيد السلطان، زيم القبلي، وسلاحهم البندقية والجنبيه (الخنجر)، وهو أفضل من سلاح العبيد الذي تملكه الدولة.

ومن أولئك المقادمة كان الشيخ صالح سعيد بن علي الحاج، الذي كانت له علاقته الحميمة مع سلاطين الدولة القعيطية وأركانها، وكان في قوام جيش السلطنة غير النظامي رئيساً أو مقدماً على مجموعة من العسكر، كما تظهر لنا الوثائق من المراسلات والكشوفات الخاصة برواتب أولئك العسكر، ويتصدر اسمه كشف الرواتب، التي عهد إليه بتسليمها لهم، وتبعاً لمكانته العسكرية المرموقة فإن ماهيته الشهرية تصدر أعلى رواتب العسكر جميعهم، بل تبلغ الضعف مقارنة بماهية كثيرين منهم، حيث كانت ماهيته تساوي ١٠ رؤيات شهرياً خلال السنوات ١٣٣٠-١٣٣٦ هجرية (١٩١٢م-١٩١٨م)، فيما بلغت سنة ١٣٥٠ هجرية (١٩٣١م) مبلغ ١٥ رؤية شهرياً، كما أمر السلطان بإجرائها لوكيله الشيخ عبدالقوي بن صالح الجمهوري مدة سفره من المكلا إلى يافع.

ومن حسن الحظ أن أرشيف آل علي الحاج قد حفظ لنا سجلاً يحتوي في طيات صفحاته كشوفات سنوية برواتب جماعته وحسابات أخرى، وبعملة الرؤية التي كانت متداولة حينها في الدولة القعيطية. وكمثال فقط في الجدول الآتي كشف رواتب العساكر بيد صالح سعيد بن علي الحاج للفترة من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٣ هجرية/ الموافق أكتوبر ١٩١٥م إلى سلخ رمضان سنة ١٣٣٤ هجرية/ الموافق نهاية يوليو ١٩١٦م:



22

العدد (30)

أكتوبر

ديسمبر

2023م

ونسنتج من ذلك أن قيادة جماعات
العسكر غير النظاميين التي كانت تُسند
لزعماء القبائل ورؤسائها لسهولة التعامل
من قبلهم مع أبناء جلدتهم وتوجيههم
والسيطرة عليهم، ومثل هذا الأمر لم يكن
بدعة في جيش الدولة القيعية، فقد كانت
جيوش الفتح الإسلامي تقوم على أساس
روابط النسب وصلة الدم، وكان لكل قوم
أو قبيلة قائدها وزعيمها.

ومن أهم الوثائق ذات الصلة بعلاقته
بسلطين الدولة القيعية، رسالة مؤرخة
في ١٨ من شوال سنة ١٣٥٩هـ/ الموافق
١٨ نوفمبر ١٩٤٠م، من سكرتير الدولة

القيعية سيف بن علي البوعلي^(١) إلى مدير المالية الدولة
بالمكلا، تفيد أن صالحاً بن سعيد بن سالم بن علي الحاج قد
طلب السفر إلى يافع، وبما أن ماهيته المقررة (١٥ روية) تجري
من مادة الخيرية فقد أمر عظمة السلطان بإجرائها لوكيله
الشيخ عبد القوي بن صالح الجمهوري مدة غيابة.

ومن شواهد مكانته الاجتماعية الكبيرة، صلته المباشرة
والشخصية بسلطين القيعي، ومنحه ثقتهم في أمور كثيرة،
وثيقة إقرار مؤرخة بتاريخ ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٣٦هـ/
الموافق ٧ يناير ١٩١٨م، من المحكمة الشرعية بالمكلا بتسلّمه
مبلغاً ومقداره ٤٧ روية وخمس آتات ونصف الآنة، مقبوضة
بيده من دولة السلطان غالب بن عوض القيعي باسم ورثة
المتوفى ناصر صالح السعيد، وبتوقيع الحاكم الشرعي ببندر
المكلا عبدالله أحمد رواف وشهادة آخرين.

كما كانت له المكانة العالية نفسها بين قومه في حضر موت،
ومما يعزّز هذا القول تلك الوكالات التي عهدت إليه في بلد
الديس، الأولى مؤرخة في ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٨هـ/

من سيد المكلا في ١٠ جمادى الآخرة
هـ/م
أولاً: من يدعي أنني قد كنت في
الديس معكم ورايكم ورايكم ورايكم
حضر عاتيد السوراني في بيتكم وكان
المعاش عاتيد السوراني في بيتكم وكان
سأله لا علاقة ولا مخالفة ولا مخالفة
ما بعد أخذنا علم ولا بعد علم من سبي
ويزل أحدهم العبد من طريق جرد منكم
نفس منكم كما سادة وغير ذلك ورايكم
الحضور بناريل في الرصد ورايكم في
طفتنا بناريل ولا عتد لنا من أخباركم
أولاً ولا عتد منكم في البيت ولا في
وفايتكم في البيت ولا في البيت
وعلى أوردون غائب وأعتدكم في البيت

شجرة الدر صالح سعيد بن علي الحاج وجماعته من ١٣٣٤ إلى ١٣٣٥

عدد	اسم	عدد	اسم	عدد	اسم
١	صالح سعيد بن علي الحاج	١٠	نا عاتيد السوراني	١٠	صالح سعيد بن علي الحاج
٢	أحمد بن علي بن علي	١٠	أحمد بن علي بن علي	١٠	أحمد بن علي بن علي
٣	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٤	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٥	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٦	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٧	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٨	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٩	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
١١	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
١٢	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
١٣	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
١٤	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
١٥	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
١٦	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
١٧	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
١٨	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
١٩	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٢٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٢١	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٢٢	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٢٣	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٢٤	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٢٥	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٢٦	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٢٧	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٢٨	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٢٩	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٣٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٣١	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٣٢	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٣٣	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي
٣٤	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي	١٠	علي بن علي بن علي



الانجاء الوطني

عند ابن هاشم



د. أحمد باحارثة

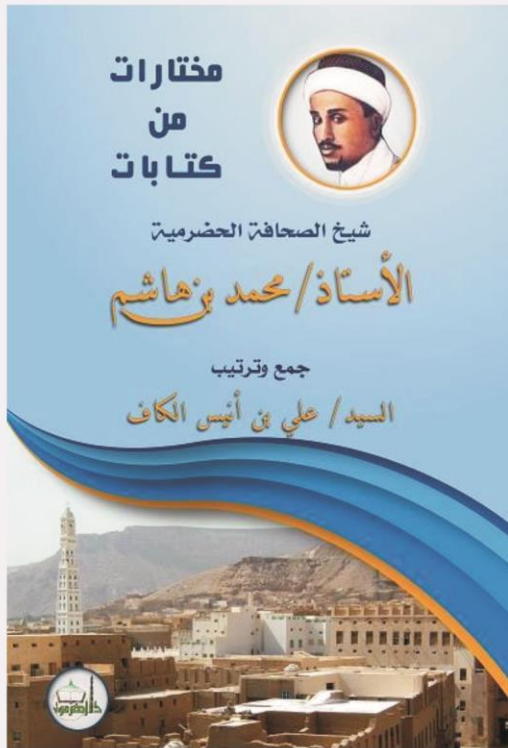
ويتناول بروزها التاريخي كفكرة عالمياً وعروبياً منذ الحرب العالمية الثانية، حيث يقول: "الوطنية هي قومية عنيدة، بلغت أشد أدوارها لدى الأمم الحية منذ الحرب العمومية" (٢)، وإن "الوطنية بمعناها العصري لم تك إلا شعاعاً من أشعة روح العصر، التي لم تُعهد في الشرق، قبل بزوغ القرن الرابع عشر الهجري" (٣)، ثم يفيد بأن "العرب لم تكن لهم قاطبة وطنية بالمعنى العصري، إلا بعد مشاهدة ويلات الحرب العامة الكبرى، والجثث المكدسة تحت رايات حب الأوطان" (٤).

ثم يتجه ابن هاشم إلى إظهار أهمية الوطنية، ومكانتها، ودورها الإيجابي في نهوض الشعوب، وقوة البلدان، فنراه يقول: "تبتدى حياة الأمم والشعوب بنفخ الروح الوطنية في نفوس أفرادها" (٥)، وبوضوح أكبر يرى بأن "الوطنية روح بها مناط وجودنا، وعليها قوام حياتنا، ومنها تنبجس عيون مجدنا، وعنهما تصدر قوة مركزنا" (٦).

لكن ما هو موقف الحضارم من تلك الوطنية، وكيف يفهمونها، وهل يتمثلونها في حياتهم وسلوكهم نحو وطنهم؟! يرى ابن هاشم أن الحضارم لم يستوعبوا بعد مفهوم الوطنية، ولم يدركوا مدى أهمية الشعور الوطني، حيث يقول:

يُعد هذا الانجاء هو أبرز ما كتبه عنه محمد بن هاشم، وسطر المقالات لأجله، وهو المحرك الأساس لعامة مقالات هذا الرجل الغيور على وطنه الحضرمي، في كل موضوع يكتبه، وإذا وقفنا على مقالاته التي يتناول فيها الوطن والوطنية نجدّه يوزع أفكاره بين كل ما يؤدي إلى إيضاح مفهومها، والدعوة إليها، وبيان أهميتها، وموقف الحضارم منها ومن وطنهم الحضرمي، كما ينبئ عنه لسان حالهم قبل مقالهم، ففي ماهية الوطنية يقول ابن هاشم:

"الوطنية شواظ ملتهب من نيران الغيرة على الوطن، يرسل على أفئدة قوم يندفعون إلى إيصال أوطانهم بكل وسيلة إلى مستوى المثل العليا للمدنية والرفاهية" (١).



"الوطنية لفظ لا يزال لدى الجمهور منّا خميصاً من المعنى، لا تعرفه المعاجم، ولا تقبله الأذهان، ولا يحسب إلا أنه قرعةٌ هوجاءٌ تُخدشُ الأذان، وتُشغلُ اللسان، وتُضيعُ الوقتَ سُدًى" (٧).

ومن مظاهر عدم استيعابها خلطهم بين الوطنية والسياسة، فيرشدهم للفصل والتفريق بينهما، فيقول: "يحسب بعض الناس أن اتجاه الوطنية إنما يكون دائماً وأبداً نحو الوجهة السياسية فقط... إن هذا الحسبان لبعيد كل البعد عن الصحة والحقيقة... بل الأمر أجل من ذلك وأوسع، فإن الذين أفادو أوطانهم من رجال العلم والصناعة والاقتصاد... ليعدون من أبطال الوطنية وأقطابها" (٨).

ثم ينعي ابن هاشم على الحضارم سلوكاً إنسانياً شاذاً، هو موقفهم السلبي من وطنهم حضرموت، جهلاً بمكانته، واحتقاراً لشأنه، فيقول:

"أننى للشعب أن يحيا الحياة الطيبة، وينال المركز المرضي بين الشعوب، ويدرك ما يؤمله من فخر وشرف، وهو يجهل مقره، ويحتقر وطنه... ولا يدري بأنه له بقعة هو مكلف بتحديداتها وتأييدها، وتعميرها وتثميرها؛ لئلا يهمل ما منحتة الطبيعة، وينبذ ما احتفظ به أجداده الكرام" (٩).

وينعى عليهم انشغالهم بتحسين أوضاعهم الخاصة ببلد المهجر، وإهمال الوطن الذي يمثل خط رجعة لهم لدى عودتهم إليه اختياراً أو قسراً، يقول:

"من الغريب أن يبقى الحضرمي الذي وهبه الله الذكاء الخارق، والهمة الفائقة، ما زاحم جميع الطوائف بهذه البقاع في التجارة وكسب المال... أن يبقى متغاضياً عن مركز سعادته، ومصدر حياته، وهو وطنه الذي ينتسب إليه" (١٠).

لا بل إنهم يتبرعون بإهانتته أمام سائر الأقوام، كلما جاء حديث عنه، يقول:

"تراهم عندما يذكر موطن أجدادهم، ومهد أسلافهم، غير مكتفين فقط بالإعراض وعدم الاكتراث، ولكنهم يشفعون كل هذا بكلح الوجه، وقارص التهكم، والاكفهرار الذي لا ينبئ إلا عن خور في الطبيعة، ولؤم في النفس، واعوجاج في التربية" (١١).

ثم يقول في إشفاق وتحسر على تلك الحالة المزرية بين الوطن الحضرمي ومواطنيه: "أي وطن ليت شعري يقاسي من أهليه وبني تربته ما يقاسيه وطننا، وأي شعب يكابد من مواطنيه وبني جلدته ما يكابده شعبنا" (١٢).

”
من الغريب أن يبقى الحضرمي
الذي وهبه الله الذكاء الخارق،
والهمة الفائقة، ما زاحم جميع
الطوائف بهذه البقاع في التجارة
وكسب المال... أن يبقى
متغاضياً عن مركز سعادته،
ومصدر حياته، وهو وطنه
الذي ينتسب إليه“



يرى ابن هاشم أن أهم معالجة لأحوال حضرموت السيئة تكمن في اتحاد مختلف الفئات والشرائح في الوطن، وتضامنها، وتكامل جهودها، وتبادل أدوارها، فيقول: "التضامن الوطني هو الطلسم الوحيد لتحقيق تلك الأماني الحلوة، والأحلام اللذيذة"

ثم يواجه ابن هاشم حجج الإعراض عن الوطن وامتهانه لدى هؤلاء، ويناقشهم في مدى صوابها، وتتمثل في عمومها فيما يرونه من طبيعة حضرموت المجذبة القاحلة، أو في حالتها العامة المتسمة بعدم الاستقرار والأمان، وفي تفشي الجهل والفاقة، فيقول:

"لم يك موقع وطننا الجغرافي أو الطبيعي، ولا ما هو حال به الآن من الخراب الفوضوي كافيًا ولا مُسوِّغًا لتبرير ما يأتيه دعاة اللا وطنية من النظر إلى مسقط رؤوسهم ورؤوس آبائهم نظرًا سيئًا" (١٦).

ويقول:

"لا يهولن مواطنينا ما هو أمامهم اليوم من جذب الوطن، وخراب أطرافه، وقلة سكانه، والجهل المخيم على جوه، فإن هذا كله لم يكن إلا أعراضًا مفارقة تشتها همم الرجال" (١٧).

ويبدو أنه اتضح لابن هاشم العلوي لاحقًا أنه كان مثل جده - قبل هجرته - يخاطب أشباه الرجال، ولا رجال.

ويرى ابن هاشم أن أهم معالجة لأحوال حضرموت السيئة تكمن في اتحاد مختلف الفئات والشرائح في الوطن، وتضامنها، وتكامل جهودها، وتبادل أدوارها، فيقول:

"التضامن الوطني هو الطلسم الوحيد لتحقيق تلك الأماني الحلوة، والأحلام اللذيذة" (١٨).

وابن هاشم هنا لكأنه يثر قول نظيره الشاعر صالح الحامد حيث يقول (١٣):

آه على وطن تأصل داؤه وبنوه أصل وبائه ووباله
وذلك الاحتقار والاستخفاف أمر ممتد إلى حاضرننا، وما زالت حضرموت تعاني منه من قبل أبنائها، حتى من بعض المعدودين في نخبها، وتعود إليه النكبات الحديثة التي تعاقبت عليها، سواء ما أصاب من بداخلها بفقدانهم لسيادتهم وقرارهم، أو من بخارجها ممن فقد ماله، أو فقد هويته، وذلك يعود كما قال ابن هاشم لاجوج في التربية، وهي التربية التي كان الولاء الوطني أولاً، والمعرفة بالأرض الحضرمية ثانياً، غائباً عن مقرراتها، وهو ما لاحظته المؤرخ صلاح عبد القادر البكري لدى زيارته حضرموت في منتصف الأربعينيات من القرن المنصرم، فقال:

"ليس للتاريخ القومي والجغرافيا المحلية عناية تذكر، وهذا يرجع إلى عدم وجود كتب في هاتين المادتين" (١٤).
ثم قال متوجساً:

"منهج التعليم المعمول به في مدارس الدولة القيعطية هو منهج السودان، وهو في مجموعه لا يتماشى مع حاجات البيئة الحضرمية، وعلماء التربية في كل الدنيا، قالوا: إنه عند وضع أي منهج للتعليم يجب أن يراعى فيه الاحتفاظ بالطابع القومي، وأخطر شيء أن نكون مقلدين، نأخذ منهج التعليم بدقة من غيرنا، ونطبقه على مدارسنا؛ فلكل أمة خصائصها، وما يصلح لفرنسا لا يصلح لإنجلترا، وما يصلح لمصر لا يصلح للشام، وما يصلح للسودان لا يصلح لحضرموت؛ لذا يجب أن يتماشى المنهج مع الظروف الاجتماعية، والخصائص القومية، والاستعدادات العقلية، لأبناء الوطن" (١٥).

وهي ملاحظة صائبة مبكرة من البكري، لكن لم تراعها تلك الدولة، ولم تستدركها إلا متأخرة؛ إذ سرعان ما ضاعت حضرموت الوطن على يد خريجي ذلك المنهج السوداني، فصبغوا حاضرها بالسواد.



”نحن معاشر الحضارة أحوج الناس إلى أخلاق فاضلة تلاشي الأضغان، وتريح الخواطر، وتزيل الوحشة، وترفعنا إلى مصاف تلك الشعوب التي أنهلت من جامات الإخاء، وتبادلت كؤوس الصفاء، ولم تُمنَ بأفراد من بنيتها يفككون عراها، ويعكرون صفوها، ويفرقون أجزائها، ويعرقلون مساعي أحرارها بما أوتوه من الأنانية، وجبلوا عليه من الجمود، ثم هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا“

ومن ثم يشرع في الدعوة إلى ذلك الاتحاد والتضامن، موجّهاً نداءً للشرائح الفاعلة كلّها في الوطن، فيقول:

”أي بني حضرموت الكرام من سادة، وقبائل، ومشايخ، هبوا حفظكم الله لتوطيد عرى الرابطة الوطنية بينكم، وأحبوا ما بقيتم بعضكم بعضاً“ (١٩).

ونرى ابن هاشم يكرر هذه الدعوة للتضامن والعمل لأجل الوطن في أبيات من شعره، فيقول (٢٠):

وما قطرنا إلا بنا إن نقم به يعمر وإن نقعد به يتحطم
لنعمل إذا قلنا وإلا فإنها ستمضي بنا أعمارنا في التكلم
وما القول دون الفعل إلا إساءة إلى هيئة الكون البديع المنظم
لكنه كثير ما يلاقي صدوداً عن تلك الدعوة، ولا سيما ممّن يصفهم بالأنانية والجمود، فيعود ليقول:

”نحن معاشر الحضارة أحوج الناس إلى أخلاق فاضلة تلاشي الأضغان، وتريح الخواطر، وتزيل الوحشة، وترفعنا إلى مصاف تلك الشعوب التي أنهلت من جامات الإخاء، وتبادلت كؤوس الصفاء، ولم تُمنَ بأفراد من بنيتها يفككون عراها، ويعكرون صفوها، ويفرقون أجزائها، ويعرقلون مساعي أحرارها بما أوتوه من الأنانية، وجبلوا عليه من الجمود، ثم هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا“ (٢١).

كذلك أشار في مقالات عدّة إلى إمكانات حضرموت، وجهود أبنائها، في مجالات متعددة، اقتصادية، وصناعية متنوعة، طرقها وتناولها داعياً إلى الاعتزاز بها، والتمسك باستمرارها والبحث على تطويرها (٢٢).

الهوامش:

(١) مختارات من كتابات ابن هاشم ١٢٢.

(٢) نفسه ١٢٣.

(٣) نفسه ١٢٢.

(٤) نفسه ١٢٣.

(٥) نفسه ١١٧.

(٦) نفسه ١٢٠.

(٧) نفسه ١١٩.

(٨) نفسه ١٢٣.

(٩) نفسه ١١٧.

(١٠) نفسه ١١٨.

(١١) نفسه.

(١٢) نفسه ١٢٩.

(١٣) ليالي المصيف، الأعمال الكاملة ١٤٩.

(١٤) في جنوب الجزيرة العربية، صلاح عبدالقادر البكري، مكتبة

الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤، ٢٨١.

(١٥) نفسه ٢٨٥.

(١٦) مختارات من كتابات ابن هاشم ١١٨.

(١٧) نفسه ١٢٠.

(١٨) نفسه ١١٩.

(١٩) نفسه ١١٩.

(٢٠) نفسه ٢٩٨.

(٢١) نفسه ١٢٧.

(٢٢) نفسه ٦٥، ٦٧، ٦٩.

الحضارمة في الفلبين

(٢ - ٢)



عرفنا في العدد السابق من مجلة حضرموت الثقافية الحديث عن الفلبين والوجود الحضرمي فيها مع بعض الروايات لانتشار الإسلام فيها، وفي هذا العدد نقف عند الأشخاص الذين أوصلوا الإسلام إليها، والطريقة التي بها نشروا الإسلام، ثم الوقوف على المعالم الإسلامية وأبرز الدعاة.

سرعتها أقل، والقدرة على التحكم بها أصعب، ولولا مهارة الأدلاء الجمقاويين^(٢) لتاهت السفينة في البحار الهائجة، ولم يعد منها مخبر، واستطاع ربان السفينة الرسو في شاطئ جميل خصيب، مليئة أطرافه بالغابات والجبال وأمواجه خفيفة. واستقبل سكان الشاطئ السفينة بزوارقهم الصغيرة السريعة، التي رافقت إبراهيم أسمارا والبحارة الذين ركبوا أيضاً مركباً صغيراً حتى الشاطئ. وسأل إبراهيم الناس عن اسم الشاطئ؟ فقالوا له: هذه المنطقة اسمها (فولانغي)، واسم الشاطئ هو (مينداناو). وفوجئ الزوار بأن الناس ليس لهم أمير يحكمهم، بل هم قبائل تتعاطى التجارة مع السفن التي تزورهم من حين لآخر. وقد تأثر أفراد تلك القبائل بمنظر الزوار، وبشكل ملابسهم ودمائهم، فأخذوا يتقربون منهم كثيراً، ويمعنون النظر إليهم وهم يؤدون صلاتهم جماعة. وكانوا يسألون عن معنى تلك الحركات التي يؤديها المسلمون في صلاتهم فيجيبهم الضيوف برحابة صدر ويشرحون لهم تعاليم الدين الإسلامي بإفاضة. فازداد إعجاب الناس بالمسلمين لما رأوه من حسن



د. أبو بكر حسين مقبيل

لعل أبرز ما يميز رجال الدعوة في حضرموت حب السفر والترحال، فقد استأذن إبراهيم أسمارا أباه بالسفر إلى أرض (سلندوغ)^(١) البعيدة الواقعة في جزائر فيلپين، فأذن له وأرسل معه عدداً من المسلمين؛ ليكونوا عوناً له في رحلته تلك. وأبحر إبراهيم أسمارا باتجاه الشرق، ودامت رحلته حوالي الشهر، تعرضت فيه للأعاصير والأمطار الغزيرة التي كادت أن تودي بها وبركابها، وتمزقت أشرعتها، فصارت



تعاملهم التجاري معهم وعدم غشهم لهم، حتى إذا مرت فترة من إقامتهم هناك فوجئ إبراهيم أسمارا بوفد كبير من السكان يقدمون عليه ويشهرون إسلامهم، ففرح المسلمون كثيراً وصاروا يلقنون أهالي (فولانغي) أهم التعاليم الدينية الإسلامية. ولكي يكتمل التعارف، تزوج إبراهيم بفتاة من المسلمين الجدد، هي ابنة رئيس القبيلة الكبيرة في (فولانغي)، وأقام في البلاد حوالي السنة، رُزق خلالها ببنت أسماها (فراميسولي paramisuli)⁽³⁾، تزوجها بعد ذلك الشريف (ماراجا)، فرُزق منها (تابوناوي)، و(مالو) الذي كان فيا بعد رئيساً في (مقيندانو) زمن مجيء كبونغسوان⁽⁴⁾.

وفي أثناء الهجرات الحضرمية إلى الشرق الآسيوي، وصلت سفينة عربية من حضرموت إلى جوهور⁽⁵⁾، ونزل منها مسافر يرتدي الملابس العربية التقليدية، ومعه حاشية من الأصحاب والبحارة. فبعث صاحب المرفأ بأوصاف المسافر إلى السلطان إسكندر شاه، الذي أمر فوراً بإنزاله في ضيافته. وسأله عن اسمه؟ فقال: أنا الشريف زين العابدين بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن علوي بن علي بن محمد بن علوي بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه⁽⁶⁾، فقرَّبَه منه السلطان، فقويت الصلات بينهم إلى درجة أن السلطان إسكندر زوج ابنته (جاسول آسقين) لضيافته، فأنجبت له من الأبناء أحمد وعلياً ومحمد الأكبر، والذي لقبه الأبوان باسم ملايوي هو: (كابونغسوان، Kabungsua).

ولمَّا بلغ محمد كابونسان أشده، فاتح أباه برغبته في الإبحار، ونشر الإسلام في الجزر البعيدة المنتشرة بين جوهور والصين، فبارك الشريف رغبة ابنه تلك، فأبحر كابونسان مع شقيقه علي وأحمد في سفن عدة، مصطحين معهم عائلاتهم وأولادهم ومرفقيهم⁽⁷⁾، ولما وصلت السفن إلى عرض البحر أطلقت

أشرعتها للرياح القوية التي هبَّت من الشمال محمَّلة بالأمطار الغزيرة، فتحوَّلت الرياح المرافقة للأمطار إلى عاصفة بحرية، فرَّقَت السفن عن بعضها، ودفعت كلاً منها في اتجاه، فلم يعد أحد منهم يعلم بحال الآخر. وما إن هدأت العاصفة حتى وجد الأخ الأكبر أحمد نفسه في برونائي وشقيقه الأصغر في (سولو Sulu)، التي تقع في الجزء الجنوبي من الفلبين، وكابونسان في (مينداناو Mindanau) وبموضع هادئ يسمى (ناتوبكن) عند مخرج نهر (ريو كرنند)، حيث كان هناك صيادون يصطادون السمك بشباكهم، فأسرع الصيادون يعلمون رئيسهم بخبر وصول السفينة، فجمع هؤلاء أهل البلاد، وذهبوا إلى الشاطئ يلوحون للركاب، ويلتمسون منهم النزول على البر، فنزل محمد كابونسان وبعض مرافقيه من السفينة وتوجهوا بزورق صغير إلى اليابسة، ولَمَّا رست أقدامهم على البر تقدَّم إليهم وجيهان من وجهاء المنطقة يحبونهم، وعقدت الدهشة لسان كابونسان الذي يعرف اللغة العربية، ويتكلَّمها عندما لاحظ أن الأكبر بين الوجيهين يستخدم بعض المفردات العربية، ولَمَّا سأله عن اسمه؟ قال: (أنا مالو، رئيس المنطقة، وهذا أخي تابوناوي، ونحن أبناء الشريف (ماراجا)، وهو تاجر عربي يدعى إبراهيم بن جمال الدين الحسين، الذي جاء من جمقا، ونشر الإسلام في ربوع تلك المناطق منذ زمن بعيد، وأضاف الوجيهان قائلين أنها رئيسا سكان تلك المنطقة الذين يقال لهم شعب (سامل)، ويعملان في خدمة الملك (راجابكيندا Raja Baginda)⁽⁸⁾، وهو ملك تلك الجزر. تفرقت الدموع في عيني كابونسان، وطلب أن يصلي ركعتين شكراً لله تعالى على مشيئته، بأن تحمل العاصفة سفينته إلى منطقة سبقه إليها أجداده من التجار والدعاة المسلمين العرب. وبعد ذلك نزل ركاب السفينة جميعهم إلى اليابسة، وانتشروا بين السكان المحليين المسلمين، ثم عمدوا خلال الأشهر التالية إلى زيارة القرى المحيطة واحدة بعد الأخرى،



لَمَّا بلغ محمد كابونسوان أشده، فاتح أباه برغبته في الإبحار، ونشر الإسلام في الجزر البعيدة المنتشرة بين جوهور والصين، فبارك الشريف رغبة ابنه تلك، فأبحر كابونسوان مع شقيقه علي وأحمد في سفن عدّة، مصطحبين معهم عائلاتهم وأولادهم ومرافقيهم

ولما توفي زين العابدين كان إلى جواره ابنه أبوبكر^(١٣)، الذي تسلم رئاسة أنشطة الدعوة الإسلامية، فأراد زيارة إخوته الثلاثة في مينداناو وبروناي وسولو سنداك، خاصة بعد ورود أخبار مقلقة بأن أخاه علياً مريض في سولو. ولما وصل الشريف أبوبكر إلى سولو سنداك، حيث كانت إقامته فيها من سنة ٨٥٤هـ إلى سنة ٨٨٥هـ الموافق لسنة ١٤٥٠م إلى سنة ١٤٨٠م^(١٤)، أرسل إليه السلطان (راجا بكيندا) يدعوه للمجيء فوراً؛ لأن شقيقه علي زين العابدين قد توفي. فاستقبله (راجا بكيندا) خير استقبال، وسرعان ما زوجّه ابنته الوحيدة (فراميسولي)، فعينه رئيساً للقضاة، وإماماً في المسجد الجامع. وكان السلطان قد طعن في السن ولم يترك وارثاً ذكراً يخلفه، فعين الشريف أبابكر ولياً للعهد. ولما توفي السلطان اعتلى الشريف أبوبكر عرش سولو وبوانسا وسنداك، وصار الناس ينادونه بلقب "فدوكا مها ساري مولانا سلطان شريف الهاشمي"^(١٥).

فصارت كلمتا محمد كابونغسوان وأبوبكر عند الناس كلمتين مقدّستين، تلهج بهما ألسنتهم في الدعاء والصلاة، وكان أول قرار للسلطان أبي بكر هو إنشاء مسجد جامع كبير أسماه (عنوان الإسلام)، ثم التفت إلى تدبير أمور الدولة، فألى

وكلها جاؤوا قرية جمعوا أهلها ودعوهم إلى الإسلام حتى دخل الإسلام قلوب السكان الوثنيين جميعاً من (مينداناو) وإلى (تيتوندن)، أي إن قرى (مانفي) و(سلانفين) و(كايتون) وجزائر (سيو) و(سولو) و(كوتا بهارو) و(شمباو) و(بمنونغن) و(باقميين) و(اسنا) و(بوايان) و(باسيلان) و(سيوكي) و(سارانغاي) وبحيرة (دابو) قد أصبحت كلها مناطق إسلامية^(٩)، ولكل منها مسجد كبير (جامع). وأما من رفض من سكان القرى الأخرى أن يسلم فقد وجب عليه دفع الجزية. وأحاط الملك المسلم (راجا بكيندا) محمد كابونسوان وصحبه بكل رعاية، وصار الناس يطلقون على الضيف لقب الشريف^(١٠)، تعظيماً لنسبه واحتراماً لمقامه. وتزوج الشريف كابونسوان (فوتري يونيتا putri yunita) حفيدة شريف أولياء الذي كان أول من قدم بالإسلام على تلك الجزر. ونظراً للنسب الشريف الذي يحمله كانونسوان والملك راجا بكيندا، فقد تدارس الاثنان كيفية حفظ النسب من الضياع، فوجداً أن أسلم طريقة وضع الألقاب يحترمها الناس، وتحفظ لكل شخص مرتبته الاجتماعية والدينية. وهكذا فقد أصدر راجا بكيندا أمراً بأن تكون الألقاب كالآتي:

- ١ - لقب (داتو): ويطلق على الوزراء.
- ٢ - لقب (مشايكا): أو (تاكيمها) ويطلق على الشيوخ.
- ٣ - لقب (أورانكايا): ويطلق على الرؤساء الثانويين في القبائل.
- ٤ - لقب (السيد الشريف): ويطلق على أولئك المنحدرين من ذرية السادة الأشراف العترة النبوية الشريفة^(١١).

أما علي أخو محمد كابونسوان فقد رست سفينته في (سولو سنداك)، ووجد فيها مسلمين بأعداد كبيرة، يحكمهم ملك مسلم من أصل البلاد، رحب بالقادمين الجدد، وقدم لهم كل التسهيلات اللازمة للإقامة معه في الجزيرة، وعلى غرار شقيقه سرعان ما نشط الشريف علي في التوغل في القرى البعيدة لنشر الإسلام فيها، فوفق في دعوته توفيقاً كبيراً، ودخلت قبائل وثنية بأكملها في الدين الإسلامي^(١٢).



على نفسه أن يشكل حكومة على غرار ما كان يطمح إليه أجداده العرب الأشراف^(١٦).

فنظم القوة العسكرية لأهل جزر صولو من أشد الرجال، وكثر الدعاة، وانتشر الإسلام، فتكونت إمارات وسلطنات إسلامية هناك، أهمها:

١- إمارة صولو الإسلامية، وقد شملت أرخبيل صولو وجزيرة باسيلان وبالوان وبعض الجزر المجاورة، وقد أسسها الأمير ريباجندار الذي جاء من سومطرة إلى مندناو وباسيلان، ثم استوطن صولو. وكانت أول سلطنة إسلامية.

٢- إمارة ماجيندناو - وجمعت جزيرة مندناو، التي فيها أكبر تجمع إسلامي، وما حولها.

٣- إمارة مانيلا - عاصمة الفلبين الحالية - في لوزون وما جاورها من مناطق.

٤- إمارات إسلامية صغيرة تابعة للإمارات السابقة أو منفصلة عنها^(١٧).

وقد حكمت العائلة التي أسسها السلطان الشريف أبوبكر بأيدٍ قوية، وازدادت قوةً وشهرةً، وعزز التدبير والنظام الإسلامي وأحكامه وأوامره الشرعية والإدارية متانة مركز البلاد، ونشر نفوذها، حتى بلغ نفوذهم إلى الجزيرة الكبيرة (سلدوغ) وجزائر (بيسايان) وبحر السيلي وفالاوان وشمال بورنيو وبحر الصين. وامتدت تجارتهم وأبحرت مراكبهم في الأنحاء المذكورة إلى بلاد الصين واليابان من الشمال. ومن الناحية الغربية إلى ملقا وسومطرة وإلى جاوا والاه، ومن الجنوب والشرق إلى الجزائر (الملوك) والمهايرا وجزائر السيلي وفوفاوا واصطفوان^(١٨).

مات هذا الرجل العظيم حوالي سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م، بعد أن قضى ثلاثين سنة في صولو. وبعد أن توفي السيد أبوبكر تولى الشريف محمد كبونغسون ابن زين العابدين من سلالة عربية حضرمية وصل إلى صولو عام ١٤٧٤هـ، ونشر الإسلام في

ميندناو وكوتاباتو ولانا^(١٩)، وخلال فترة حكمه ومع أوائل القرن العاشر الهجري وصل البرتغاليون إلى أرخبيل الملايو، بدوافع صليبية محضة مغلفة بأطماع وطموحات اقتصادية، فهم كانوا يستهدفون من وصولهم إلى هذه الجزر القضاء على الإسلام، ونشر النصرانية، ثم السيطرة على تجارة المشرق، وحرمان الممالك وأعوانهم من هذا الثراء العظيم.

كان أول رجل أروبيّ تطأ قدمه جزر الفلبين هو (فرناندي ماجلان)، ولم تكن الجزر آنذاك تُعرف باسمها الحالي، فلما اكتشفها ماجلان أطلق عليها جزر (سان لازار)، ثم سميت بعد الاحتلال الأسباني - بجزر الفلبين تخليداً لاسم فيليب الثاني ملك أسبانيا^(٢٠).

ففي عام ٩٢٥هـ / ١٥٢٣م وصل ماجلان الفلبين، على رأس حملة بحرية، مكونة من خمس سفن، وطاقم مكون من ٢٦٥ بحاراً، ورسّ سفن ماجلان على سواحل الجزر الفلبينية، واصطدم بالمسلمين عندما أراد فرض سيطرته، ونشر عقيدته، فقتل في جزيرة ماكيتان من جزر سيبو (فيسايا حالياً)، فتابع من نجا من أتباعه طريقهم حتى عادوا إلى أسبانيا. وكان المسلمون بقيادة (لابولابو) أمير ماكيتان. ثم سيرت أسبانيا بعد ذلك أربع حملات، قتل أفرادها جميعاً؛ لأن الريح كانت تدفعهم نحو الجزر الجنوبية، حيث يكثر المسلمون هناك. ثم جردت أسبانيا حملة كبيرة رافقتها القساوسة في محاولة لتنصير المسلمين، استقرت في جزيرة سيبو، وقاوم (راجا سليمان) حاكم مانيلا (عاصمة لوزون) الإسبان بشجاعة وضرارة، وكان ابن أخ لأحد سلاطين بروني وابن عم السلطان سيف الرجال سلطان بروني الذي صد الإسبان عن بروني عام ٩٨٥ و ٩٨٨هـ / ١٥٧٧ و ١٥٨٠م). واستشهد راجا سليمان عام ١٥٧١م. وباحتلال الإسبان لمانيلا وتهديدهم لأماكن استيطان المسلمين، وبناء مستعمرات جديدة مكانها على يد ليكاسبي سنة ٩٧٩هـ / ١٥٧١م، توقف توسع الإسلام في



إمارة صولو الإسلامية، وقد شملت أرخبيل صولو وجزيرة باسيلان وبالوان وبعض الجزر المجاورة، وقد أسسها الأمير ريباجندار الذي جاء من سومطرة إلى مندناو وباسيلان، ثم استوطن صولو. وكانت أول سلطنة إسلامية

الإسلامية في الفلبين، وبحثوا عن مخرج لأزمته، فقرروا الاتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت وقتها قوة جديدة وناشئة على بيع جزر الفلبين لأمريكا عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، بمائتي مليون دولار^(٢٤)، ليظهر الأمريكيان بصورة المنقذ والمحرر لجزر الفلبين من الاحتلال الإسباني، وبالفعل انطلت الخدعة على سكان البلاد، ورحبوا بالأمريكان، فساعدوهم بقوة ضد الإسبان.

ولكن سرعان ما اكتشف أهل البلاد الخديعة؛ إذ أعلن الإسبان انسحابهم من الجزر والأمريكان ما زالوا على أراضيها، فطلب مسلمو الفلبين من الأمريكان المغادرة فرفضوا بشدة، وأعلنوا ضم الفلبين للولايات المتحدة الأمريكية، فثار المسلمون لذلك، وحملوا سلاحهم مرة أخرى ضد الأمريكان، الذين ساروا على الخط الإسباني نفسه، في محاربة الممالك الإسلامية، وعزل مناطق المسلمين، وفرض سياج من الجهل والتخلف والفقر على أبناء الإسلام هناك، في حين تم تقريب نصارى البلاد واحتضانهم، ورفع مستوى المعيشة لأبنائهم؛ وذلك للهدف البعيد، وهو تسليم البلاد لتلك الطبقة النصرانية الموالية للاحتلال الأجنبي. استمر الاحتلال الأمريكي الصليبي للفلبين قرابة نصف قرن، استطاع خلالها أن يحقق ما عجز عنه الإسبان في ثلاثة قرون باستخدام الخديعة والمكر والمراوغة.

القسم الشمالي من أرخبيل الفلبين، واعتبر الإسبان معركتهم مع مسلمي الفلبين في مانيلا امتداداً لمعاركهم مع المسلمين في الأندلس، فقد كتب أحد الإسبان سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م: عندما نزل جنود ليكاسبي في مانيلا في مكان هو الآن موقع حصن سانتياغو، وهو مفتاح مانيلا، وجدوا مقاطعة مسلمة، يحكمها الراجا ماتندا بمساعدة ابن أخيه الراجا سليلان، وكان هذا الأخير يجذب سياسة الحرب والمواجهة^(٢١).

وعند احتلال الإسبان للجزر الشمالية للفلبين، كان للمسلمين ممالك عدة قوية في الجنوب، أهمها سلطنة (ديتروان)، وسلطنة (صولو)، وسلطنة (ماجنيدنا)، وسلطنة (بويان)، وتلك الممالك هي التي قادت الجهاد الإسلامي ضد الاحتلال التنصيري الإسباني، وبرز عدد من قادة الجهاد الإسلامي، مثل البطل المقدم (ديتروان قدرات)، الذي دوخ الإسبان وقهرهم في معارك كثيرة، ومنهم السلطان نصر الدين سلطان المسلمين في جزيرة صولو الذي قاد الجهاد الإسلامي من داخل الغابات، وأصبح أسطورة البلاد، والشبح الذي بث الرعب في نفوس الإسبان لفترات طويلة^(٢٢).

وقد أبدى المسلمون في الفلبين مقاومة باسلة ورائعة صارت مضرب الأمثال في جنوب شرق آسيا كله، فلقد حارب المسلمون من بيت إلى بيت، فلما أحرقوا منازلهم انتقلوا إلى الغابات، فلما أحرقوا الغابات عادون يسنون بيوتاً جديدة من الأغصان، وظلوا يقاتلون بمتنهي الشراسة على الرغم من وحشية الاحتلال الإسباني في مواجهة المقاومة، حتى إنهم أجبروا الحاكم العام الإسباني في الفلبين على الفرار إلى هونج كونج سنة ١٨٩٥م، الأمر الذي جعل الإسبان يفكرون جدياً في كيفية الخروج من المأزق الفلبيني المرعب، وأخيراً رأى الإسبان أن شعب المورو شعب مكافح صامد، لا يُنال بقوة السلاح، فمالوا إلى المصالحة والمهادنة مع السلطان^(٢٣).

وازداد شعور الإسبان بعجزهم الكبير عن مواجهة المقاومة



المعالم الإسلامية وأبرز الدعاة:

وعلى الرغم من الحرب الضارية التي تعرض لها المسلمون في مانيلا على يد الاستعمار الإسباني والحكومات التي توالى من بعده، سواء كانت إسبانية أو محلية يشكلها المتعاملون مع الاحتلال، فإن الهوية الإسلامية لا تزال موجودة في المدينة، ممثلة في عدد من الأحياء والمعالم الإسلامية، ومن أبرز تلك المعالم حي كويابو الذي يمثل مركز الثقل والتجمع للمسلمين في مانيلا، ولا يزال الحي يحتفظ بالكثير من السمات الإسلامية فيه؛ حيث تكثر محال بيع الأعشاب الطبية والغذائية، وهو ما كان يميز المسلمين في السابق.

ومن ناحية أخرى فإن الحي له سمة تطبع كل الأحياء المسلمة في المناطق التي كانت في السابق تخضع للحكم الإسلامي ثم استولى عليها الاستعمار، وهذه السمة هي الفقر؛ حيث يعاني ذلك الحي من الفقر الشديد، على الرغم من أنه يقع في وسط المدينة ومثل في السابق المركز التجاري لها؛ مما دعا الحكومة إلى تنظيم حملة من أجل إعادة ترتيبه وتنسيقه بما يعيده إلى سابق عهده، ويوجد في العاصمة الفلبينية أيضاً المركز الإسلامي الذي يقوم ببعض الأنشطة الدعوية، غير أنه لا يستطيع القيام بالأنشطة التي تكفل للمسلمين التعرف على أصول دينهم بالدرجة الكافية، كما يوجد فيها سور قديم بُني في عهد الملك المسلم (راجا سليمان)، الذي كان ملك سلطنة مانيلا، والذي حاربه الإسبان حتى قتلوه (٢٥).

كما يعد المسجد الذهبي من أبرز المعالم الإسلامية في المدينة الذي يُعد أحد أكبر المساجد في الفلبين كلها، لا في مدينة مانيلا وحدها، وقد اكتسب ذلك المسجد اسمه من أن قبته ومئذنته ذهبيتان، وهي قبة كبيرة عربية الطراز مبنية على غرار القبة التي تعلو القبر الشريف في المسجد النبوي، وتعلوه أقواس عربية جميلة، ونوافذ عربية ذات زجاج ملون بألوان جميلة، وقد بني في العام ١٩٧٦م، على نفقة الدولة الفلبينية،

على الرغم من الحرب الضارية التي تعرض لها المسلمون في مانيلا على يد الاستعمار الإسباني والحكومات التي توالى من بعده، سواء كانت إسبانية أو محلية يشكلها المتعاملون مع الاحتلال، فإن الهوية الإسلامية لا تزال موجودة في المدينة، ممثلة في عدد من الأحياء والمعالم الإسلامية، ومن أبرز تلك المعالم حي كويابو الذي يمثل مركز الثقل والتجمع للمسلمين في مانيلا

بأمر من الرئيس فرديناند ماركوس، من باب المجاملة للمسلمين، الذين لم يستطيعوا أن يبنوا بجهدهم الخاصة مسجداً كبيراً لاثقاً بهذه المدينة الكبيرة على حد تعبيرهم (٢٦).

وبعد الحرب العالمية الثانية أعلنت الحكومة الأمريكية استقلال الفلبين عام ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م، وسلمت زمام الأمور لحكومة نصرانية على رأسها رئيس من الكاثوليك، فاهتم القساوسة بإثارة الحكومة على المسلمين (٢٧). فكتب على المسلمين الفلبينيين الجهاد مرة أخرى، كما صدر قرار ضم جنوب الفلبين الإسلامي إلى هذه الحكومة من جانب أمريكا.

وقد اشتد التحدي الصليبي الكاثوليكي بعد الاستقلال بشن هجمات إبادة جماعية على المسلمين، كما جاء في عريضة منظمة تحرير شعب المورو المرفوعة إلى لجنة حقوق الإنسان، اتهمت فيها حكومة الفلبين بقتل ما لا يقل عن مائة ألف مسلم وجرحهم، وشردت نصف مليون، واغتصبت مليون هكتار من أرض المسلمين، وحرقت البيوت والمساجد والمدارس، وجاء في الكتاب الأبيض الذي قدمه المسلمون إلى حكومة الفلبين عام ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م: أن عدد المذابح والحوادث



**(شريف أولياء): وهو من أوائل
دعاة الإسلام الذين جاءوا إلى
ماكينداناو وغيرها، حيث عمل
على نشر تعاليم الدين الإسلامي،
وتزوج هناك، فأنجب بنتاً سُميت
(فراميسولي)، وعاد من حيث جاء
من الملايو، ولعل هذا الداعي هو
الذي يقول فيه بعضهم إنه الشريف
إبراهيم زين الدين الأكبر بن جمال
الدين الحسين بن أحمد شاه بن
عبدالله شاه بن عبدالمك بن
علوي بن محمد صاحب مرباط.**

الدامية التي ارتكبت ضد المسلمين في جنوبي الفلبين بلغ ١٧ ٤
حادثة في ثلاث سنوات (٢٨).

ومن خلال هذا البحث يتبين لنا أن أشهر رجال الدعوة إلى
الإسلام في الفلبين، والذين دخلو جزائر سولو ومكينداناو
وغيرها ستة، هم:

١- (شريف أولياء): وهو من أوائل دعاة الإسلام الذين جاءوا
إلى ماكينداناو وغيرها، حيث عمل على نشر تعاليم الدين
الإسلامي، وتزوج هناك، فأنجب بنتاً سُميت (فراميسولي)،
وعاد من حيث جاء من الملايو، ولعل هذا الداعي هو الذي
يقول فيه بعضهم إنه الشريف إبراهيم زين الدين الأكبر بن
جمال الدين الحسين بن أحمد شاه بن عبدالله شاه بن عبدالمك
بن علوي بن محمد صاحب مرباط.

٢- الشريف ماراج (مهراج): وقد جاء إلى الفلبين بعد أن
توفي شريف أولياء وتزوج من ابنته (فراميسولي)، فأنجب
منها ابنين تابو ناوي وممالو، اللذين أدرتهما الشريف محمد
علي زين العابدين.

٣- الشريف مخدوم إسحاق، وهو الملقب (علو الإسلام) بن
إبراهيم اسمارا، الذي أنفذ عمره في الدعوة إلى الله، واتخذ له
مركباً يدور فيه على جزر الشرق يدعو إلى الإسلام، قدم إلى
جزيرة منداناو وأرخبيل صوله سنة ٧٨٥هـ / ١٣٦٥م، وقيل

٨٠٤هـ / ١٣٨٤م على اختلاف الروايات والأصح في سنة
٨٠٠هـ / ١٣٨٠م (٢٩)، وكان يتلقى منه الطلاب العلم في
فاسى ومالاكا، حتى إذا تخرجوا على يده في العلم والتربية
رتب إرسالهم وعين لهم الجهات التي يذهبون إليها للدعوة،
وكان بمنزلة عظيمة من التقشف والزهد والاقتصار في المطعم
 والملبس، واسع العلم. وقد ناقش بعض رؤساء الديانة
البوذية والبرهمية وناظرهم، فغلبهم وأفحمهم.

٤- الشريف زين العابدين في أرخبيل سالا (سولو)، وهو
أول من ملك سولو، ولم يوجد في سولو شجرة نسب أو
تاريخ، ولكن هذا مما يتناقلون.

٥- الشريف محمد بن علي زين العابدين الملقب كابونغسوان.
٦- الشريف أبوبكر، العالم الداعي إلى الله الذي تلقى تعاليم
الإسلام في مكة المكرمة، والآخذ عن مخدوم، ومؤلف كتاب
(الدر المنظوم)، والذي أصبح سلطاناً على جزر سولو بعد
راج بكيندا.

واستمرت قوة المسلمين ومملكتهم إلى أن دخلت القوات
الإسبانية الفلبين سنة ٩٤٠هـ / ١٥٢١م.

الهوامش:

(١) سلندوغ أو لوزون، هي الأرض الكبيرة الواقعة في شمال أرخبيل الفلبين.
انظر الجعفري، بشار: أولياء الشرق البعيد، دار طلاس للدراسات والترجمة
والنشر، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٢٩٤.

(٢) نسبة إلى جمقا، وهي تقع في منتصف الطريق بين الهند والصين.

(٣) الجعفري، بشار: أولياء الشرق البعيد، مرجع سابق، ص ٢٨٦.

(٤) الحداد، علوي بن طاهر: المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى،
تحقيق، محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة - جدة - المملكة العربية السعودية،
ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ٢٧١.

(٥) جهور يضم الجيم والهاء وسكون الواو. وأهلها يكتبونها جُوهر، والمراد بها
هنا جهور لام (أي القديمة) التي كانت عاصمة السلطان عبد الجليل شاه ومن



قبله ومن بعده قبل خرابها . وأما جهور الجديدة فمؤسسها السلطان أبو بكر شاه والد السلطان الخليل إبراهيم . ويقال جوهور أو جوهر أو جهور وهي المنطقة الواقعة في أقصى شبه جزيرة الملايو الماليزية إلى الشمال من سنغافورة حالياً . (انظر الجعفري، بشار : أولياء الشرق البعيد، مرجع سابق، ص ٣٨٧).

(٦) الحداد، علوي بن طاهر : عقود الألباس، تريم للدراسات والنشر، ص ١٣١ .
(٧) الحداد، عقود الألباس، ص ١٣٨ .

(٨) راج باكيندا هو ملك (سولو) و(بوانسا) وهو الذي افتتحها بالإسلام، وهو أحد ابني زين العابدين بن علي الباقر، أخو الشريف كابونغسون، واسمه علوي أو أحمد كما في الروايات التي ذكرها الدكتور نجيب صليبي . (انظر الحداد، علوي بن طاهر : المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، مرجع سابق، ص ٢٦٦).

(٩) الحداد، علوي بن طاهر الحداد : عقود الألباس، مرجع سابق، ص ١٣٩ .

(١٠) لفظ شريف كلمة عربية معناها النسبة إلى نسب شريف، وهي في الأغلب لقب لذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم، واللقب التام هو السيد الشريف، فالعرب والإيرانيون يلتزمون كلمة السيد فقط، ولكن مسلمي الفلبين لا بد أن يستعملوا الكلمتين السيد الشريف لشدة اعتزازهم بهن . (انظر الجعفري، بشار : أولياء الشرق البعيد، مرجع سابق، ص ٣٩١).

(١١) الحداد، علوي بن طاهر : المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، مرجع سابق، ص ٢٣٩ .

(١٢) الجعفري، بشار : أولياء الشرق البعيد، مرجع سابق، ص ٣٥٤ و ٣٥٥ .

(١٣) بعد أن استقر الشريف زين العابدين في جوهور، طلب من السلطان السماح له في أن يجلب ابنه له يدعى أبا بكر مقيماً في مكة المكرمة، فسمح له، وقد كان فقيهاً وعالمًا بالدين كآبيه . (انظر الحداد، علوي بن طاهر : المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، مرجع سابق، ص ٢٦٦).

(١٤) الحداد، علوي بن طاهر الحداد : عقود الألباس، مرجع سابق، ص ١٤١ .

(١٥) الحداد، علوي بن طاهر : المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، مرجع سابق، ص ٢١٠ .

(١٦) الجعفري، بشار : أولياء الشرق البعيد، مرجع سابق، ص ٣٥٦ .

(١٧) الحداد، علوي بن طاهر الحداد : عقود الألباس، مرجع سابق، ص ١٤٣ .

(١٨) جزر هالماهيراهي من جزائر الملوك حالياً، واصطفوا يعتقد أنها اسم أستراليا القديم أو اسم جزيرة ايربان جايا الإندونيسية حالياً، وأما فوافاهي جزء من جزيرة (غينيا الجديدة كان الرحالة المسلمون القدامى يسمونها جزر (واق الواق) باعتبار أنها آخر البر قبل ولوج البحر الزفني الكبير (المحيط الهادي). (الجعفري، بشار : أولياء الشرق البعيد أساطير مجهولة في أقاصي المعمورة، مرجع سابق، ص ٣٩٢).

(١٩) الجعفري، بشار : أولياء الشرق البعيد، مرجع سابق، ص ٣٥٩ . ينظر كذا (محمد، جميل عبدالله المصري : حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، الجامعة الإسلامية المدينة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ١ / ٢٨٣).

(٢٠) عدس، محمد يوسف : الفلبين، دار المعارف، القاهرة، ط ١ / ١٩٦٩ م، ٢٠ .

(٢١) محمد، جميل عبدالله المصري : حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، مرجع سابق، ١ / ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢٢) <http://islamion.com/news> / جهاد - مسلمي - الفلبين - ضد - الاحتلال - الأسباني . كما يدل على ذلك ما ذهب إليه الجعفري، بشار : أولياء الشرق البعيد أساطير مجهولة في أقاصي المعمورة، مرجع سابق، ص ٣٩٢ .

(٢٣) المشهور، عبدالرحمن بن محمد بن حسين : شمس الظهيرة، تحقيق محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة - جدة، ط ١ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، ص ٢٧٢ . كما أشار إلى ذلك (عدس، محمد يوسف : الفلبين، مرجع سابق، ٢ / ٧ - ٨).

(٢٤) محمد، جميل عبدالله المصري : حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، مرجع سابق، ص ٢٨٨ .

(٢٥) العبودي، محمد بن ناصر : نظرة إلى الفلبين بين زيارتين : رسمية، وخاصة، مطبعة النرجس التجارية، الرياض، ط ١ / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ٣٣ .

(٢٦) العبودي، نظرة إلى الفلبين، مرجع سابق، ص ٤٠ .

(٢٧) مؤنس، حسين : الإسلام الفاتح، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، القاهرة، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م، ص ٦٠ .

(٢٨) تقرير مقدم من جبهة تحرر مور و لمنظمة المؤتمر الإسلامي . ذكر ذلك المصري، جميل عبدالله محمد : حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، مرجع سابق، ص ٢٩٠ .

(٢٩) بشير، أحمد : تاريخ الإسلام في الفلبين، مطبعة المدني، القاهرة، ط ١ / ١٣٨٤ / ١٩٦٤ م، ص ١٦ .

قائمة المصادر والمراجع:

١ - الجعفري، بشار : أولياء الشرق البعيد، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط ١ / ٢٠٠٣ م.

٢ - الحداد، علوي بن طاهر بن عبدالله : المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، تحقيق، محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة - جدة - المملكة العربية السعودية، ط ١ / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٣ - الحداد، علوي بن طاهر : عقود الألباس، تريم للدراسات والنشر .

٤ - العبودي، محمد بن ناصر : نظرة إلى الفلبين بين زيارتين رسمية، وخاصة، مطبعة النرجس التجارية، الرياض، ط ١ / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥ - المشهور، عبدالرحمن بن محمد بن حسين : شمس الظهيرة، تحقيق محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة - جدة، ط ١ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٦ - بشير، أحمد : تاريخ الإسلام في الفلبين، مطبعة المدني، القاهرة، ط ١ / ١٣٨٤ / ١٩٦٤ م.

٧ - عدس، محمد يوسف : الفلبين، دار المعارف، القاهرة، ط ١ / ١٩٦٩ م.

٨ - محمد، جميل عبدالله المصري : حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، الجامعة الإسلامية المدينة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٩ - مؤنس، حسين : الإسلام الفاتح، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، القاهرة، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م.

أضواء على الحركة التماونية بتريم

في ستينيات القرن العشرين الميلادي
جمعيتا (المزارعين) و(العمال) أنموذجاً



غيّت بعض كتب التاريخ الحضري جوانب مهمة، كانت جزءاً من أحداث وتحوّلات شهدتها حضرموت في فترات زمنية، أو اكتفت بالإشارة إليها باقتضاب، وينطبق هذا على المجري العام للتاريخ الحضري أو بعض أعلامه وشخصياته. وفي القرن العشرين الميلادي حصل تحول كثير في الشأن الاجتماعي نتيجة لظروف وتأثيرات خارجية، أهمها أثر التحويلات المالية للمهاجرين، التي أحدثت تغييرات في وسائل العمل الزراعية، وبناء المدارس الأهلية، وانتقال أفكار التجديد والإصلاح بتأسيس الأندية الثقافية والجمعيات، (إن إقامة الجمعيات والمدارس الحديثة وإنشاء الصحف في مهاجر الحضارم، وخاصة في جنوب شرق آسيا، كان أحد وسائل الثورة على الجمود الفكري والبدع والخرافات والتقاليد البالية) (١).



صالح مبارك عصبان



الجمعيات والعمل التعاوني بتريم:

تعافت حضرموت تدريجياً بعد سنوات من الحروب والفتن والصراعات، وبرزت ملامح أعمال منظمة في الحكم والشأن السياسي، بتكوين السلطتين القيعية والكثيرة، وتهيأت الأسباب الداخلية والخارجية لظهور الجمعيات والعمل التعاوني بجهود المهاجرين الحضارم، ورجال التربية والثقافة في الداخل، وفي تريم تأسست جمعية الحق عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م، وجمعية الأخوة والمعاونة عام ١٣٥٠هـ / ١٩٢٨م، وجمعية نشر الفضائل عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م، ووقفت أمامها جبهات المعارضة التي ترى في كل جديد وطارئ خروجاً عن الخط العام الذي ألفتته، وتهديداً لوجودها من حيث الواجهة والتصدر والظهور.

واهتمت تلك الجمعيات وغيرها من الأندية الثقافية بتأسيس المدارس والأندية الثقافية والصحف، وشركات المساهمة في الزراعة والتجارة وسن قوانين تنظم بعض مظاهر الحياة الاجتماعية، كعادات الزواج، وحصر الموالي، والشؤون البلدية، وأسهمت إلى حد ما في إيقاظ الوعي والتحرر من قيود الجهل والانغلاق والانعقاد.

فتكونت تلك الجمعيات والمنتديات الفكرية والتجمعات الوطنية - ولأول مرة - وإلى حد ما على أساس فكري، أو مهني (لا طبقي أو سلافي) حسب تعبير الأستاذ عبدالقادر محمد الصبان، واتجه بعضها إلى نقد الظواهر الاجتماعية السيئة والعادات البالية والوجود الاستعماري^(٢).

أثمرت البعثات التي أرسلتها جمعية الأخوة والمعاونة إلى الشام والعراق، ونشاط المهاجرين الفكري والتربوي في جنوب شرق آسيا، وتأثر المهاجرين عموماً بحركات التحرير، والأفكار التجديدية ومشاهدة العمل النقابي والتعاوني في العالم، أثمر هذا وغيره من العوامل في تأسيس (جمعية العمال)، و(جمعية المزارعين)، والسطور الآتية تلقي الضوء على هاتين الجمعيتين، ولعله أول عرض مكثف عنهما.

”تعافت حضرموت تدريجياً بعد سنوات من الحروب والفتن والصراعات، وبرزت ملامح أعمال منظمة في الحكم والشأن السياسي، بتكوين السلطتين القيعية والكثيرة، وتهيأت الأسباب الداخلية والخارجية لظهور الجمعيات والعمل التعاوني بجهود المهاجرين الحضارم، ورجال التربية والثقافة في الداخل، وفي تريم تأسست جمعية الحق عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م، وجمعية الأخوة والمعاونة عام ١٣٥٠هـ / ١٩٢٨م، وجمعية نشر الفضائل عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م

جمعية مزارعي تريم الزراعية:

لا يمكن الحديث عن جمعيات المزارعين بوادي حضرموت دون الإشارة إلى حمود باضاوي، هذه الشخصية التي بدأت الخطوات الأولى للتنظيم المهني للمزارعين، وأتت هذه الثمرة عبر جهود بذلها مع نخبة من زملائه، ففي عام ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م خرج المزارعون في مسيرة بمدينة سيئون إثر زيادة في الضرائب المفروضة عليهم، تلتها مظاهرات في مناطق أخرى، اعتُقل بعدها الزعيم باضاوي وتم نفيه إلى (غيل بن يمين)، وفي عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م تكونت جمعية المزارعين بسيئون، ومن أهداف هذه الجمعية انتعاش الزراعة، وتحسين حالة المزارع، وأصدرت السلطات قراراً بإغلاقها، وأعيد نشاطها مرة أخرى عام ١٩٥٩م، وبحسب لهذه الجمعية خطوتها الجريئة في وحدة مزارعي وادي حضرموت الذي تنقاسمه السلطنتان القيعية والكثيرة، وبهذه الخطوة تم تجاوز الحدود الوهمية التي فرضها المستعمر البريطاني، وبدأ المزارعون يعون أهمية وجود كيان ينظم عملهم، ويدافع عن



أثمرت البعثات التي أرسلتها جمعية الأخوة والمعونة إلى الشام والعراق، ونشاط المهاجرين الفكري والتربوي في جنوب شرق آسيا، وتأثر المهاجرين عموماً بحركات التحرير، والأفكار التجديدية ومشاهدة العمل النقابي والتعاوني في العالم، أثمر هذا وغيره من العوامل في تأسيس (جمعية العمال)، و(جمعية المزارعين) ٤

مراسلات الجمعية توقع به (هيئة المزارعين المنحلة)، وفي عام ١٩٧٢م به (جمعية المزارعين التعاونية بتريم).

النظام الإداري والمهني:

تشير وثائق الجمعية إلى نظام إداري ومالي، سارت عليه منذ تأسيسها عبر دستور ولوائح داخلية، حددت الأهداف، وشروط العضوية، والحقوق، والواجبات، واختصاصات النشاط، فعلى سبيل المثال وجهت الجمعية خطاباً إلى مأمور المديرية الشمالية (سيئون) بتاريخ ١١ شوال ١٣٨٨ هـ الموافق ٣٠ / ١٢ / ١٩٦٨م مرفقاً به دستور الجمعية، ومن الأهداف التي وردت فيه: «(بث روح التعاون بين المزارعين وجمع كلمتهم، العمل على رفع مستواهم مادياً وفكرياً، العمل على حل مشاكلهم، والمطالبة بحقوقهم المشروعة في حدود القانون والنظام، تكوين اللجان التعاونية، الاتصال بالهيئات الزراعية والمنظمات لغرض تطوير وتحسين حالة المزارع، وطرق الاستثمار)،» وحدد الدستور هيئات الجمعية وكيفية انتخابها، ومهامها، ومهام الموظفين والشؤون المالية، وحل الجمعية وتصفية أمورها. وفي هذا الشأن أظهرت وثائق الجمعية توقيعات وأعضاء الجمعية العمومية في انتخاباتها السنوية تفويض الهيئات الإدارية المتعاقبة، ففي عام ١٩٦٥م فوض الأعضاء كلاً من: عبد القادر بن أبي بكر المشهور (جيلاني)، ومبارك بن سليمان بامؤمن،

حقوقهم، كما طالبت الجمعية بإعطائها مسؤولية بيع مادة (الديزل) للمزارعين؛ إذ أنشأت السلطات (المنظمة الوطنية لبيع المحروقات)، واحتكرت توزيع محروقات شركة (شل)، وبدأ النزاع بين المزارعين والمنظمة، انتهى في ٢٣ يناير ١٩٦١م، إلى مقاطعة المنظمة لمدة شهر واحد، والإضراب عن العمل في الزراعة، وبعد مفاوضات أدت إلى تخفيض سعر الديزل ورفع الإضراب، كما قدمت الجمعية مقترحات للسلطات بتمثيل المزارعين في المجالس البلدية، وإصدار قوانين تنظم العلاقة بين المالك والمزارع، وفي إبريل قاطعت الجمعية وفروعها محروقات شركة (شل)، التي تباع بوساطة (المنظمة الوطنية)، بسبب تعنت الشركة ورفضها تخفيض سعر المحروقات، مما اضطر الشركة إلى إرسال مندوبها (كوبر) من عدن إلى سيئون وترميم لمحاولة التوصل إلى حل.

وفي عام ١٩٦٢م تحول اسمها إلى جمعية المزارعين المحدودة، وفي عام ١٩٦٣م تشكلت (اللجنة العليا لجمعيات العمال والمزارعين) (٣).

ابتداءً شارك بعض مزارعي تريم وضواحيها في جمعية المزارعين، التي تأسست بسيئون عام ١٩٥٩م، واستمر النشاط، وعقد اجتماع بتريم في بيت عبد القادر بن أبي بكر المشهور المعروف بـ (جيلاني مشهور)، واتخذت فيه قرارات مهمة، وفي عام ١٩٦٢م تولى كل من عبد القادر المشهور، ومبارك سليمان بامؤمن مسؤولية فرع الجمعية بتريم.

ثم حصل تغيير في الاسم خلال سنوات عملها، ولكن ظلّ الهدف من إنشائها هو جمع المزارعين في إطار ينظمهم ويحقق مطالبهم، ففي العام ١٩٦٥م ظهر في مخاطبات الجمعية اسم (جمعية المزارعين بتريم)، وفي العام ١٩٦٦م تحول الاسم إلى (هيئة المزارعين بتريم)، واستمر إلى عام ١٩٦٨م؛ إذ وجهت الهيئة خطاباً إلى مأمور المديرية الشمالية (سيئون) للمطالبة بالمصادقة على دستور (جمعية المزارعين التعاونية بتريم)، ويبدو أن أمر المصادقة قد تأخر؛ ففي عام ١٩٧١م كانت



ومن الملفات والسجلات المتعلقة بالعمل الإداري:

- أسماء الأعضاء وعدد أسهمهم.
- محاضر اجتماعات الهيئة العمومية والهيئة الإدارية.
- ملف شكاوى المزارعين ورسائلهم.
- البرقيات المرسلة إلى الهيئات الرسمية وغيرها.
- ملف المراسلات: وفيه الرسائل الواردة من الجمعية، والصادرة إليها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر رسائل متبادلة بين الجمعية وجمعية المزارعين بسيئون، واللجنة الشعبية بتريم ومحافظ المحافظة الخامسة (حضر موت).
- أما الجانب المالي فقد حظي باهتمام خاص، وانتظم بموجب نظام محاسبي متقدم، توجد به دورة مالية لحسابات الصرف والإيراد، والمستودعات، ويقوم (مكتب بافضل للمحاسبة والمراجعة) - باعتباره هيئة محاسبية معتبرة قانونياً - بمراجعة الحسابات الختامية وإقرارها، ومن الوثائق المتعلقة بهذا النظام:
- كشوفات المساهمين، مبيناً فيها عدد الأسهم وقيمتها.
- حساب منظمة توزيع الوقود.
- أرصدة استلام أرباح الجمعية وتوزيعها.
- حسابات الدُكان التجاري.
- أرصدة مشتريات (مضخات - قطع غيار ...).
- حساب الحرائث.
- حساب الأصول الثابتة والصندوق.
- حساب البراميل الفارغة.
- كشوفات توزيع الزكاة.
- سجلات الأصول والجرد السنوي.
- الحسابات الختامية.
- وبعد الاستقلال عام ١٩٦٧م حاولت نقابة عمال الإنشاء والبناء والتعمير التدخل في أعمال الجمعية وإلزامها بالانضمام للنقابة، وتبادلت معها رسائل عدة تبين وجهة نظرها، ومما جاء في رسالة موجهة من الجمعية: ((... من هذا البيان - أي بيان النقابة - يتضح أسلوب التهديد والإلزام بالدخول في النقابة،

وعلي بن سعيد بكير، وعلي بن حيمد بكير، كهيئة إدارية. وفي عام ١٩٦٧م فوضوا عبدالقادر بن أبي بكر المشهور، وسالم بن سعيد بارجيب، وسالم بن رجب بكير، وعلي بن سعيد بكير. وفي عام ١٩٦٨م فوضوا علي بن سعيد بكير، وجيلاني المشهور، وسالم بن سعيد بارجيب، وكرامة بن حيمد بامؤمن، وعثمان بن عبيد بن شمالان، وناصر بن طالب التميمي، وكرامة بن عبيد الجليل، ومحموظ بن كرامة التميمي، وعبدون بن عوض بريشان. وفي عام ١٩٦٩م تم تفويض عبدالقادر بن أبي بكر المشهور، وعلي بن سعيد بكير، وسالم بن سعيد بارجيب، وكرامة بن حيمد بامؤمن، ومبارك بن كرامة عصبان، وخيس بن ناصر التميمي. وفي عام ١٩٧٠م فوضوا عبدالقادر بن أبي بكر المشهور، وعلي بن سعيد بكير، وسالم بن سعيد بارجيب، وسالم بن رجب بكير. وفي عام ١٩٧٢م فوضوا سالم بن سعيد بارجيب، وعلي بن سعيد بكير، ومبارك بن كرامة عصبان، وعبدالله بن سعيد التميمي، وعبيد بن سعيد ربيحان.

ومن اللوائح التي أنجزتها الجمعية:

- لائحة (نظام وقوانين الزراعة المعمول بها في تريم)، واحتوت على صيغة عقود واتفاقيات تنظم العمل الزراعي كالمخابرة والمخالعة، وحقوق المالك والمزارع وواجباتهما، وأرسلت إلى السلطات للمصادقة عليها.
- (لائحة مواجهة أضرار المواشي لمزارع المزارعين)، وقد أعدت بعد تفاقم الأضرار الناتجة عن إتلاف الزراعة بسبب المواشي، وكتبت عام ١٩٦٨م.
- لائحة (حقوق وواجبات عمال منظمة توزيع المحروقات).
- اتفاقية بين الجمعية و(المنظمة الوطنية لبيع الديزل) بسيئون عام ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م لتحمل الجمعية مسألة بيع الديزل بتريم، وكان يساع في براميل في أحد المباني، ثم عبر عدادات يدوية في موقع في مدخل مدينة تريم.
- محاضر تحكيم وصلاح بين المزارعين والملاك، أو بين المزارعين أنفسهم، أو بين المزارعين والبادية.



”إثر الحراك العمالي بمدينة المكلا عاصمة السلطنة القعيطية، وجهود الزعيم العمالي حمود باضاوي في وادي حضرموت، تكوَّنت جمعية العمال بمدينة سيئون عاصمة السلطنة الكثيرية عام ١٩٦٠م، وفي تريس عام ١٩٦١م ومناطق أخرى، وافتتحت مدارس للأطفال، وأخرى لكبار السن، منها مدرسة القرن عام ١٩٦١م، ومدرسة تريس عام ١٩٦٥م“

الحركة لشيء من شطحات القيادة الحزبية المتمتة، إننا نؤمن بضرورة اتحاد وتنظيم هذه الجماهير العريقة العاملة وتوجيه فعاليتها نحو تحقيق مطالبها العادلة المشروعة، ولكننا ننادي بفصل الحركة العمالية عن الحساسيات السياسية والحزبية والتيارات العقائدية والمذهبية ضمانةً لسلامة سيرها^(٧).

وفي تريم تداول عدد من الشخصيات الرأي بتكوين كيان لهم يحقق أحلامهم؛ لتطويع بلدهم، ومشاركة في رفع الوعي عبر فتح المدارس، وتنظيم المحاضرات، والدفاع عن حقوقهم، متأثرين بما شاهدوه أو سمعوه عن دور المؤسسات والجمعيات والنقابات في الخارج، وما يتمتع به المواطنون في بلدان أخرى من حرية التعبير والمساواة في الحقوق والواجبات، ودور التعليم في نهضة الأمم، واقتراحوا فكرة إنشاء جمعية تعبر عن طموحاتهم لخدمة أهالي مدينتهم تريم، ومن أهم الشخصيات التي حملت هذه الفكرة: سالم عمير مصباح، وحيد سعيد الدوح، ود. عبدالقادر عبدالله الكاف، ومحفوظ صالح باحشوان، وكرامة مبارك سليمان بامؤمن، وغيرهم، وتم عقد مشاورات مع عدد من المثقفين، وبدأوا بالتعريف بالفكرة وأهدافها، وقاموا برحلات إلى سيئون والمكلا لهذا الغرض، ثم وجهوا نداءً لأبناء تريم لدعم الفكرة^(٨)، ونشرت صحيفة الطليعة

وهذا يتعارض نصاً وروحاً مع باب العضوية في دستور النقابة، الذي ينصُّ بحق الاختيار والرغبة دون الإلزام بالاشتراك^(٩)، وتؤكد الرسالة تأييدها للثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م: ((...وفي نفس الوقت نؤيدُ الثورة ونؤكد بضرورة توحيد الحركة العمالية، ونعتبر أنفسنا مجندين لمعركة البناء والتقدم وخدمة جمهوريتنا الفتية)). وفي عام ١٩٧٢م حدثت الانتفاضات الفلاحية عبر قانون (الإصلاح الزراعي)، وتم الاستيلاء على الممتلكات ومنها منظمة توزيع الديزل، والجسمات وغيرها، وأسدل الستار على تاريخ مشرفٍ لجمعية، تحسب لها الريادة في تنظيم العمل الزراعي بصورة مهنية قانونية إدارية تعاونية، يشهد لذلك ما تركته من وثائق عدة^(٤).

جمعية العمال التعاونية بتريم

إثر الحراك العمالي بمدينة المكلا عاصمة السلطنة القعيطية، وجهود الزعيم العمالي حمود باضاوي في وادي حضرموت، تكوَّنت جمعية العمال بمدينة سيئون عاصمة السلطنة الكثيرية عام ١٩٦٠م، وفي تريس عام ١٩٦١م ومناطق أخرى، وافتتحت مدارس للأطفال، وأخرى لكبار السن، منها مدرسة القرن عام ١٩٦١م، ومدرسة تريس عام ١٩٦٥م. وفي عام ١٩٦٢م أوردت صحيفة الرائد خبراً مفاده أن كثيراً من العمال والمزارعين يفكرون في تكوين نقابة عمالية لهم، تضمُّ مختلف أصحاب الحرف والأعمال، في كُلِّ من سيئون وتريم وغيرها من المناطق^(٥)، ثم تأسست (رابطة العمال الحضارم) عام ١٩٦٣م، وفي عام ١٩٦٤م تم تشكيل لجنة عليا لجمعيات العمال والمزارعين، ووقع على وثيقة التأسيس مندوبو ست جمعيات، وكانت صحيفة الرائد قد عرفت بتلك المنظمات قائلة: ((إن الحركة النقابية ليست حركة سياسية، فهي مجرد تضامن وتعاون وثيق بين أصحاب المهنة الواحدة))^(٦)، وفي عدد آخر حذرت الصحيفة من أن تتعرض الجمعيات التعاونية العمالية لانحراف في نشاطها قائلة: ((ونحن في الوقت الذي نحرص على تنظيم الكتل العمالية نخشى أن تتعرض هذه



هذا النداء تحت عنوان (نداء إلى أبناء تريم في الداخل والخارج)، وما جاء فيه: «إن الأمم تسعى لما فيه الخير والتقدم والنجاح والرفي، وخير الوسائل واتباعاً للوصول إلى هذا الهدف، هو التضامن والتعاون والتكاتف والاتحاد، وقد ندب إلى هذا الكتاب والسنة، وحث عليه الشرع والدين، حيث قال تعالى في كتابه المبين: ((واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرقوا))، وقال صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً))، ومن أجل هذا الهدف النبيل اجتمعت إرادة (إخوان لكم) بالغناء الحبيبة لتأسيس (جمعية العمال التعاونية بتريم)، ومن أغراض هذه الجمعية وغاياتها بث روح التضامن والتعاون ونشر التعليم بين صفوف العمال الأميين، ومبادئ المساواة بين أعضائها خاصة، وبين أبناء الشعب عامة ... واجتمع أيضاً لفيف من شباب الغناء فأسسوا لهم نادياً رياضياً تعاونياً ... وقد نالت كل من الهيئتين الناهضتين تأييداً شعبياً من هيئات أخرى هناك، كجمعية الأخوة والمعاونة ونادي الشباب، وطالب النداء أبناء تريم بمد يد العون والمساعدة للجمعية والنادي^(٩).

والمقصود بالنادي هنا، النادي الأهلي الذي أصبح نشاطه مرتبطاً بالجمعية. وفي ٢٣ يناير سنة ١٩٦٣م تم تسجيل الجمعية لدى الحكومة الكثيرة برقم (٣٤) تحت اسم (جمعية العمال التعاونية بتريم)، وصادقت السلطات على قانون الجمعية، ونشرت صحيفة الرائد خبر التأسيس قائلة: «نالت جمعية العمال التعاونية في الآونة الأخيرة مصادقة الحكومة على قانونيتها، وقد سجل هذا القانون وبمقتضى ذلك سمح لها بمزاولة نشاطها، غير أنه ألغيت بعض مواد قانونها، ومن أبرز المواد الملغاة (المطالبة بالمساواة)، وقد أكدت قيادات الجمعية أن الغرض من إنشائها رفع مستوى العامل وصيانة حقوقه وتهيئة فرص العمل، وأنها لن تكون طرفاً في إثارة النعرات العنصرية والطائفية»^(١٠). وبعد الحصول على الترخيص بدأت الجمعية بمزاولة نشاطها، وكثفت من حملات التعريف بها،

ونشرت بياناً في صحيفة الطليعة، جاء فيه: «(في خضم التناقضات والأوضاع السيئة الاجتماعية والاقتصادية والمفارقات اللاإنسانية التي يعيشها شعبنا الأبي في حضرموت خاصة والجنوب عامة، تنادى أفراد من أبناء تريم، حز في نفوسهم الأبية الألم من هذه الحالة، فاجتمعوا ودعوا إلى تشكيل جمعية تكتل الجماهير الكادحة على أسس سلمية من التضامن والتعاون والاحترام، وهكذا شملهم الشعور المشترك بإقامة حياة أفضل لكل مواطن مهضوم الحق، وجمع قلوبهم الإحساس المتبادل لتكون لهم إرادة حرة ومشاركة فعالة»^(١١)، وتضمن البيان بعض أهداف الجمعية، ومنها: نشر التعاليم الإسلامية النبيلة في تحقيق أمان الشعب في حياة كريمة، الدفاع عن المصالح والحقوق المشروعة للجماهير الشعبية بكافة الوسائل الإيجابية القانونية. ويشير الأستاذ عوض مبارك بامؤمن إلى أن عدداً من المثقفين والعمال والفلاحين أسسوا الجمعية، وسجل في عضويتها عند التأسيس قرابة ٤٠ عضواً، من أهمهم المحامي محمد عمر الكاف وكرامة مبارك سليمان، ود. عبد القادر الكاف، وعوض مبارك سليمان بامؤمن (رئيس الجمعية)، ومحمد عبيد بلدرم (سكرتير الجمعية)، وسليم يوسف، وأحمد عوض باعيسى، وسالم عمير مصباح، وعلي سعيد بكير، وحيد الدوح^(١٢).

انتظمت انتخابات هيئاتها بصورة تنافسية، ففي مايو ١٩٦٥م انتخبت هيئة إدارية جديدة برئاسة الأستاذ كرامة مبارك بامؤمن، والدكتور عبد القادر الكاف نائباً للرئيس، وعضوية محفوظ صالح باحشوان، ومحمد بلدرم، وسليم يوسف، وعوض كرامة الرميدي، وسالم عمير مصباح، ومحمد عمر الكاف، وعمر عوض^(١٣). وفي مسار عملها المهني والتوعوي تكفل الأعضاء بدفع رسوم شهرية لتسيير العمل، واتخذت مقرراً لها لتنظيم النشاط وعقد الاجتماعات وإلقاء المحاضرات من قبل أعضائها البارزين، ومنهم مبارك كرامة سليمان بامؤمن، وعلي عقيل بن يحيى، وقامت بشراء جهاز عرض سينمائي



” في تريم تداول عدد من الشخصيات الرأي بتكوين كيان لهم يحقق أحلامهم؛ لتطوير بلدهم، ومشاركة في رفع الوعي عبر فتح المدارس، وتنظيم المحاضرات، والدفاع عن حقوقهم، متأثرين بما شاهدوه أو سمعوه عن دور المؤسسات والجمعيات والنقابات في الخارج، وما يتمتع به المواطنون في بلدان أخرى من حرية التعبير والمساواة في الحقوق والواجبات، ودور التعليم في نهضة الأمم، واقترحوا فكرة إنشاء جمعية تعبر عن طموحاتهم لخدمة أهالي مدينتهم تريم “

السيد كرامة سليمان بأن دخول عناصر من حزب البعث في الجمعية -ليس هذا فحسب بل أنهم عينوا في قيادتها - نقول إن مثل هذه الخطوات تعتبر خطوة إلى الوراء، بالرغم من حسن نية الرئيس ومحاولته لدفع الجمعية إلى الأمام بالطريقة التي يؤمن بها»^(١٥).

غير أن إدارة الجمعية ردّت على المقال بمقال (عمال، لا بعثيون في قيادة جمعية العمال)، نشرته الصحيفة في العدد (١٧٩)، وما جاء فيه: «نشر الأخ إبراهيم الكاف في العدد (١٧٤) من الرائد الحضرمية أخباراً ملفقة مغرضة عن جمعية العمال التعاونية بتريم، ولا نريد في هذه اللفتة أن ننتقد الأخ إبراهيم لأنه لم ينشر فكرة تستحق النقد، كما أنه لم يسجل وقائع لها دلالتها وقيمتها الموضوعية، إنما نريد فقط أن نصحح مفاهيمه الخاطئة.

يا أخ إبراهيم، إن كنت تجهل فاعلم أن الذي يمسك بزمام الأمور في جمعية العمال هم أعضاء إدارتها الحائزون على ثقة الهيئة العامة للجمعية، وقد ألوا على أنفسهم خدمة أهداف الجمعية وتحقيق أغراضها، والعمال أعضاء الجمعية، أعرف أكثر من غيرهم بالمصلح من المفسد»^(١٦).

لعرض أفلام توعوية في تريم وشبام والقطن والحوطة، كما فتحت لها حساباً في البنك الأهلي لضبط أمورها المالية، وأصدرت صحيفة (صوت العمال)، ونشرة داخلية تطبعان (بالروينو).

وتوسعت أهدافها لتوحيد جهود الجمعيات والمؤسسات الأخرى بوادي حضر موت، وتوجّه وفد من أعضاء الجمعية إلى سيئون، وفي عضويته أحمد عوض باعيسى، وسليم بن يوسف، وسالم عمير مصباح، ومحفوظ الحسين، وعوض عبيد باسلمة، وأحمد حميد باحيمود، وعلي عقيل بن يحيى، للمشاركة في اجتماع (الهيئات العمالية والزراعية بسيئون وتريم)، وألقى الأستاذ علي عقيل محاضرة عن دور الحركة العمالية في معركة النضال العربي، وأهمية توحيد الجهود العمالية والتعاونية، ومما قال فيها: «إن حركتنا العمالية ليست ضد فئة معينة بالذات، وإنما هي ضد الظلم والسخرية والاستغلال من أي فئة كانت...

إننا نحكم بلا دستور يسته الشعب، ويستغل مقدراتنا نفوذ الحكم وقوة المال، فتشرى في مجتمعاتنا في الساحل والداخل طبقة قليلة على حساب الأغلبية الفقيرة الساحقة»^(١٤)، وأكد الاجتماع على أن من أهداف تجمع الحركة العمالية نصر المظلوم ومحاربة الظلم.

وكأي حدث طارئ ومكون غير مألوف لم تسلم الجمعية من قوى معارضة لتوجهاتها، سواء من القوى التقليدية التي تتخوف من كل جديد، أو مؤسسات أخرى منافسة، ولم تسلم أيضاً من النقد، ومن ذلك مقال في صحيفة الرائد بعنوان (بعثيون في قيادة جمعية العمال)، للصحفي إبراهيم الكاف، جاء فيه: «كلنا نعرف، وتأكد لنا أن هناك عناصر بعثية في جمعية العمال بتريم، وهذه العناصر هي التي تمسك بزمام الأمور، وتسير الجمعية، وتتصرف في أمورها الإدارية بعد الرئيس كرامة مبارك سليمان الذي تفيد الأخبار كلها بأنه ليس بعثياً من قريب أو بعيد... وجمعية العمال بتريم لا ننكر أنها قامت من أجل رفع مستوى العامل في حضر موت، وكافحت واستمرت في طريق نضالها، إلا أننا نود أن نهمس في أذن رئيسها



المشاركة في العمل الوطني:

للجمعية إسهام في خدمة قضايا الوطن والمواطنين، وعملت مع الجمعيات والهيئات الأخرى بمدينة تريم على التحرك سويًا لتقديم المطالبات بتحسين وضع المدينة، وتوفير الخدمات، وإصلاح نظام الحكم، وفتح المدارس، وإصلاح الطرقات، وتابعت صحيفة الطليعة هذا النشاط؛ إذ نشرت في أحد أعدادها متابعة إخبارية تقول فيها: «تُبدي هذه الأيام جمعية العمال نشاطًا ملحوظًا برئاسة الأستاذ الجامعي كرامة سليمان بامؤمن، وقد أعدت العدة لفتح صفين لتعليم الكبار ليلاً لمكافحة الأمية بين قطاعات العمال... كما تُبدي الجمعية اتصالات هامة مع الهيئات المماثلة حول موضوع البترول ومعاملة الشركة للعمال الحضارم معاملة قاسية ووضع قوانين للعمل بها»^(١٧).

وفي نوفمبر ١٩٦٣م تداعت المكونات الشعبية بتريم لعقد (مؤتمر شعبي)؛ لوضع خطة لإيجاد نهضة بالمدينة، وتم تشكيل لجنة تضم تلك المكونات - ومن ضمنها جمعية العمال - لمقابلة السلطان الكثيري، وضم الوفد كلاً من عبدالله عمر الكاف، وكرامة مبارك سليمان، ومحمد عبدالرحمن الجنيد، وعمر بن أحمد الشاطري، وأحمد عوض باعيسى، وعلي عقيل بن يحيى، ومحمد عمر الكاف، وقدم الوفد مطالب أهالي تريم بتطوير التعليم والتوسع فيه، ورفع المستوى الصحي، ودراسة أوضاع المجلس البلدي، ووضع قانون يمثل فيه أهالي تريم في المجلس تمثيلاً صحيحاً^(١٨). وتفاعلاً مع المد القومي والثورات العربية شهدت مدينة تريم احتفالاً بمناسبة انتصار تلك الثورات ونيل الحريات، فأقام نادي الشباب في أبريل ١٩٦٣م حفلاً بمناسبة انتصار الثورات الشعبية في العراق وسوريا والجزائر واليمن، تحدث فيه مندوبو جمعية الأخوة والمعاونة وجمعية العمال والنادي الرياضي بدمون والنادي الأهلي بتريم، وفي السنة نفسها استضافت جمعية العمال وجمعية الأخوة ونادي الشباب، عمر سالم باعبد؛ لتقديم وجهة نظره عن الأوضاع السياسية،

وما يحمله من أفكار لتأسيس حزب سياسي^(١٩)، ووقعت الجمعية على بيان الهيئات الشعبية بتريم الصادر في ٣١ أكتوبر ١٩٦٥م الذي استنكر إلقاء قنبلتين على المظاهرات الطلابية في سيئون والمكلا احتجاجاً على زيارة المندوب السامي البريطاني إلى حضر موت.

وبعد ثلاث سنوات من عملها، قام وفد من الجمعية بزيارة مدينة المكلا في نوفمبر ١٩٦٥م برئاسة سالم عمير مصباح، فقابل وزير السلطنة القيعية والأمين العام لنقابة عمال البناء والتعمير وعدداً من التجار والعمال، بغرض إعطاء معلومات عن إنجازات الجمعية في مختلف الجوانب، ومنها الجانب التعليمي من خلال فتح مدرسة أهلية للصغار وصفوف لتعليم كبار السن، وتشكيل لجنة لجمع التبرعات لتلك المشاريع^(٢٠).

تسارعت الأحداث على الساحة السياسية وارتفعت وتيرة المقاومة السياسية والعسكرية ضد الاستعمار البريطاني، ووصلت قضية الجنوب إلى أروقة الأمم المتحدة التي أصدرت قرارات بحق تقرير المصير وتصفية الاستعمار، ونشطت الخلايا السياسية لاستقطاب أعضاء وعناصر لبرامجها وأهدافها، وعبر أسلوب التوعية وجدت الهيئات الشعبية فرصة للانتقال إلى مرحلة متقدمة في حراكها الوطني، والمشاركة في هذا الجهد بالضغط على السلطتين لإطلاق الحريات، والوقوف ضد محاولات بريطانيا إجراء عمليات شكلية لإعطاء استقلال منقوص، تمثل في التهيئة (لمؤتمر لندن الدستوري)، الذي روجت له بوصول وزير المستعمرات البريطاني إلى الجنوب وزيارة حضر موت، وأقرت الهيئات بتريم في يونيو ١٩٦٤م تشكيل لجنة تحضيرية للاتصال بالأندية والمنظمات العمالية للدعوة لعقد مؤتمر شعبي لإصدار بيان سياسي يرفض ويشجب أية قرارات تصدر عن (مؤتمر لندن الدستوري)، الذي يهدف حسب تصريحات وزير شؤون المستعمرات البريطاني إلى مناقشة مشروع الاتحاد الدستوري حول الاستقلال، غير أن الغرض



”وكأي حدث طارئ ومكون غير مألوف لم تسلم الجمعية من قوى معارضة لتوجهاتها، سواءً من القوى التقليدية التي تتخوف من كل جديد، أو مؤسسات أخرى منافسة، ولم تسلم أيضاً من النقد“

عبد الناصر، يسقط المخطط الثقافي)، ثم تُلِيتُ برقية مبعوثة من المتظاهرين إلى الأمانة العامة للجامعة العربية ووزير المستعمرات البريطاني تستنكر منع دخول المدرسين المصريين إلى حضر موت (٢٣).

أزعجت المظاهرات وتنامي الحركة الوطنية المستعمر وركائزها، فبعث وزير مستعمراته (جرين وود) إلى مدينة سيئون بتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٦٤م لمحاولة ضم حضر موت إلى الاتحاد الفيدرالي، وانتهزت الهيئات الشعبية بتريم الفرصة لإيصال رسالة له تحدد موقفها من مجمل المستجدات، وأرسلت وفداً ضمَّ عن جمعية الأخوة والمعاونة أحمد زين بلفقيه، وعمر أحمد الشاطري، وعن جمعية العمال د. عبد القادر الكاف، وسالم عمير، ومحمد عمر الكاف، وعن نادي الشباب حسين عبدالله الكاف، وعبدالله عمر الكاف، وعن النادي الأهلي حامد الحداد، وصالح باغريب، واعتذرت هيئات سيئون عن مناصرة هذا الوفد بإيعاز من السلطة الكثيرة، وسلم الوفد مذكرةً للوزير البريطاني قدم فيها شرحاً لوجهة نظره حول الأوضاع السياسية بغياب الدستور والقوانين التي تصون الحقوق والحريات، والشأن الاجتماعي وما فيه من تخلف وفقر وجهل وأمراض، ولخصت المذكرة المطالب الشعبية بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة بشعب الجنوب، وإطلاق الحريات العامة بما فيها حرية تأسيس الأحزاب والنقابات وإطلاق سراح السجناء السياسيين، وإجراء انتخابات حرة ونزيهة.

الرئيس هو منح استقلال مُزيَّف للتحايل على قرارات الأمم المتحدة، وقد عقد المؤتمر واتخذ قراراً بمنح الاستقلال للاتحاد الفيدرالي عام ١٩٦٨م، ورفع السيادة عن عدن تدريجياً مع بقاء القاعدة العسكرية، وتوجيه الدعوة إلى يافع العليا وسلطنات القعيطي والكثيري، والمهرة للانضمام إلى الاتحاد الفيدرالي (٢١).

شاركت جمعية العمال في (مؤتمر الهيئات الشعبية بتريم وسيئون)، وحاولت السلطنتان منعه وتهديد بعض أعضائه، وكان مقرراً عقده في منطقة دُمُون، وبسبب ملاحقة السلطات عقد في منطقة (البدع) شمال ثبي، التابعة للسلطنة القعيطية بتاريخ ٤ يونيو ١٩٦٤م، واتفق أعضاء الوفود على البسيان، وفي أثناء الاجتماع حاصرت الشرطة مقر الاجتماع، وداهم (قائم منطقة دمون) للمنطقة القعيطية المقر وأمر بفض الاجتماع (٢٢).

مثَّل هذا المؤتمر أكبر تحدياً شعبياً للسلطات الاستعمارية وركائزها، ولقي تغطية إخبارية من الصحافة المحلية وإذاعة صوت العرب بالقاهرة، وتنديداً من الأحزاب والنقابات، وكان رد السلطات المحلية متشنجاً؛ إذ أقدمت على إقالة الأستاذ علي عقيل بن يحيى من إدارة مدرسة النهضة بسيئون، عقاباً له؛ إذ كان أحد أعضاء جمعية العمال الذين سعوا بجديَّة لعقد المؤتمر، وأصدرت الأحزاب والقوى الوطنية بيانات تستنكر هذا التصرف، ومنها بيان (اللجنة التحضيرية للاتصال الشعبي بحضر موت) وحزب الشعب الاشتراكي والصحف واللجان النقابية، وخرجت مظاهرة شارك فيها عدد كبير من المواطنين وطلبة المدارس بدعوة من جمعية الأخوة وجمعية العمال ونادي الشباب والنادي الأهلي، وصرَّفتها صحيفة الطليعة بأنها أروع مظاهرة شعبية، وذلك في سبتمبر ١٩٦٤م، وحمل المتظاهرون لافتات تطالب برحيل المستعمر البريطاني وأعوانه من العملاء والخونة والساح للمعلمين المصريين بدخول حضر موت بعد منعهم من السلطات الاستعمارية، ومما جاء في بعض اللافتات شعارات (ثقافة عربية لا استعمار ولا عبودية، افتحوا الباب للثقافة العربية، من الأحقاف إلى النيل لبيك



حينما شعرت جمعية العمال أن صراع الأحزاب السياسية سيؤدي إلى إضعاف تحركات القوى الوطنية وتشبّت جهودها تبنت تأسيس (تجمع وطني) لهذه القوى بمدينة تريم يجمع قياداتها ويوحد أهدافها^(٢٤).

فحدث ما كانت تتوقعه الجمعية فبدأت حدة الخلاف تشيع، وبرزت قوتان لكل منهما أنصار، وهما جبهة التحرير والجبهة القومية، ووصل هذا الاستقطاب إلى حضر موت، وطرأت موجة جديدة من التجمعات الشعبية، تحمل طابع ذلك الانقسام، ففي ٢٥ مارس ١٩٦٦م دعا نادي الشباب بسيئون إلى عقد (مؤتمر الهيئات الشعبية بالمنطقة الكثيرة)، حضره من تريم وسيئون ممثلو جمعية العمال، وهيئة المزارعين، ونادي الشباب والنادي الأهلي، والجمعية الكثيرة الشنفرية، وهيئات أخرى، ومن القرارات التي أقرها المؤتمر، رفض المقترحات الدستورية جملة وتفصيلاً، واعتبار (جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل) الممثل الوحيد لشعب الجنوب، وعلى بريطانيا أن تتفاوض معها، وعدم الاعتراف بأي قرارات أو نتائج مصرية تصدر عن تفاوض السلطات فيما بينها وبين من يُسمون (أعيان البلاد)، ويجب أن يقول الشعب كلمته في كل قرار مصري بشكل مباشر، وتوحيد الشعب في القطاعين الكثيري والقعيطي والمهرة، ورفض أي هيئات عنصرية، واعتبار حضر موت جزءاً من الجنوب ومعارضة أي حركات انفصالية، ورفض أية اتصالات سياسية بين السلطات ومقادمة القبائل أو أية شخصيات مع أي طرف خارجي^(٢٥).

وعلى الجانب الآخر عقد بمنطقة دمون وبتاريخ ٥ أبريل ١٩٦٦م اجتماع سُمي (باجتماع اللجان العاملة بالمنطقة الشرقية للسلطنة القعيطية)، فتج عنه قرارات، منها: رفض المقترحات الدستورية جملة وتفصيلاً، ووضع ميثاق وطني للمرحلة الانتقالية، واعتبار الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل الممثل الشرعي لشعب الجنوب وعلى بريطانيا التفاوض معها لتحقيق الاستقلال، وإجراء انتخابات مباشرة لقيام

مجلس مؤقت، وتم اختيار لجنة لمتابعة نتائج اللقاء من كل من: فيصل بن العبد بن شيبان، محمد عوض بن شملان، قيس العبد التميمي، أحمد ضياء بن شهاب. وجاء عقبه مؤتمر بالمنطقة الكثيرة بمدينة سيئون للقوى الشعبية للتنديد بتصرفات السلطة الكثيرة بمنع التجمعات الشعبية وملاحقة قياداتها، وأعلنت أن تلك التجمعات هي إحدى السبل لتوعية جماهير الشعب بواجباتهم تجاه الأحداث، وأيد هذا المطلب مؤتمر شعبي بمنطقة دمون في يونيو ١٩٦٦م، وشجب ممارسات السلطنة الكثيرة^(٢٦).

وفي إحدى المسيرات الجماهيرية بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٦٦م بمدينة سيئون المنددة بزيارة المندوب السامي البريطاني، أُلقيت قنبلة على الجماهير، أصيب فيها بعض الطلاب بجروح، كما خرجت مسيرة بعد ذلك في مدينة المكلا تستنكر ما حصل بسيئون فأُلقيت قنبلة أيضاً أودت بحياة الطالب خالد بن هامل، واتهم حزب الرابطة باللقاء القنبلة، وفي ٣١ سبتمبر ١٩٦٦م عقدت (الهيئات الشعبية بتريم) اجتماعاً بحضور جمعية العمال ونادي الشباب والنادي الأهلي للوقوف على تلك المستجدات، ورفضت تلك التصرفات الموجهة، ولأول مرة تصدر جمعية الأخوة والمعونة بياناً منفصلاً يندد بتلك الأحداث^(٢٧).

نشرة صوت العمال:

أصدرت الجمعية في عام ١٩٦٤م نشرة تحت عنوان (صوت العمال)، وأشادت صحيفة الطليعة بهذه النشرة في العدد (٢٥٧)، قائلة: ((أصدرت جمعية العمال التعاونية بتريم نشرة دورية أسمتها (صوت العمال) وقد اشتملت النشرة على عدد من الموضوعات والأخبار وتناولت بالتحليل قضايا العمال وشئونهم العامة... إن (صوت العمال) وهي تعكس تطلعات الطبقة الكادحة في حياة كريمة هي خطوة من أجل إيقاظ المارد، الذي ظل سنين يرزح تحت قيود العبودية والجهالة والاستغلال، ولقد آن لعمالنا أن يكون لهم صوت مدوّ يدافع عن حقوقهم، ويصون مكاسبهم ويوفي أجورهم)).



”

في نوفمبر 1963م تداعّت المكونات الشعبية بتريم لعقد (مؤتمر شعبي)؛ لوضع خطة لإيجاد نهضة بالمدينة، وتم تشكيل لجنة تضم تلك المكونات - ومن ضمنها جمعية العمال - لمقابلة السلطان الكثيري، وضمّ الوفد كلاً من عبدالله عمر الكاف، وكرامة مبارك سليمان، ومحمد عبدالرحمن الجنيد، وعمر بن أحمد الشاطري، وأحمد عوض باعيسى، وعلي عقيل بن يحيى، ومحمد عمر الكاف، وقدم الوفد مطالب أهالي تريم بتطوير التعليم والتوسع فيه، ورفع المستوى الصحي، ودراسة أوضاع المجلس البلدي، ووضع قانون يمثل فيه أهالي تريم في المجلس تمثيلاً صحيحاً “

اليوم في المجتمع بأنه ينبغي أن يتعدى الطور القديم في التنافس القبلي والعائلي، إلى وضع صحيح، وهو محاربة الظلم والاستغلال من الجميع، ونوقش في الاجتماع دستور اتحاد الجمعيات العمالية والفلاحية بوادي حضر موت التي حضرت الاجتماع، وهي جمعية سحيل سيئون، وجمعية البلاد، وجمعية المزارعين، وجمعية العمال بتريم.

وعن الأخبار جاء في النشرة «استضافت الجمعية علي عبدالرحمن الأسود نائب رئيس الاتحاد العالمي بعدن، الذي حضر اجتماع جمعيات العمال بوادي حضر موت، كما اتصلنا بالمؤتمر العمالي بعدن لمساعدة عمال حضر موت كجزء من عمال الجنوب المحتل باعتبارهم يشكلون قوة نضالية، لها ثقلها في المعركة المصرية ضد الاستعمار البريطاني».

ثم توقف إصدار النشرة بعد سنتين من إصدارها بسبب القوانين والشروط المجحفة - كما وصفتها الجمعية - المقيدة لحرية النشر والكتابة والتعبير، واضطرت إلى إصدار نشرة داخلية بالاسم نفسه (صوت العمال)، ومما توافر من أعداد هذه النشرة العدد رقم (٢١) الصادر في شهر ذي القعدة ١٣٨٥ هـ الموافق مارس ١٩٦٦ م، ومن خلال موادّه يمكن التعرف على اهتمامات النشرة وسياساتها العامة، ففي كلمة العدد أشارت إلى هدف من أهداف جمعية العمال، ألا وهو نشر الوعي بين أعضائها وعموم المواطنين: «ولقد حرصت الجمعية في توعية أعضائها من خلال الندوات والجلسات العامة، وهي جزء من حملات التوعية التي قامت وما تزال تقوم بها، أن تربط المشكلة الخاصة للعمال بالمشكلة العامة للوطن كمنطقة مجزأة مستعمرة يقيد بها الدخلاء بقوانينهم الجائرة ومعاهداتهم غير المتكافئة، ويعيث فيها عملاً وهم فساداً، تحميهم السلطات الاستعمارية وقاعدتها العدوانية في عدن من الجنوب المحتل، وليس العمال بهذه المنطقة إلا جزءاً نضالياً أساسياً من هذا الشعب العربي، الذي يناضل لإزالة الوجود الاستعماري وقواعده زوالاً حقيقياً» (٢٨).

ومن اهتمامات النشرة: قضايا الحركة العمالية، وجاء في إحدى صفحاتها مقال تحت عنوان (توحيد الحركة العمالية)، جاء فيه: «لواجهة الظلم والاستبداد والاستغلال اقترحت - جمعية العمال بتريم - تأسيس اتحاد جمعيات العمال بوادي حضر موت وأعدت دستوراً لهذا الاتحاد»، وأشارت صحيفة الرأي العام إلى هذه الخطوة بإيراد تغطية للقاء الذي عقد في سيئون بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٦٤ م، وحضره وفد عن جمعية العمال بتريم، وألقى عبدالقادر الصبان كلمة عن جمعية المزارعين بسيئون أشاد فيها بدور العمال في الحياة العامة، كما ألقى أحمد عوض باعيسى نائب رئيس جمعية العمال بتريم كلمة، وأخرى لعللي عقيل بن يحيى، حدّد فيها الصراع القائم



وفي الشأن الوطني نشرت مقالاً بعنوان (المقترحات الدستورية ورفض الشعب لها)، قالت فيه: ((لادستور لشعب إلا ما تسنده وتضعه جمعية تأسيسية ينتخبها الشعب انتخاباً حراً مباشراً، يضع فيها ثقته، ثم تقدم ما أنيط بها من دستور يقترحه الشعب، والمقترحات الدستورية (لدولة الجنوب العربي) المزعومة التي وضعها مَن يُسمَوْنَ (خبراء إنجليز)، يرفضها شعب الجنوب رفضاً باتاً)).

وتابعت النشرة جهود الجمعية في التحضير لمؤتمر الهيئات الشعبية، الذي عقد في (مسجد البدع)، المندد بمؤتمر لندن الدستوري، وأشارت إلى حضور مندوب الجمعية اجتماع الهيئات الوطنية بتريم، الذي عقد في عام ١٩٦٤م، بحضور الأستاذ شيخان الحبشي، وقدمت الجمعية مشروعاً لميثاق الوحدة الوطنية بين المكونات الحضرية، وفي جانب المتابعات الاجتماعية نشرت جهود الجمعية في خدمة محيطها الاجتماعي ومن ذلك، فتح دُكانٍ تعاوني؛ لتلبية احتياجات الأعضاء، وافتتاح صفٍّ دراسيٍّ لمحو أمية كبار السن، وافتتاح صفٍّ دراسيٍّ لطلاب المرحلة الابتدائية، ثم افتتاح مدرسة باعتماد منهج الحكومة الكثيرية، ومدارس الكويت، والدعوة لحل مشاكل الحويف وتداعياتها، وإصلاح أوضاع المجلس البلدي بتريم، وسن قانون لانتخاب أعضائه بدلاً من التعيين، والمطالبة بتعبيد طريق (تريم - سيئون) وغيرها من المدن.

وفي ١٧ سبتمبر ١٩٦٧م أعلنت الجبهة القومية جناح حضر موت إسقاط سلطنتي الكثيري والقعيطي، وتكوين اللجنة الشعبية العليا لإدارة المحافظة، وتم حظر نشاط جمعية العمال التعاونية بتريم، كغيرها من الهيئات الأخرى، بعد أن دخلت البلاد في صراعات جديدة، أدت إلى سيطرة (الصوت الواحد)، وإقصاء شركاء العمل الوطني.

الهوامش:

- (١) أحمد عوض باوزير، علي أحمد باكثير، سنوات في جأوة وحضر موت، مجلة الحكمة، عدن العدد ١٣٥ فبراير ١٩٨٧م ص ٢٢.
- (٢) عبد القادر الصبان، نشؤ الحركة العمالية وتطورها، الحكمة، عدن العدد ١٠٢ ديسمبر ١٩٨٢ ص ٤٣ - ٤٤.
- (٣) للمزيد ينظر عبد القادر الصبان، الزعيم العمالي حمود باضاوي، وكتاب حركات في المنطقة للمؤلف نفسه، صحيفة الرائد، المكلا العدد ١٦ يناير ١٩٦١م العدد ٧٧ أبريل ١٩٦١م العدد ٨٠ مايو ١٩٦٢م.
- (٤) أخذت أكثر المعلومات من بقايا أرشيف الجمعية، الذي اطلعني عليه الأخ سعيد علي سعيد بكير، وأمدني بمعلومات أخرى باعتباره أحد موظفي الجمعية.
- (٥) صحيفة الرائد، المكلا العدد ٩٦، سبتمبر ١٩٦٢م.
- (٦) المصدر السابق العدد ٦٥، يناير ١٩٦٢م.
- (٧) المصدر نفسه العدد ١٦٨، أبريل ١٩٦٤م.
- (٨) معلومات مستقاة من أحد مؤسسي الجمعية، سالم عمير مصباح في ديسمبر ٢٠٢٠م.
- (٩) الطليعة العدد ١٧٨، ديسمبر ١٩٦٢م.
- (١٠) الرائد العدد ١١٣، مارس ١٩٦٣م.
- (١١) الطليعة العدد ١٩١، مارس ١٩٦٣م.
- (١٢) عوض مبارك سليمان، الإيلاف في تاريخ الأحقاف، جامعة عدن ط ١، ٢٠١٠م ص ١٦٣.
- (١٣) الطليعة العدد ٣٠١، مايو ١٩٦٥م.
- (١٤) المصدر السابق العدد ٢٤٥ أبريل ١٩٦٤م.
- (١٥) الرائد العدد ١٧٤، يونيو ١٩٦٤م.
- (١٦) المصدر السابق العدد ١٧٩، يوليو ١٩٦٤م.
- (١٧) الطليعة العدد ٢٠٢ يونيو ١٩٦٣م.
- (١٨) المصدر السابق العدد ٢٢٦، نوفمبر ١٩٦٣م، الرائد العدد ١٤٧ نوفمبر ١٩٦٣م.
- (١٩) الطليعة العدد ١٩٥، أبريل ١٩٦٤م، الرائد العدد ١١٩ أبريل ١٩٦٣م.
- (٢٠) الطليعة العدد ٣٣٠.
- (٢١) تنظر الطليعة العديدين ٢٥٢، ٢٥٤، يونيو ١٩٦٤م، العدد ٢٥٧ سبتمبر ١٩٦٤م.
- (٢٢) للمزيد ينظر د. صالح أبو بكر بن الشيخ أبي بكر، تريم بوابة الفكر القومي العربي في اليمن، دار حضر موت للدراسات والنشر المكلا ط ١ ٢٠٢٠م والطليعة العدد ٢٥٣ يونيو ١٩٦٤م، العدد ٢٥٦ يوليو ١٩٦٤م.
- (٢٣) الطليعة الأعداد ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦٥، ١٩٦٤م، الرائد العدد ١٧٥ يونيو ١٩٦٤م.
- (٢٤) المصدر السابق العدد ٢٧٩ ديسمبر ١٩٦٤م، العدد ٢٨٥ يناير ١٩٦٥م.
- (٢٥) المصدر نفسه، العدد ٣٤٥ أبريل ١٩٦٦م.
- (٢٦) نفسه العديدين ٣٤٨، ٣٥٢، ١٩٦٦م.
- (٢٧) نفسه العدد ٣٦٩ يناير ١٩٦٦م.
- (٢٨) نشرة صوت العمال، العدد (٢١) مارس ١٩٦٦م.

السيف النقّاد

شاعر مجهول

أفلتت المقادير ديوانه من شرك الإهمال

الشهادة من مظانها، المتحلّي بأخلاق الكملة من الرجال.
كان والده - رحمه الله - ممن يعولّ عليه في حضرموت
ونواحيها، مسموع الكلمة، مطاع الأمر والنهي، عالم ورع،
زاهد متقشّف، مع الغنى الواسع لا يستميله زخرف الدنيا
وزهوها، قاهر للنفس، موطنًا لها على العبادة مع القيام في
مواطن الدفاع والذود عن الدين الحنيف، ولعله هو المقصود
للشاعر في قوله:

وجلنداء في عمان مقيمًا ثم قيسًا في حضرموت المنيف
ولا غرو فإن إبراهيم ليس عن أبيه غريبًا، بل كان متأسيًا به
في كل شيء وكان له سميًا، فذاك كان حنيفًا، اشتهر من أمره،
عليه ألف سلام، أنه راغ ضربًا باليمين على الأصنام، وهذا
عليه ألف سلام عرفناه جحفلًا وعريقًا، قد أرغم بأحد
أصغريه أنوف الجابرة الطغام، وما ذلك إلا بفضل صيحات
هذا السيف النقّاد، الذي أفلتت ديوانه المقادير من شرك
الإهمال على يد العلامة الأديب سليمان بن سعيد السيابي
العماني الباروني، مؤسس المدرسة البارونية ومديرها،
بمركز لواء متصرفية، جبل طرابلس الغرب، ابن العلامة
الشيخ عبدالله بن يحيى الباروني، فأبرزه من أعماق وهدة
الخفاء والكتمان، إلى جو الظهور والعيان، وهذا الديوان ما

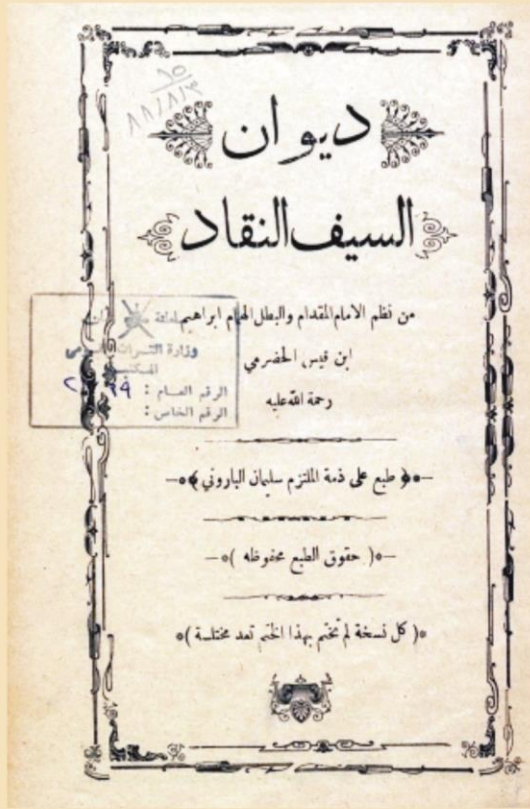


مفيد فهد نبزو *

أكاد أجزم أن هذه الدرر النفيسة من فارس الميدان، وشاعر
البلاغة والبيان، إبراهيم بن قيس الحضرمي رحمة الله عليه
نادرة وبعيدة عن متناول المهتمين والدارسين والباحثين، برغم
ما فيها من ثراء وغنى، لا يؤثر فيه صداد الحياة ولا عوامل الزمان،
ورياح الزيف والبهتان.

إن صليل السيوف ليوّظ الفطنة والنباهة في العقول،
وينعش النفوس، ويسطر ملحمة الحق في ذاكرة الأجداد
بالعبرية والحمية والأصالة والعنفوان.

هي صفحات مشرقة، تألّقت حروفها بالصدق والعاطفة
الجياشة، التي تدفّقت من قريحة العلامة العربي الشارئي
الورع، أبي إسحاق إبراهيم بن قيس بن سليمان الهمذاني
الحضرمي الإباضي، الباذل نفسه في سبيل الله تعالى، الطالب



نظر فيه ناظر، واستمع له مستمع إلا تشعبت أعصابه حماسة
وشجاعة وحمية دينية، وغيرَ إيمانية؛ لأن صاحبه من شهداء
الله تعالى - على خلقه ورقبائه، وعلى من اعوجَّ عن سبيله.

قال الرسول العربي الكريم صلى الله عليه وسلم: ((أقربُ
الناس من درجة النبوة العلماء والشهداء، أما العلماء فدلُّوا
الناس على ما جاءت به الرسل، وأما المجاهدون فجاهدوا
على ما جاءت به أنبياء الله)). وقد جمع الله - تعالى - لهذا
الشاعر المجلّي فضل العلماء والشهداء معاً؛ لأن ذاته تناصر
الحق، وتشق بسيف النور غياهب الديجور؛ لتحظى
بفردوس النعيم الأبدى:

متى أحملُ السيفَ المشطَّبَ أصبحتُ

طغاةُ الورى ذُلاً عِراةَ المناكبِ

وتعساً وتعساً لامرئٍ حازَ أمرهُ

سفيه غبي فخره في المثالبِ

يتيه إذا ارتجَّتْ معازفُ لهوه

ويعتقُ بينَ الملهياتِ الكواعبِ

ويزهد الشاعر من دنياه بقهر النفس، والترفع عن أدان الحياة

وملذاتها الآثمة، ومظاهرها البراقة الخادعة، التي هي أوهى
من خيوط العنكبوت:

إذا كانَ بيعُ النفسِ أرفعَ رتبةٍ

رفعتُ بيعَ النفسِ في الحقِّ رتبتي

تنافسني الأشرارُ لما تلذذت

وفضلي على الأشرارِ صرمتي للذني

وإني بتحريمِ الفواحشِ كلّها

أدينُ وقذفِ المحصناتِ بريئةٍ

وتحريمِ كلِّ الظلمِ مع كلِّ مسكرٍ

وكلِّ قمارٍ واحتيالٍ وغيلةٍ

لقد تناول شاعرنا غالب الأغراض الشعرية في ديوانه، وكان

للغزل العذري نصيب، حيث يتغزل بمحبوبته سلمى،

ويصورها تصويراً محتشماً لا يخدش الحياء، ويحترم
الذوق والمشاعر بعفوية ورقة وانسياب:

برقة أنفٍ أم بناظرٍ أدعج

سبتك سليمى أم بثغرٍ مفلج

هي الشمسُ لكن ما لشمسٍ جلابُ

هي البدرُ لكن لم يكن ذا تغنج

فكيف إذا عن كشحها انحلَّ درعها

ومئزرها عن عجزها المترجرج

إذا لغضضت الطرف عنها تنزها

ومكرمة عن عفةٍ وتحرج

ومما يثبت مقدرته اللغوية في التجانس اللفظي قوله:

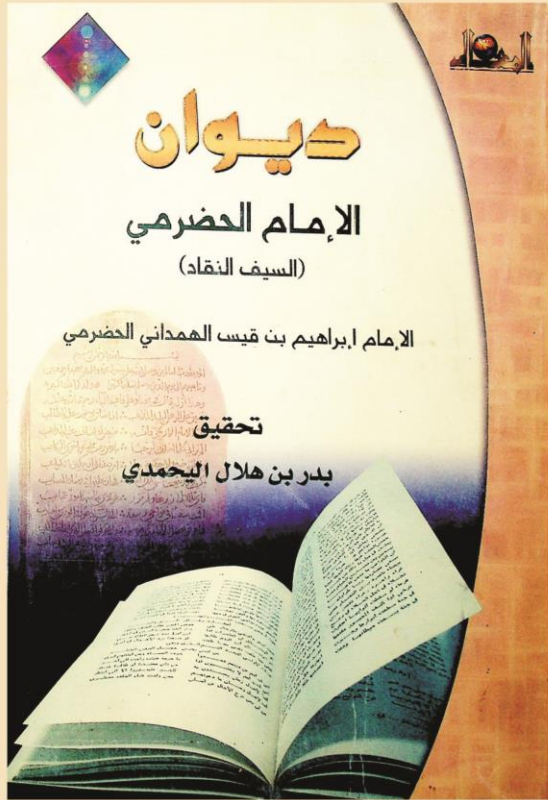
أنعمن في نعمِ النعماءِ أنعمها

نعماً فنعم نعيمٍ ناعمٍ الخولِ.

وهذا يذكرنا بقول الأعشى في معلقته التي مطلعها:

ودعْ هريرة إن الركبَ مرتحلٌ

وهل تطيقُ وداعاً أيها الرجلُ



وبعدئذ يصور شاعرنا ما ألمَّ به من حزن على فقد المراثي،
الذي يذكر بعض مناقبه وسجاياه وشماله الطيبة النبيلة،
ويؤكد أنه سيبقى قدوة حسنة لكي نهج نهجه ونتبع سبيله:

نقفو سبيل أبي قيس ونحفظ ما

أوصى به ونعادي كل ذي عند

فيه العزاء إلى الإسلام ثم إلى

من رام نصرته للواحد الصمد

صلّى عليه وحيّاه وأكرمه

باني السماء وملقيها بلا عمد

بقي أن نقول: لقد تمت طباعة هذا الديوان بعونه تعالى في
غرة ذي القعدة من سنة ١٣٨٦ هجرية، وقد قرظه عدد من
أكابر علماء جزيرة العرب، مثل العلامة الشيخ عبد الله بن حميد
السالمي، وغيره من كبار العلماء والأدباء، والنقاد والمبدعين.

* كاتب وشاعر سوري.

في البيت الذي قال فيه:

لقد غدوت إلى الحانوت يتبعني

شاو مثل شلول شلشل شلول

ولا شك في أن ترادف اللفظ جميل ضمن سياق التعبير
الإيقاعي، الذي لا ركاكة فيه، واستخدامه للبحر البسيط
الذي تتوالى فيه: مستفعلن فعلم بدون جوازات ما أبعده عن
الصنعة والتكلف والافتعال، من خلال تسلسل النون والعين
والميم بانسياب ومهارة.

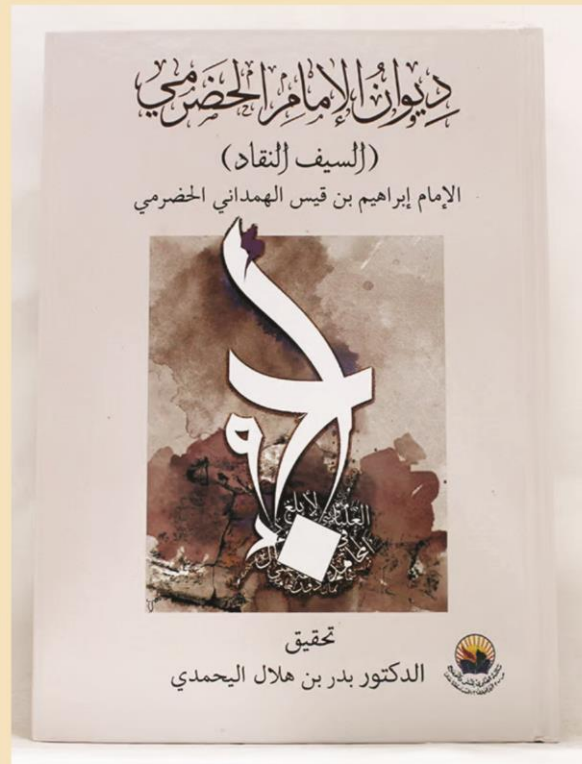
ومما تطرق له الشاعر موضوع الرثاء، فرثى علامة مصر،
وأقضى قضاء عصره، الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله -،
رثاه بدموع الأسي، وزفرات الألم؛ لأنه افتقد فيه ميزان عدل،
وقاضي حق، وداعية خير، يرأف باليتام والضعفاء والمغلوبين
على أمرهم:

قالوا دمعت فقلت الدمع من رمد

والعين ما دمعت إلا على الكمد

كأن في كبدي رقطاع تلسعها

كأنما زفرات النار في كبدي



قراءة في كتاب:

الطبقية والسياسة

دراسة للتحوّل السياسي في بلدة حريضة في الجنوب العربي

بالحدة التي اشتهر بها، ومما يدعم ذلك أن الكتاب صدر عن مركز بحوث حضرموت، الذي تشرف عليه جامعة الأحقاف برمزيتها الصوفية المعروفة، كما أن مَنْ قَدَّمَ له هو الدكتور صادق عمر مكنون، وهو أستاذ أكاديمي، محسوب على المدرسة العلوية، كما أن اختيار المترجم الأديب الأستاذ نجيب سعيد باوزير المشهود له بالدقة والأمانة العلمية يعطي رسالة إيجابية، ويحسب لصالح حيادية الترجمة، ويزيح عنها شبهة التدخل المخمل.



أ. د. عبدالله سعيد بن جزار الجعدي

فوبيا الكتاب

عندما أهداني الصديق الدكتور صادق عمر مكنون نسخة من كتاب (الطبقية والسياسة دراسة للتحوّل السياسي في بلدة حريضة) تأليف الدكتور عبدالله سعيد البجرة، وطلب مني المشاركة في فعالية ثقافية لمناقشته، استرجعت في الفور إشكالية الكتاب الذي ظل لعقود تُنسَج عنه الحكايات بأنه لن يجرؤ أحد على ترجمته على فرضية أن فيه إساءات كثيرة لآل العطاس سكان حريضة على وجه الخصوص، ولتراتبية السادة في حضرموت على وجه العموم، وكان ما وصل إلينا منه ترجمات لفصول أو ملخصات تثير المزيد من الفضول، ولا تشفي غليلاً أو تغني عن قراءة نص الكتاب الكامل.

لكن عندما تجاوزت لحظة الدهشة الاسترجاعية وقبل أن ألتهم الكتاب، قدّرت أن الحكايات القديمة عنه ليست





ولست هنا في موضع التقييم لهذا الكتاب، ولا أسعى إلى ذلك، إنما هي رؤية خاصة تفاعلية نقاشية لنقاط معينة، استحسنّت الإشارة إليها واستعرضها أمام قادات علمية لعلها تكون مفيدة لهم، أو مصوبة لما ذهبت إليه.

وسأبدأ بمقدمة الدكتور صادق؛ بوصفها من عتبات الكتاب الأولى، فمن جهة وصف البحث (الكتاب) بالعميق والدقيق وغير المؤدلج، وأثنى عليه أيمًا ثناء، ومن جهة ثانية وخاصة في جزئية الصراع العلوي الإرشادي قلّل من وجهة نظر المؤلف، وقال إنه في الفصل السادس لم يدرس الموضوع دراسة علمية موضوعية معمّقة؛ بتبنيّه وجهة نظر الأستاذ صلاح البكري غير الموضوعية بحسب رأيه، وهنا نجد التقديم يمارس الوصاية على القارئ، وعلى المؤلف، ويصادر وجهة نظره، ويفترض وجهة النظر المغايرة هي الموضوعية، وفي تقديره أن القراءة التاريخية العلمية للصراع الحضرمي المهجري ستكون أكثر حيادية عندما يتصدى لها من هم من خارج الخنادق.

ومن أبرز المواضيع التي أثارت الجدل منذ إصدار هذه الترجمة العربية للكتاب هو العنوان الذي استخدم فيه المؤلف مفهوم الطبقة أو الطبقات الاجتماعية، المرتبط بالمكانة الاقتصادية في مجتمع غير طبقي كما يؤكد الكاتب نفسه، في حين أنّ الأكثر دقة هو مفهوم التراتبية الاجتماعية؛

وتدفعنا الأجواء التي صاحبت الكتاب منذ إصداره باللغة الإنجليزية عام ١٩٧١م، سواء المؤيدة له، أو الخائفة منه، إلى إثارة قضية المواقف (الجهوية) تجاه الإصدارات المعارضة للسائد في المجتمعات العربية، والمتخلفة؛ فهي عادةً تمارس في مؤسساتها الثقافية الوصاية على القارئ، وعلى الناس، في هذا الزمان، الذي تتكاثر فيه القسّونات الفضائية المتعددة المشارب والاتجاهات، ويتسم بسهولة وصول المعلومات عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي، فكم نحن بحاجة إلى حرية التعبير، وقبول الرأي المعارض، وإلى تحطيم الجمود الفكري؛ كي يتغلغل النور في أعماق مجتمعاتنا، ويتدفق في شرايينها الهواء النظيف.

من داخل النصوص

وبعودة إلى متن الكتاب فإن قصة ما قبل قراءته تختلف عما بعدها؛ فالمؤلف (الباحث) يصحبك في صفحات كتابه بلطف إلى بلدة حريضة، التي اتخذ منها النموذج المصغر لتحليل منظومة النظام التراتبي في حضرموت بكاملها، مستخدمًا في ذلك مناهج علمية تحليلية، واستنباطية وإحصائية، ومما يعزّز دفاً الصحبة أن المؤلف لم يكن يحمل معه فرضيات مسبقة مهيمنة عليه، ولا يرمي إلى فرض آراء خاصة به؛ إنما كان يرصد الظواهر الاجتماعية الماثلة بعين الباحث المتجول المستقل.



**قَبَّلَ آلَ العِطَاسِ انضمام حريضة
للسُلْطَنَةِ القَعِيطِيَّةِ عام 1945م،
وهذا يعني أن عناصر الأمن العام
تكاملية، فكما هي الحوطة
محكومة بالسلطة الروحية،
والمعاهدات والالتزامات القبلية
فإنها تنهار في غياب المنظومة
القبلية المحيطة بها، ولهذا
يمكن القول إن حوطة حريضة
سقطت -مع أسباب أخرى- حينما
جُرِّدَت القبائل من سلاحها؛ إذ كانوا
فعلياً هم حماة الديار**

وذلك لصعوبة وضع قالب ثابت، حتى في إطار المجتمع الواحد المتجانس، فهناك خصوصيات محلية تدفع المؤرخين إلى التحريك التراتبي الفتوي داخل المجتمع الكبير، وتكاد تتفق غالبية الأدبيات التاريخية في وضع تراتبية السادة في المرتبة الأولى، تليها تراتبية المشايخ. ولكن المؤلف وإن وضع المشايخ آل باسهل من منظور ثقافي مع المجموعة الأولى فإنه فعلياً وضعهم في المرتبة الثانية أو في منزلة بين منزلتين، فهم أرفع من القبائل، وأدنى من السادة، وآل باسهل كغيرهم من فئات مجتمع الدراسة يعترفون بحق آل العطاس في المكانة الاجتماعية ويقبلون أياديهم، لكن ما يلفت النظر أن المشايخ آل باسهل تحصلوا على هذه المنزلة في حريضة بالحق التاريخي القريب؛ لأنهم كانوا المراجع الدينية في حريضة قبل قدوم آل العطاس إليها، واستحوذهم على المكانة الاجتماعية العليا فيها؛ لهذا تعاطى آل العطاس بذكاء سياسي توافقي عندما منحوا آل باسهل الاعتراف الاجتماعي بمكانتهم بوصفهم مشايخ، ولهذا تزوجوا مثل

لأنه محكوم باعتبارات سلالية، وثقافية، ولكن مع القراءة الهادئة وجدت لفظة الطبقيّة متألفة إلى حد ما مع موضوع الكتاب، الذي تحرك ليُشير إلى منزلة سياسية، ومنزلة سلالية، ومنزلة ثقافية، ومنزلة اقتصادية، لسكان بلدة حريضة (النموذج)، وهذا التداخل ساعد على مرور المفهوم بمرونة في دواخل صفحات الكتاب، وهذه الخصوصية تدفعنا إلى المقاربة بين الوضع في بلدة حريضة مع مدينة شبام المتزامنة معها في عصر ازدهارها التجاري، فكانت الأسر الثرية هي البارزة في التراتب الاجتماعي (تراتب تجاري)، وذلك من منظور المكانة من الثروة؛ لهذا يمكن تصنيف التراتب في شبام بغير المستقر؛ لارتباطه بتقلبات السوق، عكس التراتب الاجتماعي في حريضة، الذي ساعد على ثباته مدة طويلة الاعتراف الاجتماعي بالسلالة الهاشمية لأسر السادة فيها، والمشيخة العلمية لأسرة آل باسهل.

ومن داخل عنوان الكتاب تبرز إشكالية مصطلح (التحول السياسي) في حريضة، الذي يحيل عادة إلى الكيانات السياسية بمنظومتها المتعارف عليها، وهي لا تنطبق على مجتمع بلدة حريضة، التي كانت تدار بسلطة منظومة الضبط الاجتماعي، على رأسها السادة آل العطاس، وقد حملت هذه (السلطة) شرعية استمرارها لمدة زمنية طويلة لأسباب تتعلق بتدني الوعي الاجتماعي، وهشاشة البنية الاقتصادية، وذلك قبل أن تكون جزءاً من الدولة (السلطنة القعيطية جمهورية اليمن الجنوبية). وأرى أن استخدام المؤلف لمصطلح الجنوب العربي في العنوان يمضي مع سياق عصره، ففي غالب مدة الدراسة كانت حريضة تدخل في النطاق الجيو سياسي، المسمّى الجنوب العربي، الذي تدخل فيه مستعمرة عدن ومحيطاتها الغربية والشرقية.

واعتقد أن تقسيم المؤلف طبقات المجتمع الحريضي على ثلاث مجموعات رئيسة فيه الكثير من المعقولية؛



من الأمور التي تعطي زخماً للكتاب وحيوية أنه يستعرض جوانب من تاريخ بلدة حريضة، من خلال رصد إدارتها من مرحلة (حريضة الحوطة) التحولات في أسلوب و(حريضة القعيطية) حيث هيمنة أسرة آل العطاس وثقلها الثقافي، ثم مرحلة حريضة (اليمنية الجنوبية)

(حبايسنا)، أي: مراجعنا الدينية، ومحل احترامنا، في زمن كانت الحوط مطلباً اجتماعياً لكل فئات المجتمع.

وقد تناول المؤلف تداعيات ما بعد الصلح العام في حضر موت من ١٩٣٧ - ١٩٤٠ م، ثم تمديده لعشر سنوات أخرى عندما جردت القبائل من سلاحها، وتخلصت حضر موت من الاقتتال القبلي البيني، لكن المدن والبلدات غير المسورة صارت مكشوفة فزادت حوادث السرقة والنهب؛ لهذا قبل آل العطاس انضمام حريضة للسلطنة القعيطية عام ١٩٤٥ م، وهذا يعني أن عناصر الأمن العام تكاملية، فكما هي الحوطة محكومة بالسلطة الروحية، والمعاهدات والالتزامات القبيلية فإنها تنهار في غياب المنظومة القبيلية المحيطة بها، ولهذا يمكن القول إن حوطة حريضة سقطت - مع أسباب أخرى - حينما جردت القبائل من سلاحها؛ إذ كانوا فعلياً هم حماة الديار.

ومن الأمور التي تعطي زخماً للكتاب وحيوية أنه يستعرض جوانب من تاريخ بلدة حريضة، من خلال رصد التحولات في أسلوب إدارتها من مرحلة (حريضة الحوطة) و(حريضة القعيطية) حيث هيمنة أسرة آل العطاس وثقلها الثقافي، ثم مرحلة حريضة (اليمنية الجنوبية). وقد تناول الكتاب

السادة عند القبائل لغرض الحماية، ولتأكيد مرتبتهم العليا، فالقبيلي لا يزوج ابنته إلا بالمستوى نفسه أو بمستوى أرفع. ومما ساعد آل باسهل لتبوؤ هذه المكانة - إلى جانب الاعتراف الاجتماعي للسادة بمشيختهم - أنه لم تكن هناك أسر مما يعرف بمشايع الأصل، الذين يرفعون نسبهم إلى كبار الصحابة من قريش مثل آل باجابر، وآل باعباد، وآل العمودي، وآل باوزير، ومعروف أن التقسيم المتعارف عليه للمشايع في حضرموت هو: (مشايع علم، ومشايع أصل) فهم وإن اتفقوا في الوظيفة الاجتماعية فإنهم يختلفون في السلالة، وبحسب السائد في حضرموت فإن مشايخ العلم يمثلون مرتبة اجتماعية أدنى من القبائل؛ لأنهم غالباً ينحدرون من تراتبية المساكين، أو بالأحرى من يرتفع منهم إليها، وهذه الجزئية المهمة لم يشر إليها المؤلف عند إسهابه في الحديث عن المشايخ آل باسهل، ونظرائهم في حريضة وهم أسرة المشايخ آل باخميس، الذين سقط الاعتراف بمشيختهم لأسباب ذكرها المؤلف في الكتاب.

وهناك إشارة ذكرها المؤلف وهي أن آل العطاس وآل باسهل لا يحملون السلاح؛ لأنهم في حماية الله، ويكتنف هذه العبارة نوع من الغموض، خاصة لمن يشكل عندهم مفهوم (الحوطة)، التي تعني منطقة محايدة، ومحمية بمكانة الأسرة التي تشرف عليها، والتزامات القبائل بحفظ الأمن فيها، والامتناع عن تصفية ثاراتهم فيها، ويعزز من ذلك ثقافة شفاهية شائعة تنوعت من يخرق سكينه الحوطة بأنه لن ينجو من العقاب الرباني بكرامة الأولياء، وصلاح القائمين على الحوطة، وتاريخياً المسؤولون على الأمن هم قبيلة الجعدة (بنو مرة)، التي تدخل الحوط بالقرب من مئاويهم والحدود القبيلية العامة. وفي نموذج حريضة كان الجعدة هم القوى المسلحة الصديقة، لذلك يصفهم آل العطاس (بقبائنا)، أي: حماتنا، ويقول الجعدة عن آل العطاس



عوامل التغيير الخارجية وأثرها في التحولات السياسية، خاصة الهجرة التي تزايدت مع تقدم وسائل المواصلات البحرية والجوية، ودور الراديو في تشكيلات الوعي القومي التحرري في حضرموت، وعلى وجه الخصوص بلدة حريضة. وواقع الحال أنه امتدت في بلدة حريضة مظاهر العصور الوسطى إلى النصف الأول من القرن العشرين، وما بعد ذلك بدأت البنية التقليدية تهتز في حريضة بعوامل متنوعة داخلية وخارجية، منها هدنة السلام العام في حضرموت، وتحديث المؤسسات الإدارية، والعسكرية لسلطنتي حضرموت تحت الإشراف البريطاني، ووصول رياح الحركة الثورية القومية، التي تزعمتها مصر الناصرية، وتدفع أموال المهاجرين إليها، وهذه المتغيرات باغتن حريضة، وكما كانت مزعجة لفئات معينة في حريضة كانت مباشرة لغيرها، وهذا كله قد ناقشه المؤلف بجدارة.

وكما أن الكتاب يحكي قصة بلدة حريضة وأهلها فهو أيضاً يحكي قصة آل العطاس مع المكانة الاجتماعية، ومع مقاومة التحديات العاصفة القادمة من خارج الجزيرة العربية، التي لولاها لبقيت بلدة حريضة لمدة أطول تراوح حركة التاريخ، خاصة أنه لا توجد أطراف فيها أو كتل تستطيع قيادة التغيير من داخلها، لهذا مع امتداد الفكر القومي العربي شعر آل العطاس بالخطر القادم الذي سيفقدتهم نفوذهم التقليدي، وقدم الكاتب قراءة حصيفة لهذه التحولات، كما رصد التعاطف السلافي مع الحكام الهاشميين برفع صورهم في غرف استقبالهم الكبيرة، وهم إمام اليمن، وملك الأردن، وملك العراق، في حين رفع القلة منهم التي أيدت التيار القومي صورة الرئيس جمال عبدالناصر، وعمدوا كتابة لفظة السيد تسبق اسم المخاطب، سواء كان من السادة أو غيرهم. الالفت للنظر - كما يذكر المؤلف - عندما سقطت مملكة الإمام أحمد حميد الدين وقيام النظام الجمهوري ١٩٦٢م والاستقلال في الجنوب ١٩٦٧م تحول القوميون

من آل العطاس إلى صفوف إخوانهم السلافيين، ثم في العصر الجمهوري شمالاً وجنوباً دخل الكثير من الهاشميين في ما يمكن وصفه بمرحلة الصمت السياسي الهاشمي، وبسيطرة الحوثيين على السلطة في شمالي اليمن ٢٠١٤م، وظهورهم بقوة على المسرح السياسي يضع سرديات التاريخ في مراجعة مع نفسها؛ فعلى سبيل المثال كانت المنشورات في عام ١٩٦٣م تنص في بعض فقراتها... على أن الأحرار دقوا المسمار الأخير في نعش الهاشميين، الذين لن تقوم لهم قائمة بعد الآن [ص ٤٨]. ولهذا يمكن القول إن هذه التحولات الراهنة العاصفة تجعل من عنوان الكتاب فكرة مستمرة مفتوحة النهايات.

وبقي أن أتقدم بشكر خاص للمؤلف الدكتور عبد الله البجرة، الذي استطاع بمهارة أن يسجل بالأرقام تفاصيل الحياة في بلدة حريضة وما جاورها مدة إقامته فيها، وعزّز بذلك صورة كانت باهتة في مخيّلتي من خلال إشارات والدي عن تلك المنطقة التي أنتمي إليها (قبلياً) ووجدانياً، إلى الحد الذي أجد نفسي أحياناً مع المؤلف في شوارع حريضة أو في أسواقها القريبة من قبابها وفي تجمعات أهلها ونقاشاتهم التي تخوض في كل المواضيع، وأحياناً أحمّن بأن المترجم كان مع المؤلف أو وحده يحكي التفاصيل بأسلوب ممتع وسلس وبجمل متماسكة. والشكر للأستاذ محمد مبارك بن دهري الذي يعد الدينامو المحفز لإصدار هذا الكتاب بنسخته العربية، وشكر خاص لمركز تريم للدراسات والنشر ومديره السيد عبدالرحمن علي بلفقيه لقيامه بطباعة هذا الكتاب، والشكر موصول إلى الصديق الدكتور صادق مكنون الذي بطلبه الأخوي للمشاركة في هذه الفعالية أتاح لي التأمل في حال أهلنا في حريضة الذين - وبعد سبعين عاماً من قصة الكتاب - ما زالوا يهاجرون بحثاً عن لقمة العيش الشريفة، وما زالوا يتجادلون في مقاهي حريضة وهم يعبرون عن حلمهم لتحين ساعة استقرارهم الكريمة في بلادهم....

في ذكرى رحيله العاشرة

الأستاذ عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي

قَبَسٌ من نور المعرفة أضاء سماء حضرموت
لأكثر من نصف قرنٍ من الزمان

أعدّ المادة للنشر: صالح حسين الفردي



بالتأكيد -اليوم- ليس سهلاً للإلماماً بكل تفاصيل رحلة عطاء لعلم من أعلام التربية والتعليم بحضرموت ومشهدا الثقافي لأكثر من خمسين سنة خلت، فالمتتبع لسيرة التربوي والأديب والمؤرخ عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي وعطائه يضعك في مواجهة مباشرة أمام روحه وعصارة تجاربه وثراء إبداعه، هذه الفضائل من التأمل لرحلة الأستاذ الملاحي تدفعك إلى مقارنة فيض روحه وهمس خواطره التي سكبها ونثرها على مسامعنا تباعاً، وكانت خلاصة صادقة لتجربة شخصية حضرمية، ذابت في عشق تراب أرضها حتى لحظة الرحيل، هذه الرحلة لهذا العلم الحضرمي الكبير، كان لابد لنا في مجلة (حضرموت الثقافية) وبالتزامن مع الذكرى العاشرة على رحيله إلى دار البقاء في

الثالث من نوفمبر من عام 2013م، أن نستعيد ذاكرتها وذكرياتها التي نثرها في أمسيات ثلاث متتابة من أمسيات أربعاء كل أسبوع بقاعة اتحاد الأدباء والكتاب بحضرموت في أجواء عام 2008م، وظلت محفوظة في أشرطة التسجيل (الكاسيت)، تنتظر لحظة الوفاء والاحتفاء بما حملته سيرته العطرة من محطات في مسيرة حياته الإنسانية والتربوية والتعليمية والثقافية والمعرفية، لننثرها في سطور هذه الصفحات؛ بوصفه قبساً من نور المعرفة، أضاء سماء حضرموت لأكثر من ستين عاماً، يرحمه الله.

محطات مضيئة في رحلة العمل التربوي والتعليمي بحضرموت



- في عام ١٩٤٧م التحقت بالمدرسة الوسطى بالغيل، وفيها عرفت شباباً في تلك الفترة، سواء المعلمين لنا أو من خارج الحقل التعليمي، ومنهم الأستاذ أحمد عوض باوزير، وقد كان شاباً في تلك الفترة، الذي يصدر مع مجموعة من الشباب مجلة منسوخة، وهناك شباب في المكلا والشحر وسيئون وغيرهم.

- في بداية الخمسينيات بدأت الصراعات تهدأ، وهي التي كانت بين السلطة القعيطية والقبائل، بعد سنوات من اتفاقية الصلح، أو ما سمي (صلح إنجرامس)، وكما عرفت من الكثير من شيوخ تلك الفترة أن الرغبة كانت جاححة بين الحضارمة لتثبيت الصلح والأمان والسلم الاجتماعي، والسيد أبوبكر بن شيخ الكاف كان له دور كبير في التهدئة، وفي المشقاص هناك الشيخ أبوبكر باعباد، الرجل كانت له مساح كبيرة لإقناع بعض القبائل في التوقيع على الاتفاق والصلح، وبدأ الفكر والواقع السياسي يتطور ويتحرك بشكل جيد.

وبعد التخرج من الوسطى ذهبت إلى الثانوية الصغرى (دار المعلمين)، وكانت الدراسة فيها سنتين بعد المرحلة المتوسطة، السنة الأولى: فيها معلومات عامة وأدب إنجليزي، وقواعد اللغة ونطق الكلمات، وفي السنة الأخرى نتعلم الإدارة، فالمعلمون الذين سيذهبون للتعليم يدرسون تربية وعلم نفس، في هذه السنة تم اختياري مع ثلاثة، هم: أبوبكر باسعد، ومحمد مبارك الحوري، وعبيد عوض العفاري، كمعلمين بقرار من مجلس الدولة للحاجة إليهم، والمعلم له مهمتان في تلك الفترة: مهمة اجتماعية، ومهمة تربوية وتعليمية، من هنا كان المعلم متفاعلاً مع كل الأنشطة التي تعتمل في المدرسة، أو في الوسط الاجتماعي الذي ينتقل إليه، وهذه الأعمال قد تهين المعلم لكي يتصدّر العمل السياسي والحركة الوطنية في الخمسينيات والستينيات.

- هناك شخصيات ناضلت تربوياً في سبيل التوعية والعلم، أساتذة كرام وزملاء أجلاء، منهم: الشيخ محمد حمدان الشاعر واللغوي، والشيخ العالم الفقيه النحوي والأديب عبدالله باعنقود، كان يمتلك صوتاً جميلاً، وكان يدرّبنا على بعض الأناشيد والأعمال المسرحية، والشيخ أحمد عبدالله بن طاهر باوزير، والشيخ خميس حمدان، وهناك الكثير.

- في صباح الأربعاء (٤) من ذي القعدة من السنة ١٣٧٢هـ الموافق (١٥) من يوليو من العام (١٩٥٣م) بدأت ترسم أولى محطات حياته العملية، مُسَجَّلةً بداية المشوار التربوي والتعليمي للمعلم عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي بالمدرسة الابتدائية بريدة عبد الودود الشرقية.

- ولأن مهنة المعلم ورسالته الخالدة هي نشر نور المعرفة ونثر ضياء التربية والأخلاق وجد المعلم عبدالرحمن الملاحي نفسه مكلفاً في مطلع العام الدراسي: (١٩٥٦م) بقرار من إدارة



الملاحي مع د. سعيد الجبري
في إحدى فعاليات اتحاد الأدباء والكتاب بالملكلا

- هذه الصروح التربوية والتعليمية لها حكايات مع أستاذنا الملاحي، ففيها تلقى تلاميذه من شفاهه نواصي المعرفة، ونهلوا أريج القراءة ورحيق الكتابة، وتزودوا بالأخلاق والسلوك القويم من سيرته العطرة؛ إذ نجح المعلم المدير عبدالرحمن الملاحي في إدارتها، فجعلها تعجُّ بأوجه النشاطات اللاصفية المتنوعة؛ ليغرس فيها أول بذرة في مفهومه الثقافي العميق.

- خلال رحلته التربوية والتعليمية كان شيخنا عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي كغيره من رواد التعليم الحديث الأفذاذ في حضرموت حريصاً على وضع لبسات الوعي والمعرفة في كل قرية ومدينة، وكل حضر وريف، كانت إليها نقلته التربية، فتنقل ملاحاً بين هذه المدن والقرى، معلماً متوهجاً بحب القراءة والمطالعة، ورصد التجارب الحياتية، والاقتراب الحميمي من هذه البيئات المختلفة، التي شاءت ظروفه العملية أن يقترب منها، ويلامسها بلطف وحنق، فيخترن في ذاكرته المتقدمة للتحوّل بعد ذلك إلى مشاريع بحثية عميقة ورصينة عن ظواهر الحياة الاجتماعية والثقافية في حضرموت.

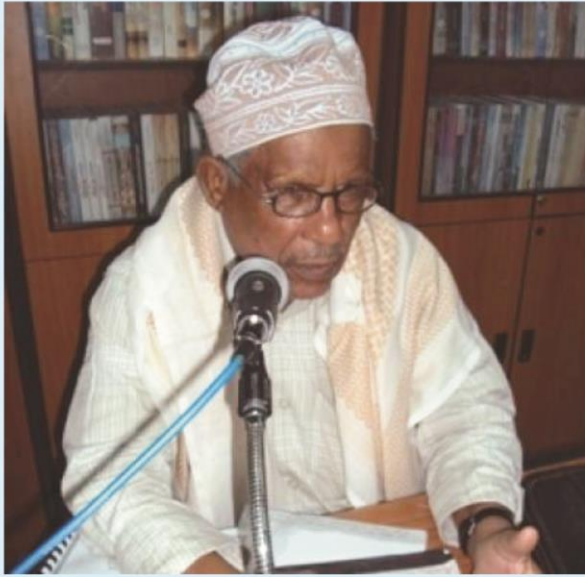
المعارف يومئذ للانتقال إلى وادي دوعن بمنطقة صبيخ؛ ليقضي بها عامين متتاليين، ثم يعود أدراجه في العام ألف وتسعمائة وثمانية وخمسين ميلادية إلى مدينته الأثرية الشحر كأول مدير يفتتح العام الدراسي: (٦٠ ٦١م) بالمدرسة الغربية في حصن ابن عيَّاش التاريخي، ومن جميل طرائف تلك المرحلة التي تذكّرها مع رفيق دربه التعليمي الأستاذ عمر عبدالرحمن باسنبيل هذه الخواطر الطريفة.

- وعندما ظنّ مدير المدرسة الملاحي أن المقام سيطول به في مدينته الشحر وإدارته لمدرسته الغربية ستستمر وتدوم جاءته نقلة العام الدراسي (٦٤ - ٦٥م) لتعيده إلى وادي دوعن بمنطقة الجحي؛ ليقوم حينها بتكليف من الأستاذ محمد عبدالقادر بافقيه المسؤول في وزارة المعارف بسلطنة القعيطي حينئذٍ بافتتاح المدرسة الوسطى في منطقة رباط باعشن وقد فعل.

- في العام الدراسي: (٦٧ - ٦٨م) عُيِّن الأستاذ الملاحي مديراً لمدرسة مدرم بالملكلا، ثم ينتقل بعدها مديراً لمدرسة جيل الثورة سابقاً (سمية حالياً) بالشرح، فتتعدّد تنقلاته بعدئذ بين العودة إلى الشحر فالذهاب إلى غيل باوزير فالملكلا، وأخيراً إلى وادي دوعن بمنطقة رباط باعشن، خاتماً مشواره التربوي الذي امتد لأكثر من عشرين عاماً، وخلال رحلته هذه كان زاده فيها جملة من المعارف التي استلهمها من أساتذة أفذاذ، تأثر بهم، وصنعوا شخصيته التي تجلّت بعد ذلك.



الملاحي مع د. عبدالقادر باعيسى
في إحدى فعاليات اتحاد الأدباء والكتاب بالملكلا



محطات من رحلة حياته الإنسانية والثقافية والبحثية والعلمية التاريخية

- لقد كان لي هدف أن أكون كاتباً، تبلور ذلك الهدف بعد تخرجي في دار المعلمين بغيل باوزير في مارس العام ١٩٥٣م، الموافق: ١٣٧٢ هجرية، ومن المحطات التي وقفت عليها للوصول إلى هذا الهدف.

"جدتي القمرية احترفت التعليم لتعول الأسرة في غياب الجد"

جزر القمر، والمتوفى بها في مدينة ماروني عام ١٩٤٣م، فقد تقطعت الأسباب من جراء ضراوة الحربين العالميتين الأولى ثم الثانية، فكانت تلك المرأة الصالحة التقية الشجاعة خير راع للأسرة، ومرشدة الجميع إلى التعليم والتقوى والصالح، فكست بعلمها وحكمتها أفراد الأسرة، وصبغت الأفراد فيها بشخصيتها، في ظل هذه الرعاية الحميمية للجدّة والعطف من الوالدين نشأت، وحينما تعلّمت القراءة والكتابة، وجدت في المنزل من الكتب ما يعينني على فهم الكثير من أمور ديني ودنياي، وأتذكر اليوم كتاب المستطرف من كل فن مستطرف، المعروف بين طلاب الأدب واللغة، المملوك لأحد أعمامي، وكان - دائماً - موضوعاً في رفّ تصل إليه كل الأيدي الصغيرة، مثل يدي، وكنت شغوفاً بقراءة هذا الكتاب، وكانت من بين نساء الأسرة عمّتي التي تحفظ الكثير من الحكايات والأشعار، فكنت أقضي الساعات منصتاً لرواياتها وحكاياتها: السلطان وبنت مشرق الشمس، وسارق حضر موت، وسمسمانة، وغيرها من الحكايات الشعبية الجميلة، تروى بأسلوب شائق، فصارت ساعات الإنصات إليها بكل كيان، والتأمل وحفظ جزء مما هو موجود في الكتاب عادة متحكّمة في نفسي، طغت على رغبة الطفولة في اللعب مع الأقران في الحارة، والقرين

- في مرحلة الطفولة التي ليست من صناعي، ولكن إدراكي ووعيي تشكّلا فيها تحت رعاية والدي الكريمين وفي أسرة كريمة، إذ تزامنت صرخة ميلادي بمديرية الشحر في اليوم الأول من شهر أكتوبر من العام ١٩٣٦م، كما تسجله الوثائق الحكومية، تزامنت تلك الصرخات مع انطلاق صوت الفتيات الدارسات العالي بقراءة فاتحة القرآن الكريم في علّمة الشيخة الفاضلة ربيعة بنت سليمان بن سيف الجسّاس الملحقه بمنزلنا، بل هي غرفة منه، والشيخة ربيعة جدتي لوالدي، وهي فتاة قمرية، نسبة إلى جزر القمر من أم قمرية ووالد عماني، احترفت تعليم الفتيات لتكتسب مما يقدمه من نقود فتعول به الأسرة، في ظل غياب رب الأسرة جدّي المهاجر في



الملاحي مع مُعد هذا الحوار الأستاذ صالح الفردي



الأستاذ عبدالرحمن الملاحي (رحمه الله) مع أ.د. عبدالله بن جَسَّار الجعدي في أثناء نزولهم الميداني إلى مدينة الريدة الشرقية وإجراء المقابلات الشخصية مع المعاصرين للقائم عن السلطنة القيعطية الشيخ عبدالله بن عوض مخارش

الصديق الوحيد الذي أبدله اللعب، هو أحد المحلّقين حول الرواية عمّتي، والمنافس في قراءة المستطرف، هو أخي عبدالله الكريم الملاحي الشاعر المعروف رحمة الله عليه الذي يكبرني بستين، إن ما جعل شقيقي يحتل موقع الصداقة عندي أننا العائلة تنتقل في كثير من السنوات مع والدي إلى المدن القريبة من الشحر، مرافقين لهم في تنقلاته، التي عمل فيها مدرّساً في هذه المدن، فتواجه معاً أنا وشقيقي صديقي المجتمع الجديد الغريب، فنختار أصدقاءنا متحدين.

"مرحلة الدّراسة المتوسطة ودار المعلمين بالغيل شكّلت وعيي وإدراكي وتطلعاتي الأدبية والفكرية"

- لمرحلة الدّراسة المتوسطة ودار المعلمين بالغيل أهمية في تشكيل وعيي وإدراكي وتطلعاتي الأدبية والفكرية لكونها في عقديّ الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي تمثل النافذة إلى عالم التجديد، بالتجاوز على واقع الثقافة التقليدية في مجتمع حضر موت، والتعرّف على الثقافات العربية التي تعيش حركة فكرية وثقافية تنويرية برزت في تلك الفترة.

ومن أبرز وسائل المعرفة بمدرستي المتوسطة ودار المعلمين وجود مكتبتين حوت عناوين مختلفة من التراث العربي والإسلامي، وأخرى من الكتابات المعاصرة العربية والمحلية، يجاورها مكتبة صغيرة حوت عدداً من المصنفات التي كتبت باللغة الإنجليزية، غالبها قصص وروايات، كتبت بلغة سهلة، فكانت هذه الكتب بلغتيها معيناً فياضاً للتلاميذ يغترفون المعرفة منها.

كانت غرفة المطالعة في هاتين المدرستين تُزوّد بالصحف المصرية الصادرة حينها كالمصور، والاثنين، والرسالة، والثقافة وغيرها، فيتهافت على قراءتها التلاميذ، فهي تشكّل نافذة على العالم العربي، الخارج عن محيطنا الجغرافي المغلق، وكان الاهتمام بما يكتب فيها مثار نقاش بين المولعين بالقراءة، يفسرون الأحداث والمواقف وفق فهمهم وإدراكهم البسيط، بل يتجاوز التعليق والاهتمام مجرد ما يكتب، بل وصل إلى حد الارتباط الروحي عبر الكتابات بالكتاب أنفسهم، صحفيين ومؤلفين، كفكري أباطة، وطه حسين، وأحمد أمين، والعقاد، وشوقي وغيرهم، وأتذكر أنه كانت تحدث مناقشات بين أولئك التلاميذ المرتبطين بهذه الأسماء، وتدور بينهم المفاضلات والتعصبات، وفي هذه الحالة تولّد لدى التلاميذ حبّ الاطلاع والرغبة في الكتابة مقلدين في أساليبهم وتعابيرهم تلك الأقلام العملاقة، فصار شبه مباح لعقولنا الصغيرة التحليق في آفاق الخيال والشموخ والطموح لتكون كتاباً مرموقين، وفي خضم هذا الاهتمام والتحلق في سماء الأمل، وعندما كنت طالباً بمدرسة دار المعلمين كتبت القصّة القصيرة، واشتركت في مسابقات مدرسية قصصية، كنت أحوزُ الدرجة الثانية في كل مسابقة،



على هامش إحدى الفعاليات الثقافية
مع د. سعيد الجبري و عادل باعكيم

لأنَّ في المدارس حينذاك تُدرَّسُ مادةُ الإنشاء، ومعلِّموها أجلاء، كالشيخ سعيد بن غوث باوزير، والشيخ عبدالله باعنقود وغيرهم، فهؤلاء عباقر في الأدب والفن والنحو، ومن ثم هم يعينوننا كثيراً.

**في نهاية عقد الخمسينيات
كانت لديَّ مقدرة على الكتابة،
فنشرت أولى قصصي في صحيفة
الطليلة بعنوان: (صراع الحب)
في العدد (٥٧) يونيو ١٩٦٠م؛**

واصلت طريقي في كتابة القصة القصيرة في صحيفة الشرارة عندما ينتابني هاجسي للكتابة فيها

- لم أتوقَّف عن الكتابة القصصية، بل واصلت طريقي في صحيفة الشرارة وغيرها، ولازلت والحمد لله أكتبُ القصة القصيرة عندما ينتابني هاجسي للكتابة فيها، وبِتُّ أنحوي كتابتها مضمون الفكر والرؤية إلى واقع الأمة الإسلامية، وأذكر منها: (فار الحلاق صوت الذّاكرة أي شيء هو والباقية).

إنَّ كتابَ القصة القصيرة يدركون - دون شك - أنهم يعيشون حالات اللاوعي وقت ورود الهاجس، تراءى الصور والشخوص وتتداخل الحوادث، وهذا حال كل المبدعين، غير أن القصة والرواية تنتزع المؤلف من واقعه ليعيش واقع الخيال الذي صورّه، ويرغب في إبرازه، فبدون هذه الحالة - ولنسمّها ما نشاء - لا يكون في عمله مؤثراً في نفس القارئ، وأرى أن هذه الحالة أخذت مدًى أوسع في ذاتي بزيادة مساحة الخيال، وتوارد الخواطر، وتعدّد الرؤية للأمور، والالتقاط للمتناقضات البشرية الحياتية.

كانت تلك النتاجات القصصية ضعيفة - دون شك -؛ لأنها في مرحلة عمرية مراهقة، وتخلو من التجربة الحياتية، والرؤية الخاصّة التحليلية، وإلى غير ذلك من مكونات الكتابات القصصية التي عرفتُها في مرحلة عمرية لاحقة، لكنني تابعت القراءة والمطالعة المكثّفة، خاصة عن المذاهب الأدبية، ومنهج القصة ومكوناتها، وتاريخها، وما ترجم إلى اللغة العربية من



الملاحي يتوسط، الأستاذ الباحث عبدالله حدّاد و د. عبد القادر باعيسى
والأستاذ عمر خريص في إحدى الفعاليات الثقافية

قصص الكتاب الغربيين، فأحسست أنني أمتلك مقدرة على الكتابة في نهاية عقد الخمسينيات، فنشرت أولى قصصي، التي أراها مكتملة، في صحيفة الطليعة بعنوان: (صراع الحب) في العدد (٥٧) يونيو ١٩٦٠م، وظللت أنشر قصصي إلى وقت إغلاقها عام ١٩٦٨م.



الملاحي مع الأصدقاء أ. أكرم باشكيل و أ. عباس باوزير

المسرحي سالم حسين الجحوشي أن يخرجها، لكن جاءت التغييرات السياسية في بداية التسعينيات، فلم يستطع الاستمرار واستكمال العمل، حتى توقفت عن الكتابة المسرحية في نهاية عقد الثمانينيات من القرن الماضي.

من المسرح المدرسي (حرّاس القرية - النداء)، وهناك مشاريع مسرحيات، لم أعمل في استكمالها لانشغالي بأمر آخر:

- بعد ذلك كتبت المسرح المدرسي، وهو ما يجب أن يكون له علاقة بالجوانب التربوية، وتثقيف الطلاب وإرشادهم؛ لأن بعض المدارس يعرضون فيها مسرحيات اجتماعية، وهو مغاير للمسرح المدرسي، فكتبت: (حرّاس القرية، والنداء)، وهناك مشاريع مسرحيات، لم أعمل في استكمالها لانشغالي بأمر آخر، مثل: مشروع مسرحية: (الهارمولين)، وهو في الحقيقة نبات الحرمل، وتعرض لحكاية عالم آثار حل في أماكن متعددة، يجول في ديارها وشعابها لدراسة النباتات، واكتسب صداقات عدّة، منها صداقته مع تاجر صاحب حانوت، وآخر صاحب مقهى،

أولى مسرحياتي عام ١٩٦٨م، (الثائر المجهول)، ونزعت إلى كتابة المسرحية الواقعية في البداية، ثم التاريخية، ثم الذهنية

- لقد نزعت إلى كتابة المسرحية الواقعية في البداية، ثم التاريخية، ثم الذهنية، فكتبت أولى مسرحياتي عام ١٩٦٨م، (الثائر المجهول)، التي عُرضت على مسرح قصر (١٤ أكتوبر بالمكان) في العام نفسه، تلتها مسرحيات أخرى عُرضت على

مسارح الجمهورية، في عدن وعدد من مدن المحافظات، منها: (أشرفت الشمس ١٩٧٠م - الحصاد ١٩٧٣م وعرضت على مسارح عدن ولحج - ولأجل أبي عرضت في المكان - والشركة العالمية عرضت في الشحر - وحكاية قرية وقد نالت التكريم في يوم محو الأمية لكونها كانت تعالج فكرة التقارب بين المدينة والقرية - والرحالة التي فزت بها كأفضل نص مسرحي من قبل مكتب الثقافة والسياحة في العام ١٩٨٣م، والرحالة هي مسرحية تاريخية، حوّلت أسمها فيما بعد إلى (حنكوب)، وهو اسم محلي معروف في البادية، وتحدثت عن المقاومة ضد الفرس في المناطق الشرقية بحضرموت، وهي لم تمثّل؛ إذ حاول الأستاذ



في أثناء زيارة الأصدقاء من غيل باوزير

في حضر موت خلال (٢٠) عاماً الشكل والمحتوى، دراسة تحليلية للنشاط المسرحي نفسه وما تخلله من فكر، تاريخ المسرح بمديرية الشحر، حرية المرأة في مسرح المحضار الغنائي، ثم طغى بعد ذلك الجانب الأدبي على الواقع الأدبي.

رحلة العمل الثقافي إدارة وعملاً ونشاطاً وبحثاً ودراسة وكتابة ونشراً:

- أما تعلقي في دراسة الموروث الثقافي الشعبي، أو التراث الشعبي، أو الفلكلور الشعبي، فأنا أحب استعمال الثقافة الشعبية أو الموروث الثقافي الشعبي، فمن خلال إدارتي لفرع مكتب وزارة الثقافة في حضر موت، الذي افتتحته في مايو ١٩٧٥م، أشرفت على عدد من اللجان، التي قامت بزيارات ميدانية لمديرتي دوعن وحجر، وقبلها كنت قد ترأست لجنة للتنقيب عن التراث في الشحر والحامي والديس الشرقية وقصيعر والريدة وتريم وسيئون والقطن وشبام ووادي منوب، خلال الفترة من: ٣١ يوليو ١٥ سبتمبر ١٩٧٤م، وفي مطلع الثمانينات من القرن العشرين تفرغت من العمل الإداري، لمتابعة تدوين الموروث الشعبي، وكان التفرغ بطلب مني، على الرغم من علاقتي الطيبة مع وزير الثقافة يومها محمود النجاشي، وكان الإخوة في حضر موت يريدون أن يكون مدير الثقافة متميلاً للحزب، ولم أكن حزبياً، في التنظيم الموحد، لذا أعطيت لي إجازة تفرغ من يوليو عام ١٩٨٠م، وقد التقى بي الوزير النجاشي، وأبلغني أنه سوف ينزل عند رغبتهم، لكن لا أريدك أن تستعد عني وعن العمل الثقافي، فسوف أنقلك إلى عدن ومكانك

وتذهب الأحداث إلى تغييرات كبيرة تحدث في طبيعة الحياة وسلوكيات الناس بعد أن يقنعهم الآثار بالتوسع في زراعة الحرمل وشرائه من قبل شركة على حساب زراعتهم للذرة والبر وغيرها، كتبها، لكن بعد قيام الوحدة لم أجد من يهتم بالأفكار والمسرح الذي تراجع حتى انقرض تماماً، وهناك كذلك: أهلاً بالعروسة وتعالج قضايا اجتماعية، والجزيرة وهي ذهنية، لذا كان الاهتمام الأكبر بالمسرح وكان في فترة السبعينيات.

بعد (٢٠) عاماً في سلك التدريس انتُخبتُ أميناً عاماً لاتحاد المسرحيين بعدن:

- في مارس من عام ١٩٧٣م، انتُخبتُ في اتحاد المسرحيين في عدن بعد عشرين سنة أمضيتها في سلك التدريس، وفي تلك الفترة: ١٥ - ٢٢ مايو ٧٣م، مثلت بمفردي بلادنا في العاصمة السورية دمشق، وحضرت كذلك ندوة عن النشاط المسرحي في ألمانيا الديمقراطية مع المرحوم محمود أربد، ثم المرة الثالثة حضرت مؤتمر المسرح في العاصمة العراقية بغداد في العام ١٩٨٨م، بمعية مجموعة كبيرة، وذهبت بوصفي كاتباً مسرحياً لا باحثاً أو إدارياً.

من أبحاثي في المسرح الحضرمي

في سنوات الثمانينات كتبت أبحاثاً عن المسرح منشورة، منها: واقع الحركة المسرحية في حضر موت، النشاط المسرحي





زيارة لتوديع أستاذنا الملاحي قبل سفره إلى المملكة العربية السعودية للعلاج

موجود، لأنني كنت مديراً للمراكز الثقافية في الجمهورية، زيادة على أنني أمين عام اتحاد المسرحيين، وأعمل كذلك في قسم مراقبة المصنفات بالوزارة فترة من الزمن، فقلت له: إذا أردت أن تساعدني في هذه السنّ وعندي مواضيع كثيرة من الأبحاث، أريد أن أفرزها وأتابعها فأعطني تفرغاً فيما بقي من فترة عملي، فاعترض في البداية، ولكن عند إصراري على

التفرغ، وافق على طلبي، وأصدر قراراً بتفريغي للأبحاث، وكانت لي فرصة، أناحت لي التحرك والتجول في مواقع مختلفة في المحافظة وفي مواضيع عدة.

بمن تأثرت في الكتابة؟

– لكل منّا قدوة، أو تأثر، فإذا كنّا ونحن أطفال في المدارس قد تأثرنا بالعقائد وأحمد أمين، فقد تطورت هذه الفكرة عندنا فكان لا بد أن تتأثر بعد ذلك، بالنسبة للأسرة فكان عندي والذي رحمه الله وهو شخصية معروفة بالعلم والصلاح، وعندي أخي الأكبر عبدالله، كانت قراءتنا مشتركة، فصار هو شاعراً، وصرت أنا ناثرًا.

الشيخ باوزير تعلمت منه عقلانية التفكير، وحرية التعبير وخوض معارك التغيير:

– هناك شخصية أخرى، هو الأستاذ سعيد عوض باوزير رحمه الله فقد كان كاتباً ومؤرخاً، يحمل همّ هذه المحافظة، التي يعدّها وطناً وشعباً، وهمّ كان التغيير والتجديد، إذا كان الطابع العام في الثلاثينيات والأربعينيات إلى منتصف الخمسينيات يغلب عليه التقليد في الحياة، فهو دائماً مناهض، فمن هذه الشخصية تعلمت الكثير، ففي الغيل كنت كثيراً ما ألتقي به وأجلس معه، وفيه كتبت: (أما الشخصية الثالثة التي تأثرت بها وبعلمها وسلوكها وتفكيرها ومنهجها التعريفي بالتاريخ هو الأستاذ المؤرخ القدير سعيد عوض بن طاهر باوزير، رحمه الله، الرجل ليس مجرد فقيه وأديب ومؤرخ وحسب، بل هو رجل رأي، امتلك رؤية سياسية واجتماعية ونهضوية لتطوير مجتمع حضر موت، وقد لاقى العنت والجفاء من السلطة القمعية حينها، وهو من رجالات المجتمع المرموقة وشخصياته جراء أفكاره ونشاطه التنويري النهضوي، كنّا تلاميذ صغاراً وشباباً يوافع، يحدّونا الأمل والطموح، والرغبة الجارحة في التعرف على المزيد من المعرفة المتجددة، والانطلاقة إلى معرفة متغيرات العالم العربي بالتحديد، وفي سنوات عشناها عجاجاً وعالماً نقرأ عنه في الصحف، ونسمع عنه في الراديو الوحيد في المدرسة



الملاحي يتوسط أ. أكرم باشكيل و أ. عادل باعكيم



حضر موت الثقافية



الألفاظ الفارسية التي في هذه القصيدة، وتتبع الأماكن التي نزلت فيها قوات الفرس، والمواقع التي دارت فيها المقاومة، وهو ما جعلني أذهب وأرحل من شقرة إلى خوف للسؤال عن مَثَوَب، التي نزلت فيها القوة الفارسية ونشرته في مقالات، وهذا فتح لي مجالاً كبيراً، ولقاءات مع الشيوخ في تلك المنطقة، ووجدت نفسي أنساق إلى دراسة هذه القصيدة لغوياً، ومقارنتها بغيرها من القصائد، وما جاء في النقوش، فوجدتها تتطابق معها، بل إن القصيدة المشقافية أكثر عمقاً من القصيدة النقشية، وقد أُلقيت كل هذه المواقف ويوميات الرحلة في أمسية من أمسيات الليالي الأدبية، بحضور الدكتور محمد عبد القادر بافقيه وعدد من الأساتذة السودانيين في الثانوية والوسطى والطلبة، وقد تخلَّلها نقاشات كبيرة في تلك الليلة. - هذه الرحلة رفدتها تلك الجولة مع اللجنة للبحث عن التراث في عام ١٩٧٤ م، وما تلاها، وكنا نتعب كثيراً، ولكن كان همنا أن نجمع التراث الحضرمي، أو الموروث الشعبي، والثقافة الشعبية العامة، وندونها وفق ثلاث مراحل، الأولى: مرحلة التجميع، بعدها مرحلة التنقيب، أو التحديد والتفنيذ والمراجعة، ثم مرحلة التحليل والتعليق والكتابة.

همسة الخاتمة:

كانت هذه هي خلاصة لمجمل ما نشره شيخنا الجليل الفقيه عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي في تلك الأمسيات الحميمة التي شهدتها مدينة المكلا، وفي قلب حي شرح باسالم حي العمال، في قاعة الاتحاد، التي كان يتوافد إليها الكثير من الشخصيات الأدبية والثقافية والأكاديمية والمهتمة بالمشهد الثقافي، والحريصة على تتبع خطى الرحلة لهذه القامة الحضرمية الفكرية السامقة، وتختلط فيها المشاعر النبيلة التي أحاطت ودفعت به إلى الاسترسال في نشر هذه الذكريات والأحداث بروح عامرة بالمحبة والإخلاص لكل تراث حضر موت وتراها الطاهر النقي.

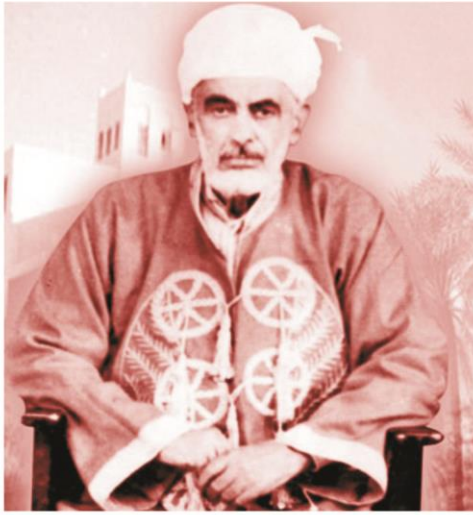
في وادي (بدش) عشت (١٨) يوماً، أنام في عريش، وأتجوّل بين النخيل، وأفطر من رأس النخلة وأشرب من الغدير، والغذاء قطعة خبز مع قليل لحم، والعشاء لبن مع خبز:

- بدأت في كتابة الأبحاث والدراسات الثقافية، وأريد أن أسجّل أن الفضل الكبير في هذا التوجّه، لدراسة الموروث الشعبي يعود لزيارتي الأولى إلى وادي بدش عام ١٩٥٢ م، ١٣٧٢ هجرية، في تلك الفترة كنت قد أكملت المستوى الأول الثانوي، أخذت في ذلك الوادي (١٨) يوماً أعيش حياة سكانه، أنام في عريش في الفضاء المكاني، وأتجوّل بين النخيل، وأفطر من رأس النخلة، وأشرب من الغدير الذي تحت النخلة، والغذاء قطعة خبز مع قليل لحم، والعشاء لبن مع خبز أيضاً، والناس يعيشون في بساطة وارتياح نفسي، شعارهم: (خير المحلّة تحت شطفة وعود)، وهناك حكاية من الحكايات التي استهوئني في ذلك الوقت، فالعلاقة بين الرجل والمرأة ما فيها تعقيد في ذلك الوقت في المشقاص، ولكن الأعراض مصونة والفواحش منبوذة، وأي خطأ من الشاب إلى الشابة تعطى له كلمة (عنيتك) من الفتاة، ومعناها ألزمت بأمر ما، أو تهمة، وهنا يكون فيها حكم، لذا العلاقات الإنسانية لا تمسّها أي تصرفات شائنة مطلقاً.

- وقد حدثت معي عدد من المواقف في تلك الأيام سجّلتها في مذكرتي، وظلّت معي طويلاً، حتى كتبت عنها في كتابي (الدلالات الاجتماعية والتاريخية من مهرجانات الختان في المشقاص)، ومنها قصيدة من (٨٦) بيتاً، رواها لي أحد كبار السن في هذه المنطقة، وفيها عدد من الكلمات التي لم أعرفها، وتُعجّم علي تماماً، ولكن هذه القصيدة فتحت لي مجالاً في البحث التاريخي؛ لوجود الفرس في المنطقة، نظراً لكثرة

حضر موت أرض العلماء الأفاضل

ابن عبيد الله السقاف عالم لا يضاهي



المقدمة:

في دراسة سابقة لنا عن عالم حضرمي فذهو الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة (٨٧٠ - ٩٤٧ هـ / ١٤٦٥ - ١٥٤٠ م) والذي عُرف في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي أيام الدولة الطاهرية بقاضي ومفتي عدن، فضلاً عن مؤلفاته النفيسة في الفقه والتاريخ والتراجم والجغرافية، فقد أيقنت تماماً أن حضرموت أرضاً ولادة بالعلماء العاملين والسادة المربين على حد قول المؤرخ محمد بن عمر الطيب بافقيه الشحري وهو من مؤرخي القرن العاشر الهجري. فبقدر ما كان الطيب بامخرمة عالماً غزير الإنتاج، ومتنوع المواهب، ومتعدد التخصصات، قيض الله أن يظهر بهذه الأرض المعطاءة بعدما يزيد عن ثلاثة قرون هجرية ونصف القرن عالم آخر لديه نفس المزايا والخصال، ذلكم هو العلامة والمؤرخ والجغرافي والأديب الأريب ومفتي الديار الحضرمية في زمانه عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف (١٢٩٩ - ١٣٧٥ هـ / ١٨٨٢ - ١٩٥٦ م).

والاجتماعيات والصوفيات، وفي هذا الديوان أثبت ابن عبيدالله أنه كان شاعراً قبل أن يكون فقيهاً وعالماً ومؤرخاً، ولا ننسى بهذا الصدد روايته (التسعة الرهط) التي عدها البعض أول رواية شعرية يمنية في العصر الحديث. وفي النشر أثبت كذلك مقدرة كبيرة وأنه كان ذا حس نقدي عال، وانعكس ذلك في آرائه النقدية في كثير من مصنفاته لعل أبرزها وأهمها: (النقد الذوقي)، و(العود الهندي في نقد شعر الكندي)، و(النجم المضي في نقد كتاب عبقرية الرضي)، ولسنا معنيين هنا بتحليل تلك الآراء ووجهات النظر التي عبرت عن توجهاته الذاتية ومنطلقاته الفكرية والتي ارتبطت بالتطورات السياسية والاجتماعية في قُطره حضرموت وادياً وساحلاً، فضلاً عن اليمن والعالمين العربي والإسلامي، فهذا سيتم تناوله في مناسبات قادمة إن شاء الله تعالى.



د. محمد صالح بلعفير النهدي

والمتتبع لسيرة ابن عبيد الله السقاف سيصل إلى حقيقة لا غبار عليها وهي أنه - رغم تأخر عصره - قد بزّ سلفه الطيب بامخرمة في طرق أبواب الأدب شعره ونثره، ولعل خير مثال على ذلك ديوانه الذي يحمل اسمه وطبع في مصر عام ١٩٥٩ م، وضم بين دفتيه عدة أبواب توزعت على التراكيب والإماميات



الحبشي المتوفى سنة ١٣١٤ هـ الذي عده ابن عبيد الله شيخ فتحه، والذي كثيراً ما يشير إليه بالأستاذ الأبر.

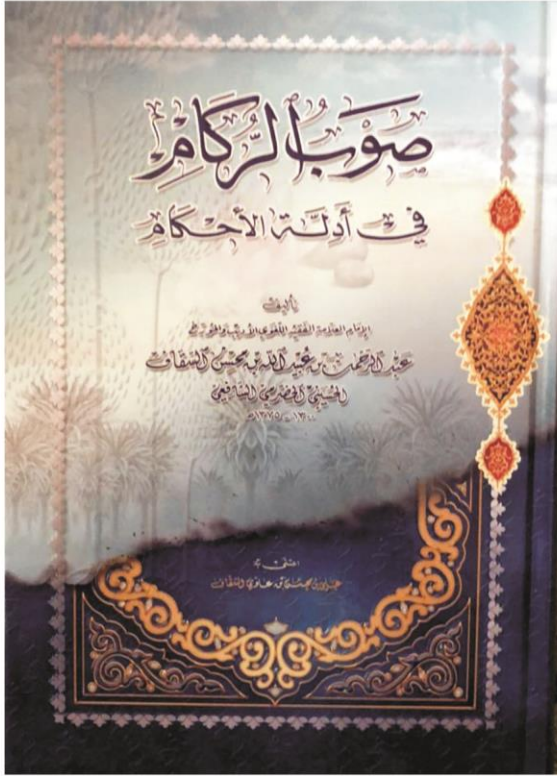
ولقد توافرت فيه مجموعة خصال من صفاء الذهن والذكاء ما منحه في مستقبل شبابه القدرة على الاشتغال بالتدريس والخطابة، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك بالانخراط في الشأن السياسي والاجتماعي بعدما هاله حالة التخلف والانحطاط التي أصابت مجتمعه المحلي وعالمه الإسلامي في مقتل، الأمر الذي دفعه إلى الاتصال بقيادة وطنه والمسلمين، ومن ثم تجريد قلمه وقصائده لتشخيص العلل والنصح بتحديد الدواء لعلاج علل الأمة الإسلامية ولا سيما في مصر وسورية، فضلاً عن المهاجر الحضرية، والتي عكست بحق أخلاقه الرفيعة وما تمتع به من حرية الفكر وصراحة الرأي، والأهم من ذلك موقفه الذي لا يقبل المهادنة ضد التخلف والغلوط والتطرف والجمود والتعصب الأعمى في وطنه والبلدان التي استقر بها الحضارة في مهاجرهم، الأمر الذي سبب له متاعب جمّة وغضب البعض بمن فيهم رهط العلويون، ولتحقيق أهدافه في التنوير والإصلاح أخذ على عاتقه تكوين الجمعيات والقيام بالأسفار حيثما هاجر بنو وطنه.

على أنه ينبغي الإشارة إلى أن السبب الرئيس للكتابة عن ابن عبيد الله السقاف هو التقاؤه مع العلامة والمؤرخ بامخرمة في خوض مجال الجغرافية والأنساب، وإلا فهو شخصية غنية عن التعريف وأقيمت عن حياته ومصنفاته ومواقفه الوطنية والسياسية وتوجهاته الفكرية العديد من الندوات والملتقيات البحثية وكتب عنه كذلك البحوث والدراسات فضلاً عن المقالات.

فكما بامخرمة، كان ابن عبيد الله عزيز الإنتاج بل إنه فاقه في تعدد العلوم والفنون وتنوع المؤلفات. ففي الفقه: له كتاب (صوب الركام في تحقيق الأحكام، ٣ مجلدات)، و(حاشية على كتاب فتح الجواد)؛ وفي علم الحديث كتاب (بلاسل التغريد فيما أُسْتفِيد من علم التجريد)؛ وفي التاريخ كتاب (بضائع التابوت في تنف من تاريخ حضر موت)؛ وفي الجغرافية والأنساب كتاب (إدام القوت في ذكر بلدان حضر موت)؛ وفي الثقافة والدراسات الإسلامية: كتاب (الإسلام المفترى عليه)، وكتاب (السيف الحاد لقطع الإلحاد)، و(حاشية الشمائل للترمذي)، و(حاشية على التحفة). ويقيناً أنه لولا انشغاله بالأعمال العلمية والتعليمية بل حتى السياسية منها، وبعمل أرفع مقاماً وأكثر عناءً وهو الفتوى، زيادة على أسفاره في المهاجر الحضرية في شرقي أفريقيا وشرقي آسيا، لكان إنتاجه أكثر غزارة مما عرفناه وأوسع فائدة مما علمناه.

الميلاد والنشأة

يفهم مما توافر لدينا من معطيات أن العلامة ابن عبيد الله السقاف، ولد بحي عكَم بدر من ضواحي سيئون بحضر موت في شهر شعبان ١٢٩٩ هـ، وتذكرنا نشأته العلمية تماماً بنظيره العلامة الطيب بامخرمة، فقد نشأ في بيت علم، حيث حظي بتعليم والده له والإشراف على رعايته، وحرصه على ملازمته له في مجالس العلم، والأكثر من ذلك أن والده اختار له بعض المعلمين الذين كان لهم الأثر الكبير في تكوين شخصيته العلمية، ومن هؤلاء العلامة عيدر وس بن عمر

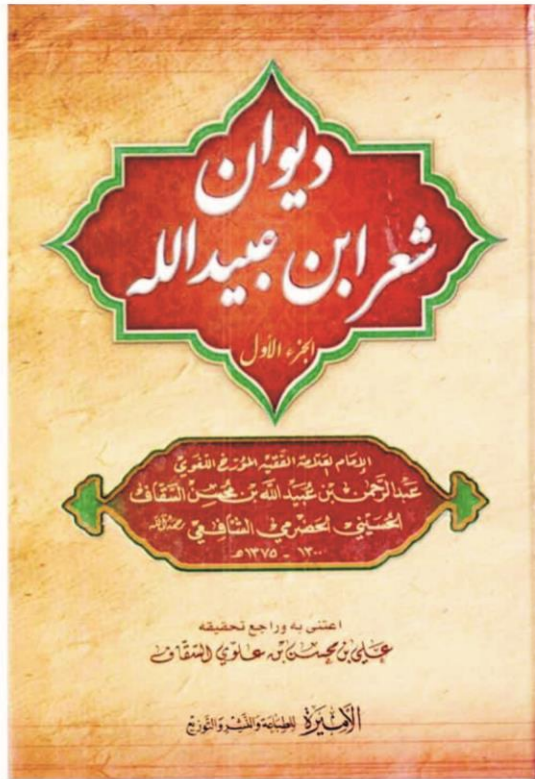


والأسر التي تقطنها والأنساب، والمشاهير من الأعيان والعلماء، وتحلية كل ذلك بما اطلع عليه وحفظه من الأشعار والنكت والطرائف، وهي معلومات ثرة تشوق القارئ ولا شك. وبمؤازرة ذلك عرض المؤلف لبعض المسائل الفقهية والمشكلات الشرعية كلما تتطلب السياق الخوض فيها أو العروج عليها، وعمدته في ذلك علمه الغزير وثقافته الواسعة وأسفاره العديدة التي جال فيها بلدان حضر موت، والوقوف من قرب على أحوالها وتراثها الحضاري والفكري، كما لم يغفل ابن عبيد الله أن يدون بعض محطات حياته الخاصة ولعل خير مثال على ذلك حديثه عن والد زوجته عبد الله بن حسن صالح البحر في ذي أصبح، فضلاً عن تناول المؤلف لحياته التعليمية والعلمية ومن ذلك حديثه عن شيوخه في سياق ترجمته لو الده، وكذلك لشيخه العلامة عيدروس بن عمر الحبشي.

وأما عن منهج الكتاب فقد ابتكر منهجاً لم يسبق إليه، فعلى النقيض من ياقوت الحموي والطيب بامخرمة اللذين اعتمدا منهجاً يقوم على ترتيب الموضوعات على حروف المعجم، فإن ابن عبيد الله السقاف اتخذ منهجاً مغايراً تماماً، بل فريداً من نوعه، يقوم على تقسيم موضوع كتابه - كما كنا قد أشرنا - إلى ثلاثة أقسام وصفت البلدان الحضرمية من أعلاها إلى أدناها، ونجودها من أعلاها إلى أسفلها، وهذا المنهج المبتكر بقدر ماله من قيمة علمية، فهو ييسر على المسافر سواء كان باحثاً أو زائراً التعرف على مواقع تلك البلدان من دون مرشد أو دليل.

وطالما أن الشيء بالشيء يذكر، وما دنا بصدد المنهج، تحتم الإشارة إلى أن ابن عبيد الله قد استفاد كثيراً من منهج الطيب بامخرمة في كتابه (النسبة إلى المواضع والبلدان) في مسألة العناية بإيراد نتف من التاريخ والأنساب، وذكر المشهورين من العلماء والأعيان، واستحضار الفرائد من

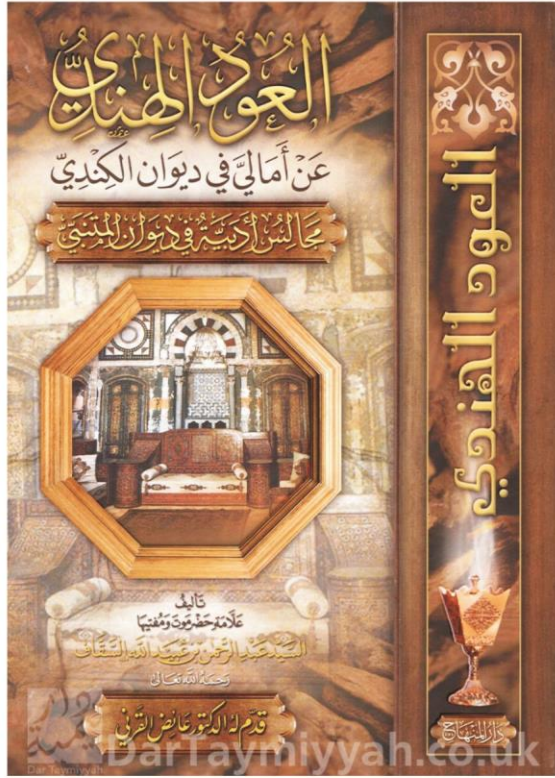
الأخبار والقصص والأشعار، وبتعبير آخر فكتاب بامخرمة يعد أحد مصادره ونجده يذكره ويشير إليه في أكثر موضع. وبالانتقال إلى مصادر كتاب إدام القوت، فالقارئ قبل الباحث سيصل إلى قناعة تامة بأن العلامة ابن عبيد الله قد كون مكتبة معتبرة تعج بالمصنفات في علوم وفنون ترتبط ارتباطاً وثيقاً باهتماماته العلمية والبحثية، وأنه كان يتابع كل جديد على الصعيدين المحلي والخارجي سعيًا إلى اقتنائه. وفي تأليف إدام القوت، فالحق أنه قد اعتمد على مصادر عديدة ونفيسة في التاريخ والجغرافية والأنساب والتراجم واللغة العربية، وأول هذه المصادر كتاب له بعنوان (بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضر موت) الذي كثيراً ما يشير إليه بقوله: "وقد ذكرت ذلك في الأصل" أو "هذا مفصل في الأصل"؛ ويليهِ كتابان للطيب بامخرمة هما: (النسبة إلى المواضع والبلدان)، و(قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر)، وتاريخ حضر موت (تاريخ شنبيل) المتوفى سنة ٩٢٠ هـ، و(عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر)



لمحمد بن أبي بكر الشلي المتوفى سنة ١٠٢٣هـ،
و (النفحات المسكية في أخبار مدينة الشحر المحمية)
لعبد الله بن محمد جمل الليل باحسن المتوفى سنة ١٣٤٧هـ،
و العقد الفاخر في أخبار القرن العاشر (تاريخ باسخله)
لعبد الله بن محمد باسخله المتوفى سنة ٩٨٧هـ، و (برد النعيم
في نسب الأنصار خطباء تريم) لمحمد بن عبد الله بن سليمان
الخطيب، و (تراجم الأولياء والصالحين من أهل اليمن)
لمحمد بن مسعود بن سعد باشكيل المتوفى سنة ٨٧١هـ،
و (الجوهر الشفاف في فضائل ومناقب السادة الأشراف)
لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخطيب المتوفى
سنة ٨٥٥هـ، و (الدرر الفاخر في تراجم أعيان القرن العاشر)
لمحمد بن عبد الرحمن باجمال المتوفى سنة ١٠١٩هـ،
و (روضة الألباب وتحفة الأحباب وبغية الطلاب ونخبة
الأحساب في معرفة الأنساب المعروف بمشجر أبي علامة)
لمحمد بن عبد الله بن علي المؤيدي الملقب بأبي علامة،
و (شمس الظهيرة في أنساب السادة العلوية) لعبد الرحمن بن
محمد المشهور المتوفى سنة ١٣٢٠هـ، و (صلة الأهل في
مناقب فضلاء أبي فضل) لمحمد بن عوض بن محمد
بافضل المتوفى سنة ١٣٦٩هـ، و (العقد النبوي في مناقب أهل
البيت المصطفوي) لشيخ بن عبد الله بن شيخ العيدروس
المتوفى سنة ٩٩٠هـ، و (فتح الرحمن الرحيم في مناقب الشيخ
عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن العيدروس) للشيخ عمر
بن عبد الرحمن السقاف المعروف بصاحب الحمراء
المتوفى سنة ٨٨٩هـ، و (المشرع الروي في مناقب السادة بني
علوي)، لمحمد بن أبي بكر الشلي، و (مفتاح السعادة
والخير في مناقب السادة آل باقشير) لأبي شكيل،
و (المواهب والعطايا والإمداد في مناقب الشيخ عبد الله
الحداد) لعبد الله بن محمد باشر احيل المتوفى سنة ١١٠٥هـ،
و (المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن الحسن بن عبد الله

الحداد) لعلوي بن أحمد بن حسن الحداد المتوفى سنة
١٣٣٢هـ، و (قلادة النحر في مناقب السيد حسن بن صالح
البحر) لعبد الله بن سمير المتوفى سنة ١٢٦٢هـ، و (بستان
العجائب) لمحمد بن سقاف بن الشيخ أبي بكر بن سالم،
و (الدر المزهر على منظومة مدهر) لأحمد بن علوي بن هارون
الجنيدي المتوفى سنة ١٢٧٥هـ، و (الرياض المؤنقة) و (سفينة
البضائع وضميمة الضوائع) لعلوي بن حسن العطاس المتوفى
سنة ١١٧٢هـ، و (مجمع البحرين) لمعروف بن محمد
باجمال، و (مفتاح السنة) للشيخ أبي بكر بن عبد الله
باشر احيل، و (مقال الناصحين ومنال المفلحين) لمحمد بن
عمر باجمال المتوفى سنة ٩٦٤هـ.

ولاشك أن هذا الحشد من المصادر الحضرمية الخالصة
لم يكن وحده الذي اعتمد عليه المؤلف في تصنيف كتاب
إدام القوت، إذ ثمة مصادر أخرى غير محلية رجع إليها ونراه
يشير إليها في متن كتابه، مرة لفائدتها، ومرة أخرى لنقدها
وتصحيح أخطائها مثل: كتاب (الإكليل) و (صفة جزيرة العرب)



للسان اليمن أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني،
(معجم ما استعجم) لأبي عبيد الله بن عبدالعزيز البكري،
(معجم البلدان) لياقوت الحموي، و(تاج العروس من
جواهر القاموس) لمحمد مرتضى الزبيدي، و(القاموس
المحيط) لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي.

معجم فريد

وكتقييم عام لكتاب إدام القوت مقارنة بكتاب النسبة إلى
المواضع والبلدان بامخرمة، يمكن القول إن ابن عبيد الله
السقاف قد بذل جهداً كبيراً وصرف وقتاً طويلاً من عمره في
إعداد هذا المعجم الفريد من نوعه الذي يعد - كما ذكرنا -
أول موسوعة جغرافية عن بلدان حضرموت. فهو وبالنظر
إلى أنه صنف معجمه عن بلاده حضرموت التي تعتبر أكبر
أقاليم الجنوب في المساحة الجغرافية، والفترة الزمنية الطويلة
التي تفصله عن بامخرمة، قد توافرت له ولا شك مصادر
محلية متأخرة وكثيرة عنيت بأنساب القبائل والبطون والعشائر
التي قطنت الديار الحضرمية، وكذلك العوائل العلوية التي
لم يغفل تناول أقطابها والإشارة إلى المشاهير من رجالها،
فضلاً عن خوضه في أنساب القبائل اليافاعية التي استقدمت
إلى حضرموت في عهود ماضية، وتمكنت وفي فترات مختلفة
من تأسيس كيانات سياسية ودول كان آخرها السلطنة القيعطية.

ومما لا شك فيه أن تلك المصادر الحضرمية التي ظهرت
بعد عصر بامخرمة بمدة طويلة، زيادة على أسفار ابن
عبيد الله وزياراته الميدانية للكثير من بلدان حضرموت
والوقوف على آثارها، قد مكنته من معرفة حقائق كثيرة
والإطلاع على معطيات غزيرة، وتبعاً لذلك ظهر كتابه غنياً
بالمعلومات وحافلاً بالتفاصيل عن قبائل حضرموت
وأنسابها، وتلك القبائل الوافدة والنازحة إليها. ولما أن
محتوى كتاب إدام القوت ينحصر في حضرموت وحدها،
فقد آلى المؤلف على نفسه أن يحصي كل بلدانها

(مدنها وقراها وحصونها) التي تزيد عن مائتي بلدة وموضع،
غير تلك التي تواليها أو تدانيها والتي نجده يعرض عنها من
دون تفصيل. ومع ذلك فإن ما يحسب للمؤلف جهده المنقطع
النظير في إحصاء الكتل القبلية الكبيرة بحضرموت وقبائلها
الرئيسة ببطونها وعشائرها، وتتبع أصولها وأنسابها فضلاً
عن الأسر العلوية والقبائل اليافاعية، التي ليس بمقدورنا هنا
تعدادها لكن أهمها بالطبع كنده، وسيبان، ونهد، وتلك التي
تنسب إلى مذحج، والشنافر، والمناهيل، جميعها بفروعها
العديدة وتفرق ديارها.

ويمكن القول، إن هذا المعجم الجغرافي لابن عبيد الله
السقاف قدّم تفاصيل ومعطيات غزيرة تفوق بكثير معجم
بامخرمة، ولعل ما يزيد معجم السقاف أهمية هو استخدامه
- كما بامخرمة - منهج النقد العلمي الصرف في تحليل
المعطيات وتفسير التسميات وإرجاعها إلى أصولها، وعدم
موافقة كل من نقل عنه في كل ما يراه غير مطابق من الأوصاف
للبلدان والمواضع، وكان نقده علمياً مجرداً يرمي إلى تصويب



الداعية العلامة السيد عمر بن أحمد بن سميط، والعلامة السيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، والسيد علي بن سالم بن أحمد العطاس

الخطأ وتصحيح المعلومات، ولذلك طال نقده الموضوعي بعض المصادر، وخير مثال على ذلك كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، وتاج العروس للزبيدي، والقاموس المحيط للفيروز آبادي والأمر نفسه بالنسبة إلى المراجع الحديثة، ومعاصريه من العلماء والفقهاء.

زبدة القول

يعجز اليراع عن التعبير لهذا العالم الفذ، فابن عبيدالله السقاف لم يكن فقيهاً ومصلحاً

فقط، بل كان كذلك مؤرخاً وجغرافياً وأديباً وشاعراً ومثقفاً موسوعياً. وبتعبير آخر، فهو يعتبر من العلماء المعدودين الذين أنجبتهم حضرموت. فعلاوة على غزارة علمه وتنوع مواهبه فقد تفنن في عدة علوم وتخصصات، وبلغ من علو مكانته ورفعة علمه أن عرف بمفتي الديار الحضرمية.

ويعد كتابه (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت) ليس معجماً جغرافياً عادياً لبلدان حضرموت، بل أثراً علمياً موسوعياً نفيساً، وعلى درجة كبيرة من الأهمية في نواحي أخرى: التاريخية والنسبية والأدبية، وهو كتاب عظيم الفائدة ولاشك، ولعل ما زاد من أهميته أنه تخصص في جغرافية بلاده فقط، وتبعاً لذلك أتت مادته غنية ومعطياته وفيرة، وعمدته في ذلك علمه الغزير وأسفاره الكثيرة التي جال فيها معظم بلدان

حضرموت، وهو ما يعني أنه صنف معجمه عن زيارات ميدانية ووصف واقعي، وهذه ميزة لا نجدها إلا عند عدد قليل من الجغرافيين المسلمين؛ بل إنه فاق أكثرهم بدقة وصفه ومشاهداته وبغزارة معلوماته.

وبقدر ما استفاد ابن عبيدالله في تأليف كتابه المذكور في المحتوى والمضمون من منهج الطيب باخرمة في معجم النسبة إلى المواضع والبلدان، فإنه كمؤرخ وجغرافي متأخر عنه بما يزيد عن ثلاثة قرون ونصف القرن، بزه في التعريف ببلدان حضرموت موقعاً ونشأة وتاريخاً مع إبراز القبائل والأسر التي سكنتها وتتبع أصولها وأدوارها في التاريخ، وتسليط الضوء على حياة المشاهير من أعيانها ليس فقط داخل حضرموت؛ بل خارجها في المهاجر الحضرمية: الحجاز، وسواحل أفريقيا الشرقية، والهند، وجنوب شرقي آسيا.



المقدم سعيد بانهيم

وأثره في الصراع القميطي القبلي بحضرموت

(١ - ٣)

معه تماماً في صراعه مع الدولة القميطة، لاعتبارات عدة، أهمها: إزهاق أرواح الجنود والمواطنين، وحدوث الترويع والسلب والنهب للممتلكات العامة والخاصة، وضياع مقدرات مالية ومادية وفقدانها كانت بالإمكان أن تستغل في عملية البناء والتحديث، وتأخير عملية استكشاف النفط والأعمال المساندة له.

ولم يمنعني ذلك الخلاف والاختلاف معه من الكتابة عنه بوصفه من (أعف وأشرف) المقادمة القبليين الذين عرفتهم حضرموت في (ق ١٤هـ / ٢٠م)، عندما سعى إلى توفير حياة كريمة لالقبيلته فحسب؛ بل لكل قبائل حضرموت، وانسحب بهدوء ودون ضجيج عندما أدرك خطورة قيادة عناصر آخرين، وربما أدرك ما لا نستطيع البوح به إلا بين الجدران الأربعة باعتبار أن محيطها آمن، إن كانت هناك ثمة جدران أربعة آمنة، ومن ثم انتقاله من الواجهة والصدارة إلى ذيل القائمة، إن لم يكن في طي النسيان، إضافة إلى تحمّله (عتب ولوم وشوم) المجتمع القبلي بحضرموت، وقد تقبل ذلك بصدر رحب. حتى مات فقيراً، وهو الذي في يوم ما "إذا قال لها دوري تدور". وتعرض السطور القادمة لبعض تاريخ بانهيم، الذي هو جزء من تاريخ الصراع القبلي في حضرموت، وأكرر أن ما أكتبه وأسجله هنا عن مواقف بانهيم بأني أختلف معه بالكلية منذ قيادته للصراع القبلي حتى تخليه عن تلك الزعامة، وانضمامه إلى شرعية الدولة القميطة بوصفه واحداً من أبنائها.



د. محمد سالم باحمدان

مدخل:

تُعدُّ وظيفة أو مقام (المُقَدِّم) من وظائف الضبط الاجتماعي في طبقة القبائل أو شريحتها في مجتمع حضرموت، وليس من الرتب العسكرية حسبما يتبادر للذهن من الوهلة الأولى لغير المطلعين على تاريخ حضرموت.

وشغل هذه الوظيفة (المُقَدِّم/ التقديم) في بعض الأحيان من هم أهل لها، وفي الأحيان الأخرى شغلها آخرون بمساعدة مجموعة من ذوي العقول الراجحة والمشهود لهم بالدهاء، ومثل هذا الشغل كان يعتمد في المقام الأول على التوريث.

وليس كل (مقدم) على قبيلة أو بيت في حضرموت يستحق الكتابة عنه، لكن وجدت حالات نادرة جداً تستحق ذلك، ومن بين هؤلاء المقدم/ سعيد بن سالم بانهيم، الذي اختلف



عصر بانهميم

١- الحالة السياسية:

وصل الصراع القبلي في حضرموت مرحلة الأزمة^(١)، ووصف الشاطري تلك المرحلة أو الدور بـ(الدور القبلي) عندما قال: (حيث استرسلت فيه القبائل المسلحة في الحروب والفوضى. وتنقسم كل قبيلة على نفسها إلى فخاند وأسر، وتتطاحن وتظلم العزل، ويبلغ البعض منهم درجة ترويع النساء والأطفال وبيع الأحرار ونهب الأموال وقطع الطرق)^(٢).

وكتب باوزير: (كانت القبائل المسلحة وهي أوفر عدداً وأسلحة من جند الحكومتين أضعافاً مضاعفة تسيطر على أكثر مناطق البلاد سيطرة فعالة، حيث كان الجند لا يستطيع الاحتفاظ بالأمن خارج المدن والقرى الخاضعة لنفوذ الحكومتين، وربما عاثت بعض القبائل سلباً ونهباً وسفكت الدماء)^(٣).

في هذا الوقت، كانت دوعن تابعة للنقيب الكسادي، وبعده آلت الأمور للقعيطي، ومن غريب الأمور أن القعيطي لم يسارع لاحتلالها إلا متأخراً، حيث أرسل (٢٠٠) جندي من يافع، وعليهم عبد الخالق الماس، وكتب إلى السلطان/ صلاح بن محمد القعيطي ليرسل جيشاً من شبام إلى دوعن، والتقى جيش المكلا بجيش شبام في أعلى وادي دوعن^(٤)، والمهم في الأمر أنه جرت بين الطرفين وقائع، أسفرت في الأخير عن دخول الوادي الأيمن في حيازة القعيطي في عام ١٣١٦هـ (١٨٩٨م)، والأيسر في عام ١٣١٧هـ (١٨٩٩م)^(٥)، ومن ثم وإن كامل دوعن بجباله وسهوله وباديته للقعيطي، وفيما بعد أصبح آل باصرة (من خامعة سيبان حكّاماً على الوادي).

وكان الصراع القعيطي - الحمومي هو أكثر الصراعات القبليّة ضراوة وأكثرها عنفاً على الرغم من المعارك الدائرة رحاها بين القعيطي وبعض من الكيانات القبليّة، وهذا كفيلاً بأن يجعل من القعيطي العدو الأوحد للبادية، وهذا كان



المقدم/ سعيد بانهميم المرشدي

وحده الإرث السياسي والموروث الثقافي الذي خلفه وحمله ذلك العصر إلى المقدم/ سعيد بن سالم سعيد بانهميم، لذلك فلا غرو أن يتشرّبه شاء أم أبى.

وحمل الصراع القعيطي - القبلي بين طبّاته صراع المدينة مع البداوة وتداخلها، وكان لهذا الصراع ضريبته، خصوصاً إذا علمنا أن ذلك الصراع والتداخل كان هو الآخر لم يشتمل بعيداً عن الدوافع الاقتصادية التي كانت تقف وراء مطالب البادية، بل كان في العمق، فكان التعبير عن حالة التبرّم تبدو مؤلمة؛ لكونها مسّت طرفاً آخر كان هو الضحية، ذلك الطرف هو المواطن الحضرمي نفسه.



الجدور والنشأة

ينتمي المقدّم سعيد إلى بيت (بانهم) أحد بيوت قبيلة (المرشدي)، بل هي بيت التقدم فيها، وتشكّل قبيلة (المرشدي) إحدى قبائل الزي السباني، وهي تقيم على الأرض الممتدة من (كور سبان إلى بين الجبال، فوادي حويرة، والحجيرة، إلى السفوح المطلة على وادي دوعن (السيطان))، وتتكون من خمسة بيوت، هي: (بادحيدوح، وباصريح، وبابيتير، وباكر دس، وباضروس).

والزي - بكسرة تحت الزاي وسكون الياء - في المدلول الحضرمي، تعني (التجمع القبلي المتحالف، القاطن رقعة جغرافية مترابطة من الأرض، تعود ملكيتها تاريخياً إلى قبيلة رئيسة هي الأم ومحور التحالف لهذا التجمع يضي عليه اسمها وصفتها، وتبسط زعامتها وسيادتها، فتخضع كيانات التجمع وفصائله لأعرافها وتقاليدها التي تصبح قانوناً عاماً يدين له الجميع بالولاء)، وتقوم علاقة التعامل بين الركائز في التجمع القبلي والقبيلة الزعيمة الأم المتحالف معها، على مبدأ الاعتراف بالسيادة لها، والخضوع لأعرافها ونظمها التي تصبح - بطول التأخي وثبوت الاستيطان - أعرافاً لها، تشكّل حياتها الاجتماعية، زيادة على الانتساب إليها، غير أنّ انتحال الاسم والخضوع للأعراف لا يعني التبعية المطلقة، فلكل ركيزة في المجتمع حركتها الخاصة بها في دائرة المصالح المشتركة للتجمع وزعيمته، والعلاقات بينها ليست رباطاً ممدوداً جامداً صلباً، ولكنه رباط لين، يتمدد وينكمش حسب ما تمليه مصالح القبيلة الوافدة المتحالفة، فلها حق إقامة العلاقات الودّية سعيًا لتحقيق تعايش سلمي بينها وبين قبيلة مجاورة، وقد تتطور العلاقة إلى المصاهرة، فتقوم وشائج القربى ولا تتدخل القبيلة الزعيمة في نشوء هذه العلاقة ما دامت الركيزة موفيةً بشروط التحالف معها^(٦).

ولد المقدّم / سعيد بن سالم سعيد باحسن بن نهيم بانهم في (غيزة الحساية) في نحو عام ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م، وكان

٢- الحالة الاقتصادية:

اعتمدت البادية في معيشتها على ما تدرّه عوائد النقل على الجمال، وكان ذلك العمل في منتهى الصعوبة نظراً للمشقة الناتجة عن وعورة الطرق، والأحوال الجوية، وقد استفاد الدواينة (حضرًا وبدواً) مما تدره عليهم غلاتهم الزراعية اليسيرة من عملية النقل، إضافة إلى قيامهم ببيع الأغنام، كما (ظاهرة الهجرة) قد نشطت في ظل غياب المشاريع الاقتصادية (التنمية) كنتاج طبيعي لسوء تلك الأحوال، وغياب الوعي والتطور السياسي.

٣- الحالة الاجتماعية والثقافية:

١- المراتبية:

يمكن تحديد التركيبة الاجتماعية في الآتي: السادة: وهم في قمة الهرم الاجتماعي، مثل: آل البار، والعطّاس، والحداد، وآل المحضار، ولقد جرت في عادات السلف أنه إذا مات أحد خلفاء المقام في أسرته وعشيرته، فإنه يتم تجديد كتابات المعاضدة. ويولي السادة المشايخ: وتشد عضدهم، مثل آل العمودي، وباسودان، وبازرعة، وباوزير، وباعباد، وغيرهم، ثم القبائل: وهم الأكثر عدداً، مثل قبائل نوح وسيبان، والحموم، والعوابثة، والصيعر، والدين، ومن المعروف أنّ لهذه الطبقة عدداً من العادات الحسنة، مثل: الكرم، والشجاعة، وإغاثة الملهوف، وفي المقابل كان لها بعض العادات السيئة، مثل: الثأر، والقتل، والنهب، واللوم والشوم، وغير ذلك. ويولي القبائل الضعفاء: وهم أصحاب المهن والحرف، وهم عماد النشاط الاقتصادي ومحوره، كما إنهم قاعدة الهرم الاجتماعي، فهم لا يحملون السلاح فسموا بذلك الاسم. وكان هناك تدهور في الأوضاع الصحية؛ إذ لا يوجد تطبيب حديث أو مستشفيات، فظهرت الكثير من الأمراض العضوية. وكان هناك جهل - خاصة في البادية - على الرغم من وجود العلم، وكانت الأمية ضاربةً بأطنابها في أكثر المجتمع، باستثناء طبقتي السادة والمشايخ.



جَدُّهُ الْمُقَدَّمُ سَعِيدٌ مِنْ أَوْلَئِكَ الْمُقَادِمَةِ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِالشَّجَاعَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْإِقْدَامِ، وَهُوَ الَّذِي انْتَقَلَ مِنْ مَنْطِقَةِ (شَوَيْطَةِ) - شَرْقِ الْخَرِيبَةِ إِلَى (غِيْضَةِ الْحَسَايَةِ)، وَذَلِكَ فِي (ق ١٣ هـ / ١٩ م).

أما والده المُقَدَّمُ / سالم بن سعيد فكان يعمل في النقل بالجمال، إضافة إلى اهتمامه بالزراعة في تلك الغيضة، وقد تزوج عند آل باصرح، وأنجبت له زوجته ستة أولاد، ذكرين هما عمر وسعيد، وأربع إناث. ويُذكَرُ أَنَّ الْمُقَدَّمُ سَالِمَ لَمْ يَكُنْ بِالْمُسْتَوَى الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ وَالِدُهُ، لِذَلِكَ تَمَّ إِسْنَادُ هَذِهِ الْمَهْمَةِ (التقدمة) إِلَى ابْنِ عَمِّهِ الْمُقَدَّمِ / عمر بن عبد الله بانهيم (٧).

وعمل الفتى سعيد في النقل بالجمال بين المكلا ودوعن، وقد تصل به المقادير أحياناً إلى داخل حضرموت، إضافة إلى اشتغاله بالزراعة في أرض والده، الأمر الذي يفسر لنا الخلفية التي استند عليها بانهيم أيضاً في صراعه ضد الدولة. وتزوج عند آل بانهيم، ورزق بستة أولاد، أربعة ذكور، هم: (حسن، ونهيم، وسالم، وعمر)، وبتتان، والعجيب أن هذه السداسية قد تكررَّت في جيلين متواليين، والله في خلقه شؤون.

بانهيم والتقدمة

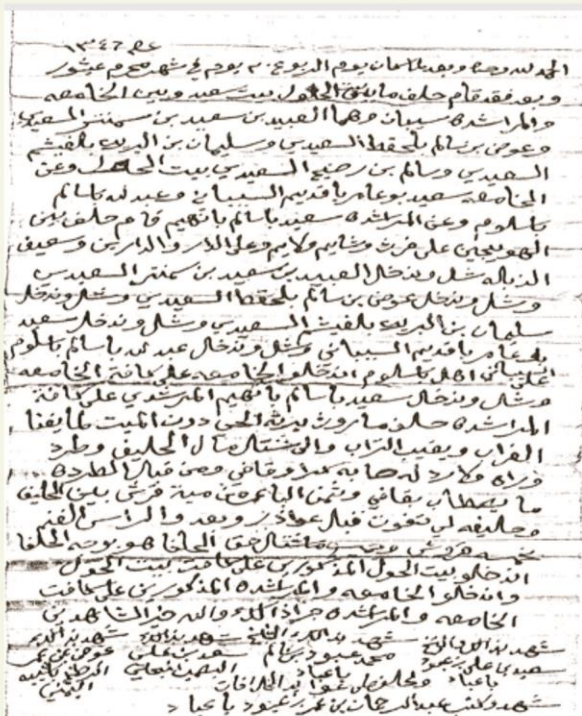
عند الحديث عن التقدمة عند بانهيم والتقدمة في الزي السبباني، فإنه يتوجب علينا الإتيان على الصفات التي يجب توافرها في الشخص الذي يتولاها، وهي بالطبع لن تخرج عن دائرة الصفات والخصال الحميدة، مثل: الحنكة والخبرة والذكاء والشجاعة والإقدام والكرم والقدرة على القيادة ومعالجة الأمور، كما أنه لا يشترط أن يكون هذا المنصب وراثياً، بل يمكن أن يُختار له أي شخص من بين تلك القبائل التي تكون الحلف وبالإجماع (٨)، هذا على مستوى (الزي)، غير أن الأمر يختلف تماماً مع بانهيم؛ حيث تدرج في سلم التقدمة عبر المراحل الآتية:

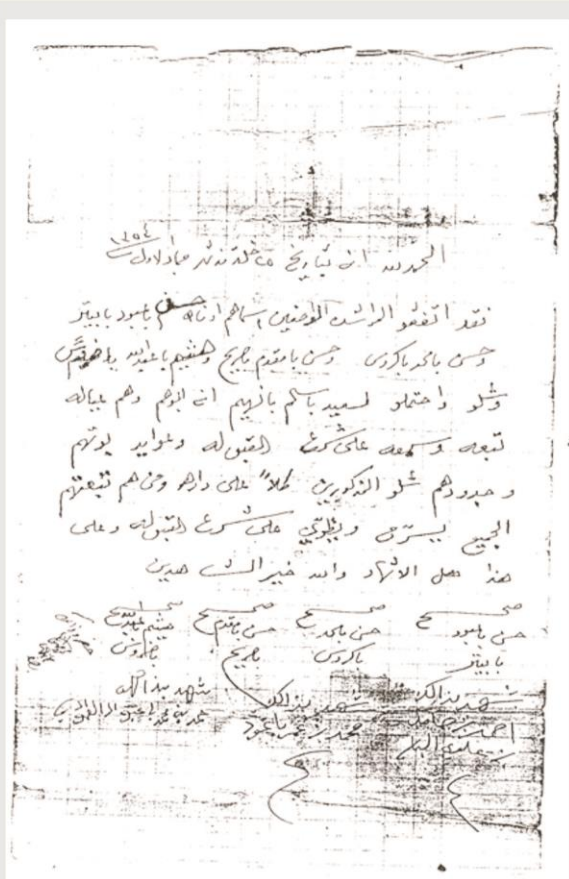
١- المرحلة الأولى (ما قبل التقدمة):

وهي المحك الحقيقي لاختبار قدرات الرجل من حيث اختباره وإعداده لشغل تلك الوظيفة، علماً أن المرشح القوي،

بل الأساس هو أخوه عمر، وذلك لكبر سنه، غير أن حدة الطبع التي تميز بها عمر جعلت عليه القوم يصرفون النظر عنه، ووجدوا ما يصبون إليه في شقيقه الأصغر (سعيد)، وخصوصاً صفة (المرونة)، ولا سيما في أوضاع ذلك العهد (٩). وتمكن سعيد في تلك الفترة - وبعد أن أعطي له تفويض (تكفاه) في يوم الأربعاء ٣٠ محرم ١٣٤٦ هـ / ٣٠ يوليو ١٩٢٧ م من إبرام حلف مع بيت (الحول) من بيت سعيد الحمومي ومع الخامعة على (فرث وشايم ولايم وعلى الدار والدارين وسعيف الذبالة... حلف ماروث يرثه الحي دون الميت لما يفنا الغراب ويغيب التراب... إلخ) (١٠).

ومن الأمانة العلمية أيضاً أن نذكر أن ذلك الحلف كان الثاني؛ إذ قد سبق حلف بين الخامعة والمراشدة من الزي السبباني مع بيت (القرزات) من الزي الحمومي أيضاً، وذلك في (ق ١٢ هـ / ١٨ م)، غير أن ظروف كلا الحلفين كانت مختلفة، كما إن ذلك الحلف الذي عقده سعيد بانهيم في هذه الفترة له من الأهمية الشيء الكثير؛ إذ إنه أسهم في بلورة شخصيته في النطاق الداخلي، أي في محيط بيت (بانهيم، المراشدة) من جهة،





الملحق رقم (٢) من وثائق المقدم

كما أسهم تألق اسمه في إدراجه ضمن القيادة للزري من جهة ثانية، ومن ثم سهل انضواء الكثير من القبائل والأزياء تحت قيادته عندما تحمّل لواء معارضة الدولة القعيطية منفرداً أو مع غيره من جهة ثالثة.

٢- المرحلة الثانية (التقدمة على المرافدة):

توفي المقدم / عمر بنانهم في عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م، فاتفق المرافدة في ٢٥ جمادى الأولى ١٣٥٤هـ / أغسطس ١٩٣٥م، وهم: (حسن بابيتر، وحسن باكردوس، وحسن باصريح، وهيثم باضرورس كلٌّ عن داره ومن هم تبعتهم الجميع يسرح ويضوي على شرع القبوله، بأنهم شلوه واحتملو لسعيد باسالم بنانهم انه ابوهم وهم عياله تبعه وسمعه على شرع القبوله وعوايد بوتهم وجدودهم) (١١).

وتكتسب هاتان المرحلتان أهميتهما في كونهما قد جاءتا بعد قيام الضابط البريطاني / وليم إنجرامس بمسح شامل للمنطقة، وتقديمه تقريراً أصبح الأساس الذي تعتمد عليه السياسة البريطانية في تنفيذ مخططاتها في حضرموت، وذلك من خلال تعيين إنجرامس مستشاراً لسلطانسي حضرموت القعيطي في عام ١٩٣٧م، والكثيري في عام ١٩٣٩م.

وشهدت تلك الفترة (صلح الثلاث) في عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م، وعندما شارف على الانتهاء، تحرّك إنجرامس وسلطانا حضرموت لتمديده عشر سنوات، وكانت حجة الجميع أن صلح السنوات الثلاث (كان معناه راحة وسهولة للقبائل والناس.... حيث كانت حوادث القتل قليلة جداً) (١٢). غير أن من أسباب تمديد ذلك الصلح وحقائقه هو بداية قرع طبول الحرب في أوروبا.

الهوامش:

- (١) القدال، محمد سعيد وعبد العزيز علي، السلطان علي بن صلاح القعيطي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط (١) ١٩٩٩م، ص ٢٥.
- (٢) الشاطري، محمد بن أحمد: أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر. المدينة المنورة - السعودية، تريم اليمن، ط (٣) ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ج ٢، ٣٣٨ - ٣٤٠.

(٣) باوزير، سعيد عوض، معالم تاريخ الجزيرة العربية، دار الكتاب العربي، مصر، ط (١) ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م، ص ٢٩٨.

(٤) البكري، صلاح، تاريخ حضرموت السياسي المطبوعة السلفية، ط (١) ١٣٥٤هـ / ١٩٣٦م، ج ٢ ص ١٧-١٨.

(٥) البكري، تاريخ، ج ٢ ص ٣١-٣٣، الحداد، علوي بن طاهر، الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفاتها، طبعه مصوره في ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م عن طبعة سنغافورة، ص ٨١. السقاف، عبدالرحمن بن عبيد الله، معجم بلدان حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط (١) ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٦) حسن، علي وعبدالرحمن الملاحي، تاريخ الصراع الحمومي القعيطي ودوافعه (١٨٦٧-١٩٦٧م)، بحث مقدم إلى الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت (١٩٠٠-١٩٦٣م)، ص ٢٠٩.

(٧) الشيخ / سالم بنانهم (حفيد المقدم)، مقابلة شخصية، المكلا، ٢٠٠٥م.

(٨) الخنبشي، سالم أحمد، الانتفاضات القبلية في محافظة حضرموت خلال الفترة (١٩٥١-١٩٦١م)، بحث مقدم إلى ندوة المقاومة الشعبية، ص ١٦٥.

(٩) الشيخ / سالم بنانهم (حفيد المقدم)، مقابلة شخصية، المكلا.

(١٠) انظر الملحق رقم (١).

(١١) انظر الملحق رقم (٢).

(١٢) من وثائق المقدم / سعيد بن سالم بنانهم (موجودة لدى حفيده)، وسيرمز له (من وثائق المقدم).

ملاحظات عن بعض عمليات الاستيعاب والابتكار في لغة حضرموت وثقافتها خلال تاريخها القديم

أليسيا بريوليتا (Alessia Prioleta)

- جامعة بيزا (إيطاليا) قسم الحضارة وأنماط المعرفة

نُشر البحث بتاريخ 31 يناير 2013 في مجلة : Aula Orientalis



الزماني والجغرافي. تقدم هذه الورقة بعض الأفكار عن التاريخ والسمات الفريدة للغة الحضرمية القديمة، وثقافة حضرموت ما قبل الإسلام، مع الأخذ بعين الاعتبار بعض القضايا الأكثر أهمية في دراسات جنوب الجزيرة العربية القديمة. ويوضح البحث كيف هي مملكة حضرموت، رغم أنها تحمل بعض السمات المشتركة بين جميع ممالك الجنوب العربي، فإنها تمكنت من تطويرها واستيعابها في مرحلة مبكرة من مراحل نضجها، وبفضل وجود مجموعة متنوعة من الركائز الثقافية في البلاد، تمكنت حضرموت من الحفاظ على السمات الفريدة للغتها ووسعتها، وغالباً ما كانت تنقل نماذجها اللغوية الأسلوبية إلى لغات ممالك الجنوب العربي القديمة الأخرى. [

الكلمات المفتاحية:

الجنوب العربي، النقوش، حضرموت.



ترجمة: د. خالد عوض بن مخاشن

الخلاصة:

حتى وقت قريب، كانت اللغة الحضرمية القديمة هي الأقل شهرة والأقل دراسة من لغات جنوب الجزيرة العربية القديمة، كما أن هناك صعوبة أخرى تتعلق بدراسة النقوش الحضرمية، وهي أن هذه النقوش مجزأة من حيث التسلسل



من المعروف أن الأمر على عكس الممالك الأخرى؛ إذ كان هناك مراكز عدة للكتابة في حضرموت، ولم تنجح المدرسة الرئيسية في شبوة دائماً في فرض أسلوبها على المدن الأخرى

ويمكن أن نذكر، كمثال، على ذلك: عدم استمرارية التوثيق في كل المواقع الأثرية الحضرمية، فمثلاً العاصمة -شبوة- تم فيها الكشف عن أقل من مائة نقش، يعود تاريخها إلى أكثر من ألف عام، القليل منها فقط له أهمية تاريخية.

إن هذه الورقة ستقدم بعض الأفكار عن التاريخ والسمات الفريدة للغة والثقافة الحضرمية في عصر ما قبل الإسلام، مع الأخذ في الاعتبار بعض القضايا الأكثر أهمية في دراسات اللغات العربية الجنوبية القديمة.

2- الفترة التكوينية: أصول اللغة الحضرمية ودور السبئية

يعد موضوع أصل ثقافات جنوب الجزيرة العربية القديمة المختلفة وارتباطاتها واختلافاتها أحد أهم القضايا في دراسات جنوب الجزيرة العربية القديمة اليوم. ويعتقد الباحثون الآن أنه، مثلما نشير إلى ممالك الجنوب العربي بصيغة الجمع، يجب علينا أن ننظر إلى لغات الجنوب العربي وثقافته باعتباره ظاهرة متنوعة وليست ظاهرة متجانسة، وإن وجد بعض التجانس فيما بينها في مجالات الكتابة وعبادة الإله نفسه، وبعض المصطلحات اللغوية، وجوانب معينة من ثقافتهم المادية.

2.1 الأصول السبئية المفترضة للمدن الحضرمية

ظهرت في السنوات الأخيرة، عدد من الآراء التي تشكك في وجهة النظر التقليدية القائلة إن تجانس الممالك العربية الجنوبية يعود إلى الهيمنة السبئية على هذه الممالك خلال مراحل نشوئها. كان لهذه الفرضية المبكرة عواقب بعيدة المدى على دراسة

1- المقدمة:

إلى عهد قريب كانت اللغة الحضرمية القديمة هي الأقل شهرة والأقل دراسة بين لغات جنوب الجزيرة العربية القديمة. فعلى الرغم من أن الحفريات الأثرية في حضرموت بدأت في وقت مبكر جداً، خلال الأربعينيات من القرن العشرين، واستمرت بشكل مكثف مقارنة بالأبحاث التي أجريت عن الممالك العربية الجنوبية القديمة الأخرى، ظل عدد النقوش الحضرمية التي تم الكشف عنها محدوداً لعقود عدة، ويميل العلماء إلى التركيز على اللغة السبئية أولاً، ثم على اللغتين القتبانية والمعينية، فلم يقدم بيستون (Beeston) في كتابه (نحو السبئية واللغات الجنوبية) سوى موجز مختصر جداً للخصائص الرئيسية للغة الحضرمية.

غير أن البعثات الأثرية الفرنسية المنتظمة إلى (شبوة) والبعثات الأثرية الروسية إلى (ريسون) خلال العقود الماضية أدت إلى اكتشاف عدد كبير من النقوش، وتم الآن نشر حوالي ألف نقش منها. لقد بذل فرانتسوزوف (Frantsouzoff) جهداً كبيراً في دراسة هذه النصوص ونشرها، وقد أسهم عمله كثيراً في تحفيز اهتمام العلماء باللغة الحضرمية القديمة وسماتها الفريدة التي تبدو مختلفة تماماً عن غيرها من اللغات العربية الجنوبية القديمة الأخرى.

لقد أعطت التقسيمات الفرعية النموذجية التي اعتمدها لنشر نقوش حضرموت في موقع (مجموعة النقوش العربية الجنوبية) (CSAI) صورة أوضح لهذه المجموعة من النقوش الحضرمية على المستويين الوصفي والتطوري المتزامنين.

وعلى الرغم من الصعوبات المختلفة، فقد مضت دراسة اللغة الحضرمية قدماً، وتم تحديد العناصر المميزة المتعلقة بقواعدها وصيغها، مما يسمح لنا بتتبع الخطوط العريضة لتطورها الأسلوبي. لكن لا تزال دراسات التحليل التفصيلي للأنظمة النحوية للغة وتطورها مع مرور الوقت قليلة، مقارنة بتلك الأبحاث التي أجريت في السنوات الأخيرة عن التسلسل الزمني اللغوي والجغرافي للغتين السبئية والقتبانية.

والتحدي الآخر الذي نواجهه يتمثل في الطبيعة المجزأة لمجموعة النقوش الحضرمية من حيث التسلسل الزمني وجغرافيتها.



هناك سمة مميزة أخرى تميز اللغة الحضرمية القديمة عن اللغات الجنوبية العربية القديمة الأخرى بانتظام وهي استخدام حرف الجر/العطف ("اد")، والذي يعني ("إلى"، "من أجل")، في حين كانت اللغات الجنوبية العربية القديمة الأخرى تستخدم (عد)

(-ها) ما هي إلا صيغاً قديمة مشتركة، وليست سبئية تبنّتها ممالك أخرى غير سبأ لأسباب أسلوبية.

على أية حال، ما ينبغي التأكيد عليه هو حقيقة أن هذه السمة اللغوية تم تعديلها واستخدامها بطرق مختلفة في كل مركز من المراكز غير السبئية. ففي المعينية مثلاً نجد الاستخدام حصرياً للاسم "هقنيت" التي تعني "الإهداء"، وقد وجدت في مجموعة صغيرة من النقوش التي تعود إلى مرحلة ما بعد العصر القديم. كما تشير غالبية هذه النصوص إلى انشغال المعينين بشؤون التجارة، وكثيراً ما تذكر البلدان الأجنبية التي تمر عبرها قوافلهم، أو الاشتباكات التي كانت تقع في طول طريق القوافل العربية المتجهة شمالاً مع المجتمعات غير المعينية، خاصة مع السبئيين وأهل نجران. هذا الاعتبار، إلى جانب وجود كلمة معينية معادلة للكلمة السبئية (هقنيت) ألا وهي (سقنيت) وإن كانت هذه الكلمة غير مستخدمة كثيراً في اللغة المعينية، غير أنها تؤكد أن (هقنيت) مجرد لفظ تم استعارته من اللغة السبئية.

أما فيما يتعلق باللغة القتبانية فالفعل (هقني) له ظهور محدود جداً خلال الفترة A، في حين أن الضمير اللاحق (-هو) مستخدم في نطاق واسع، ويبدو أنه كان اختياراً أسلوبياً ظل قيد الاستخدام العام حتى وقت متأخر جداً، على سبيل المثال: في نصوص الفترة B2.

حضر موت، أكثر مما أثرت في دراسة تاريخ قتبان ومعين. وقد ذهب بيرين (J.Pirenne) إلى أبعد من ذلك ليقترح أن النقوش القديمة التي تم العثور عليها في موقع البريرة في وادي جردان، والتي تحتوي على الفعل السبئي الإهدائي (هقني) كتبها المهاجرون السبئيون الذين أسسوا المستوطنة في الأصل، مرجحاً احتمالية احتلال جماعة من السبئيين للعاصمة شبوة خلال مرحلة ما من مراحل تاريخها القديم. ويبدو أن وجود السبئيين في شبوة قد تم تأكيده من خلال اكتشاف هاميلتون (R.A.B. Hamilton) لبعض أجزاء اللوحات النذرية السبئية في عام 1938، ويعتقد بيستون (Beeston) أن العبارة (كبر نزحت) الموجودة على إحدى هذه القطع يمكن ترجمتها إلى "كبير - قاضي الغرباء"، مما يؤكد فكرة أن مجتمعاً أجنبياً من المستعمرين السبئيين استقر في العاصمة الحضرمية. ومع ذلك، ولأسباب عدة، تظل هذه النظرية، رغم أنها مثيرة للاهتمام، غير محتملة. إن مجمع المباني (التي عثر على النقوش بجوارها)، والتي هي في الأصل بمثابة معبد لا تزال موضع خلاف بين علماء الآثار. تشير الطبيعة المتنوعة للوثائق الموجودة في الموقع إلى أن هذا الموقع ربما كان منطقة من المدينة، حيث كان يتم فيه تخزين أشياء من مصادر مختلفة - ربما غنائم حرب - لسبب محدد ولكن غير معروف حتى الآن.

في الواقع، تم اكتشاف نقوش تذكر إله السبئيين (المقه)، ولكن بأعداد محدودة في (ريون) ومواقع أخرى في وادي حضر موت، لكن يظل احتمال أن تكون أي من المدن الحضرمية قد أسسها السبئيون مجرد احتمال بعيد، على الرغم من أنه يبدو من المعقول افتراض أن مجموعات من السبئيين استقرت في بعض المدن، كما فعل القتبانيون والمعينون، بناءً على أدلة، مثل الإهداء لآلهة هذه العصور.

2.2 اللاحقة -ها

لقد رأى العلماء أن أهم دليل على عملية السبئية هو استخدام الفعل (هقني) والضمير المتصل (-ها) في جميع اللغات الجنوبية العربية القديمة - بشكل أساسي خلال المرحلة القديمة. ولكن في السنوات الأخيرة، أصبح هذا الرأي موضع شك أيضاً، ويعتد بعض العلماء الآن أن الصيغ التي تحتوي على الضمير المتصل



يبدو أيضاً أن ممارسة الشعائر الدينية كانت مركزية للغاية في سمهرم؛ حيث تبث السكّان عبادة سين بلقبه ذي العليم، وهو الإله نفسه الذي خص له المعبد الرئيس في العاصمة شبوة. من ناحية أخرى، يمكن العثور على دليل واضح على عملية التفتت الثقافي في النص المكتوب؛ فالمدينة كان لديها مدرسة الكتابة الخاصة بها - وإن كانت هامشية - ولكنها ظلت نشطة طوال تاريخها. بأكملها، كما يتبين من كتاباتها. كان مفهوم النصب التذكاري، أي أسلوب النقش الاحتفالي المخصص للعرض العام، في هذه المدينة الساحلية مختلفاً تماماً عن مفهوم النصب التذكاري في شبوة، وهي المدينة التي كانت توازي بشكل أوثق ممالك جنوب الجزيرة العربية الأخرى في تطور أسلوب خطها

يعد النقش الصخري، (أرباخ- بافقيه العقلة 1، Arbach-Bafaqih al-Uqla 1) واحداً من النصوص الحضرية القليلة المكتوبة بخط الحراث التي ظهرت إلى النور:

L11-3

يدع ايل بين ملك حضرمت مخض قتبين
ب-خل سين وب-خل حول
يدع ايل بين ملك حضرموت هزم قتبين
بقوة سين وب-قوة حول

تمت كتابة النص أعلاه في القرن السابع أو السادس قبل الميلاد، بعد أن أمر بكتابته أحد الملوك الحضرميين الأوائل للاحتفال

وفي اللغة الحضرية قد حدثت عملية لغوية في الاتجاه المعاكس؛ في حين اختفى الضمير اللاحق (-هو) في وقت مبكر جداً (خلال الفترة A) استمر استخدام الفعل (هقي) حتى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد (الجزء المبكر من الفترة B). وتم العثور في نقوش المرحلتين على الفعل (هقي)، ولكن مع الضمائر الحضرية ذات الأصوات الصغرى المهموسة والأصوات بين الأستانية.

CT 31 (period A)

حمهمو بن ذي ارم هقني سين نفس-س
"حمهمو ابن ذي ارم اهدى الاله سين نفسه"

ريبون 1/84 رقم 253 (Period B)

ثمكهمو بن ندوبم هقني ذت هميوم...
وتد باذن ذات حميوم نفس-س
تمكهمو ابن ندوبم اهدى لذات هميوم...
ووضع تحت ارادة ذات حميوم حياته

2.3 خط الحراث (الكتابة القديمة)

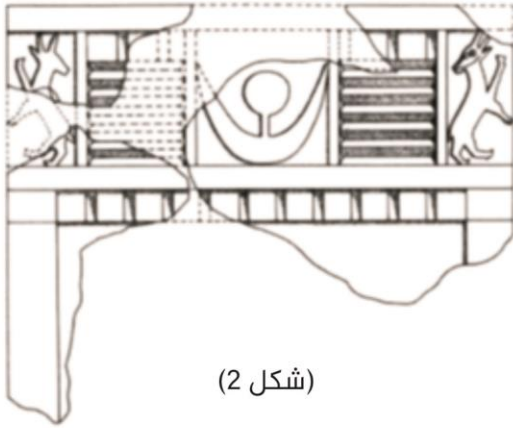
خط الحراث هي طريقة قديمة لكتابة الخط المسند، يكون اتجاه الكتابة في الأسطر الوترية من اليمين إلى اليسار، وفي الأسطر الشفعية من اليسار إلى اليمين، مما يؤدي إلى قلب اتجاه بعض الحروف؛ ليوافق اتجاه الكتاب.

ويمكن قول الشيء نفسه فيما يتعلق بخط الحراث؛ فقد كانت هذه السمة الأسلوبية سمة غوزجية لسباً، ولم تكن فقط تظهر بانتظام في الوثائق السبئية من فترة مكرب سباً فحسب، بل تكررت في القرون التالية. في وقت متأخر جداً، في بداية القرن الثالث قبل الميلاد، عندما استخدمه (يدع علي بين) ابن (كرب ايل وتر)، ملك سباً، في كتابة مرسومه الملكي CIH 562,25، وأصبح خط الحراث أكثر من مجرد مسألة أسلوب؛ إذ اكتسب دلالات أيديولوجية قوية، تربط الملك بالتقليد الجيد لأعظم المكرين السبئيين.

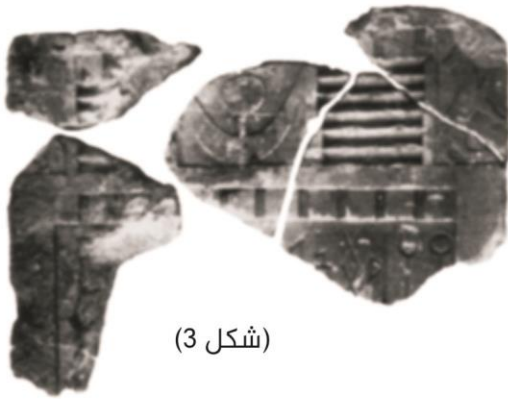
في المقابل، يبدو أن ممالك جنوب الجزيرة العربية القديمة الأخرى اعتبرت خط الحراث طريقة قديمة في الكتابة، قد عفا عليها الزمن ولا توحى بارتباطات أيديولوجية معينة، فتم إهمالها.



شكل 1 قاعدة مع الوعل (متحف المكلا 219)



(شكل 2)



(شكل 3)

(الأشكال 2, 3 لوحة اهدائية رقم 98 (ريبون 87/ XIV)

بانتصاره على قتيان، النص مكتوب بلغة قديمة جداً، مع وجود خاصية سبئية واضحة. وفي النص ابتهاج للزوجين الإلهين (سين) و(حول) باعتبارهما الإلهين المؤسسين للدولة، مع مكانة مساوية لمكانة آلهة السبئيين (ألمقة) و(هوبس)، وتم استخدام الفعل "مض" "يكسر" - وهو الفعل الذي استخدمه المكربيون السبئيون الأوائل، ليرمز إلى كسر العدو. وفي الوقت نفسه، يحتوي النص على بعض الابتكارات الحضرمية المثيرة للاهتمام، مثل صيغة (ب-خل) "بقوة"، وهو أول ظهور لهذا الاسم في اللغات الجنوبية العربية القديمة.

2.4 مفهوم الوعل في الفنون البصرية

في مجال الفنون، استوعبت ممالك جنوب الجزيرة العربية الأخرى مفهوم السبئيين للوعل، ولكن بطرق مختلفة. لقد كان الوعل عنصراً أيقونياً مُفضَّلاً في الثقافة السبئية منذ أقدم العصور، وغالباً ما كان يُستخدم لتزيين اللوحات النذرية التي تحمل نقوشاً، إذ تم تصوير الوعل الرابضة إما بشكل جانبي في المربعات الغائرة، أو بشكل أمامي كنظريات للرؤوس. ولكن في مملكة قتيان، تم تضمينه بشكل متكرر في الزخرفات المعمارية؛ إذ لم يعد الفنانون القتيانيون مناسباً للوحات الإهدائية. وقد عثر على أمثلة تؤكد ذلك من وادي (الجوية)، وهي المنطقة التي كانت ذات يوم سبئية، ثم وقعت تحت حكم قتيان. وأمثلة أخرى لحضرموت نادرة، ولكن تم العثور على الوعل في أشياء قديمة يمكن ربطها بتقاليد الجوف، مثل: قاعدة التمثال، التي تم العثور عليها في حريضة والجودة في متحف المكلا. 219.31 فقد تم إدخال اختلافات في الزخارف، خاصة على اللوحات الإهدائية؛ على سبيل المثال، هناك تغييرات في شكل قرون الوعل، وهناك تصورات أسلوبية متطورة، مثل رسم الوعل الهائجة المزدوجة التي تؤثر المشهد، أو دمجها مع زخارف أخرى، مثل الهلال والقرص... إلخ (انظر الأشكال 1، 2، 3).

فكما تمكّننا بعض السمات اللغوية (على سبيل المثال، الصيغ التي تحتوي على اللاحقة -ها) من معرفة التمايز بين الممالك القديمة، فإن الوعل هنا يمكّننا (الوعل) أيضاً من رؤية كيف يمكن استيعاب العنصر الأيقوني بشكل مختلف في هذه الممالك غير السبئية.

ومن المثير للاهتمام ملاحظة أن نقوش البناء المعروضة على واجهات المباني الأثرية-الوسيلة المفضلة للحكام في نقل الأيديولوجية الملكية - كان نادرًا ما يتم الأمر بكتابتها في حضرموت أو في سمهرم من قبل الملك نفسه.

ويبدو أيضًا أن ممارسة الشعائر الدينية كانت مركزية للغاية في سمهرم؛ حيث تبنّى السكّان عبادة سين بلقبه ذي العليم، وهو الإله نفسه الذي خصص له المعبد الرئيس في العاصمة شبوة.

من ناحية أخرى، يمكن العثور على دليل واضح على عملية التفتت الثقافي في النص المكتوب؛ فالمدينة كان لديها مدرسة الكتابة الخاصة بها - وإن كانت هامشية - ولكنها ظلت نشطة طوال تاريخها بأكمله، كما يتبين من كتاباتها. كان مفهوم النصب التذكاري، أي أسلوب النقش الاحتفالي المخصص للعرض العام، في هذه المدينة الساحلية مختلفًا تمامًا عن مفهوم النصب التذكاري في شبوة، وهي المدينة التي كانت توازي بشكل أوثق ممالك جنوب الجزيرة العربية الأخرى في تطور أسلوب خطها (انظر الأشكال 4, 5).



الشكل 4 هاميلتون 8



شكل رقم 5 Kr2

3. فترة النص:

الاتصالات مع اللغات الأخرى وإسهام مدرسة الكتابة الحضرمية في نشر النماذج الأسلوبية:

كما هو موضح أعلاه، يبدو أن السبأنة كانت ظاهرة ثانوية في جنوب الجزيرة العربية القديمة، لكننا أوليناها اهتمامًا متزايدًا في دراساتنا؛ لأنها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بأصول هذه الثقافات واللغات خلال فترة تكوينها المبكرة.

بالإضافة إلى وجود بعض السمات السبئية فيها، فإن اللغة الحضرمية القديمة قد اشتركت في عدد من الكلمات المتشابهة مع اللغتين القتبانية والمعينية، لكن الأمر المهم الذي يجب على العلماء تحديده هو تفسير هذه السمات المشتركة بأنها ألفاظ مهجورة عفا عليها الزمن، أم هي ابتكارات مشتركة، أم ظواهر تداخل معزولة يمكن أن تعزى إلى اتصالات عرضية تمت في مراحل تاريخية محددة.

وبالمثل، يمكن تفسير السمات المميزة للغة الحضرمية القديمة إما باعتبارها ابتكارات حقيقية، أو خيارات أسلوبية ناشئة عن الإصلاحات في مدرسة كتابة واحدة، ظلت معزولة ولم تنتشر من خلال نظام اللغة ككل. ومن المعروف أن الأمر على عكس الممالك الأخرى؛ إذ كان هناك مراكز عدة للكتابة في حضرموت، ولم تنجح المدرسة الرئيسة في شبوة دائمًا في فرض أسلوبها على المدن الأخرى.

3.1 العلاقة بين المركز والأطراف في مملكة حضرموت:

أسهمت الدراسات الحديثة التي أجرتها البعثة الإيطالية في عمان (IMTO) في موقع سمهرم، وهو ميناء بحري قديم، تأسس على الساحل العماني البعيد لحافطة ظفار، في فهمنا لكيفية تنظيم السلطات وإدارتها في العاصمة لمملكة كبيرة كمملكة حضرموت.

لقد كانت بعض الأنشطة الاقتصادية في مملكة حضرموت مركزية وكانت سمهرم ميناء مهمًا، وكانت تجارتها تخضع لرقابة صارمة من قبل السلطة المركزية، التي كانت تمثلها الدولة، ولكن وفقًا للمصادر الكلاسيكية، كان للمعابد والكهنة أيضًا دور - من ناحية أخرى. وقد تمت موازنة ذلك من خلال التقسيم الطبقي للسلطة السياسية؛ إذ أنشأ ملوك حضرموت بيروقراطية وتسلسلًا هرميًا للمكاتب السياسية، من أجل حكم المدن النائية في مملكتهم.



86

العدد (30)
أكتوبر
ديسمبر
2023م

3.2 الابتكارات والميزات اللغوية الخاصة

في لغة حضرموت القديمة:

وكما تجلت آلية التجزئة الثقافية الحضرية على المستوى اللغوي، فإن هناك ابتكارات مهمة في اللغة الحضرية القديمة مثل ظهور الضمير المفرد المؤنث (-ث / -س) (السين الثانية الساخنة) المميز صوتياً عن اللاحقة الدالة على التذكير، وقد دخل هذا الضمير حيز الاستخدام العام، ووجد في جميع الوثائق:

(Suna/79/L/1(period A):

نبحم هقني بنت ايل هبن-ث
نبحم قدمت اهدت قربانا لبنت ايل من اجل ابنها

هناك سمة مميزة أخرى تميز اللغة الحضرية القديمة عن اللغات الجنوبية العربية القديمة الأخرى بانتظام وهي استخدام حرف الجر / العطف ("اد")، والذي يعني ("إلى"، "من أجل")، في حين كانت اللغات الجنوبية العربية القديمة الأخرى تستخدم (عد)

نقب الهجر 2/2 (المرحلة ب)

(MAFYS-Naqb al-Hajar 2/2 (B period):

هن عسمن اد منعم
من الأساس إلى القمة

كما عُرفت لغة حضرموت القديمة باحتفاظها باللاحقة (-هن) في حين تستخدم اللغات العربية الجنوبية القديمة اللاحقة (-ن)، وبغض النظر عن المعنى الذي يحمله الصوت الحنجري /هـ/ فهو يعد ميزة من ميزات اللغة الحضرية طيلة مراحل تاريخها وإن استخدم في نحو أقل انتظاماً، فعلى سبيل المثال نجد (بجتهن) التي تعني (لوح منقوش) في نقش (ريبون 2-1/84 no. 197a-e/1)، (المرحلة ب)، في حين كتبت في نقش آخر (ريبون 2-1/84 no. 197a-e/1) (المرحلة ب)، (بجتن)

يعد حرف الجر / الرابط (ها-) بمعنى: (ل-، من أجل)، والذي يماثل (ل-) في اللغات العربية الجنوبية القديمة من إبداعات اللغة الحضرية، ويقتصر استخدامه على حالة النصب (المفعول به)، وعلى العبارة الثانوية الأخيرة من الجملة المعقدة.

في حين كانت لغة حضرموت تحمل سمات معينة كانت مشتركة بين جميع لغات ممالك الجنوب العربي القديمة فإنها كانت قادرة على إعادة تفصيل هذه السمات واستيعابها في لغة خاصة بها في مرحلة مبكرة، مما سمح لنا بافتراض مرحلة أولية طويلة إلى حد ما من التطور. خلال فترة نضجها، ونظراً لوجود مجموعة متنوعة من المراكز الثقافية في البلاد، تمكنت اللغة الحضرية القديمة من الحفاظ على سماتها اللغوية الفريدة وتوسيعها، وغالباً ما كانت تنقل نماذجها الأسلوبية إلى لغات ممالك الجنوب العربي الأخرى

KR6/1-2

برا و شحدث همرا-س ملك
حضرت محفدهن زانم
بنا و سلم ل-مولاه ملك
حضرموت قلعة ذي انم

الأفعال التضرعية والمجزومة تسبق بالبادئة (ل-)، وغالباً ما تجدها في الصيغة (ل- تشاور)، وهي صيغة توجد في معظم الإهداءات المقدمة لذات هيم في ريبون.

إن الإصلاح الإملائي الذي أدخلته مدرسة الكتابة في ريبون خلال القرن الرابع من الألفية الأولى قبل الميلاد، والذي بموجبه تم استبدال (-ث) بـ(السين الثانية) يقدم مثلاً على عدم الاتساق في النصوص النقشية الحضرية. وهذا التعديل، الذي تطور جزئياً لأسباب لغوية، اعتمدته مدن وادي حضرموت، لكن لم تقبله مدرسة شبوة المركزية باستثناء حالات معزولة.

كما يمكن أيضاً ملاحظة تحسن أكبر طرأ على ضمير المذكر (المثنى) المتصل الذي يبدو أن أشكاله الثلاثة هي مسألة تنوعات



خلال تاريخها؛ فقد ذكرت أمثلة على هذا التأثير الذي مارسه مراكز ثقافية مهمة، مثل سبأ خلال الفترة القديمة. وفي الوقت نفسه كانت مدرسة الكتابة الحضرية مركزاً للاتجاهات الأسلوبية، التي امتدت إلى ممالك جنوب الجزيرة العربية الأخرى. ولتوضيح هذه الظاهرة، ستم مناقشة حالتين من التداخل المتبادل بين اللغتين الحضرية والمعينية.

فمثلاً الصيغة أو التركيب (تض ب-اذن)، وصيغة أخرى أقل انتشاراً (وض ب-اذن) متبوعة باسم إلهي تعد إحدى السمات المميزة لمجموعة الصيغ الدينية في لغة حضرموت القديمة، وقد تم توثيق استخدامها كعبارة ختامية في النقوش الإهدائية، بدءاً من العصر القديم، واستمرت إلى ما يقرب من ألف عام. لم يتم العثور على هذه الصيغ في النقوش السبئية والمعينية إلا في حالات نادرة ومتفرقة. إن ظهور هذه الصيغ في بعض النقوش السبئية القديمة يقود إلى الافتراض أن هذه التراكيب في الأصل كانت تشكل جزءاً من البنى التحتية للغات الجنوبية العربية القديمة، وأنه تم اعتمادها لاحقاً كميزة للغة الحضرية فقط. تمت ترجمة هذه التراكيب التي يكون فيها الفاعل هو المكرس أو المهدي، بشكل عام على أنها "يوضع تحت حكم وإرادة الإله".

يوجد مثالان لهذه الصيغة في اللغة المعينية: الصيغة (وض) وردت في نقش معيني، عُثر عليه في سور مدينة قرناو.

LI.2-3:

و-وضا ايلسام ب-اذن عثثار
ذا-قبضم و سين و ودم ونكرحم
نفس-س واثن-س و ولد-س و قين-س
وايلسام وضع تحت ارادة عثثار ذاقابضم
والاله سين و ودم ونكرحم حياته
وارادته واولاده واملأكه

ومن الجدير ذكره أن هذا النص، المكتوب في القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد، أمر به الملك الحضرمي ايلسمع ذبيان؛ لإحياء ذكرى تجديد تحالف مملكته مع شريكه المعيني أبييذا عيثا، وقد أنشأ هذا التحالف لأول مرة ملك حضرمي سابق يدعى شهر علهن ابن يدع ايل. وظهرت الصيغة (تضا ب-اذن) في نقش

في اللغة نفسها. يبدو أن الصيغة الحضرية (-سمي)، المشابهة للصيغة السبئية (-همي)، والقبتانية (-سمي) كانت مخصصة للنقوش الإهدائية ذات الخصوصية الأكبر.

BAQ 55:

وقاسم بن شرحب تض وب-اذ
سين نفس-سمي و اذن-سمي
وقاسم ابن شر وضع تحت تصرف
الاله سين حياتهم و اراداتهم

وعلى العكس من هذا فإن الصيغة (-سمن)، والموجودة أيضاً في اللغة المعينية، تستخدم في اللغة الحضرية في السياقات الأكثر رسمية. وقد تم العثور على هذا البديل بانتظام في النقوش التذكارية المرتبطة بالإنشاءات الأثرية في موقعي خور روري (سمرهم) والبناء.

KR 4 /1-3:

شثم بن فرطم وموابن مطاع بن حورشبوت
تب وشيع مير-سمن ابياتع بن ذمارعلي
شثم بن فرطم وموا بن مطاع مواطني شبوة اتبعوا
وخدموا مولاهم اياتع بن ذمارعلي
وأخيراً، هناك شكل ثالث لضمير المثنى (-سمين) في اللغة الحضرية القديمة، وهو ابتكار تاريخي ظهر لاحقاً في القرن الثالث الميلادي:

Ja 969 /1-4:

سيكلم وملك بني تعدلت شوعو مر-سمين
يدع ايل بيان ملك حضرمت بن ربشمس
سكلم و ملكم بني تعدلت اتبعوا مولاهما
يدع ايل بيان ملك حضرموت بن ربشمس

3.3 التداخل اللغوي بين اللغة الحضرية

واللغات الجنوبية العربية القديمة الأخرى

احتوت النصوص النقشية لجنوب الجزيرة العربية على جملة من الأمثلة التي تؤكد على وجود تداخل لغوي بين اللغة الحضرية القديمة وبقية اللغات الجنوبية العربية القديمة، ويمكن أن يُعزى ذلك إلى الاتصالات بين المراكز الثقافية المختلفة في هذه الممالك

معيني آخر:

وت-ضا سعد ايل ورعب ايل وهوفعتت وهوف ايل و
ذخيرب-عذنه عثتار ذا-فبضم انفس-سم و اذن-
نسم و اولد-سم و اقني-سم و اخه-سم
اهدى سعد ايل ورعب ايل وهوفعتت وهوف ايل
وخير تحت تصرف عثتار ذا فيضم حياتهم وارادتهم و
اولادهم وممتلكاتهم واخوانهم

مؤخرًا، قامت أ. مولثوف بمراجعة هذه الترجمة، مُفترضةً وجود فرق دلالي بين الصيغتين فترى أن (وضا)، (ربما تعني "ترك"، ثم "إعطاء"، من المعنى الأصلي "للذهاب")، في حين أن (تضا)، (صيغة مشتقة من جذع كلمة) وتعني "يسعى". لذلك، (وضا ب-اذن) + الاسم الإلهي سترجم ("وضع في أذن") + الاسم الإلهي. (في حين أن) (تضا ب-اذن) سترجم ("طلب أذن") + الاسم الإلهي.

على الرغم من أن تحليلها مقنع إلى حد كبير، فإنه لا يمكن قبوله في مجمله، ويرجع ذلك جزئيًا إلى الأسباب المتعلقة بالصيغ وقوة السياق. يبدو لي أن (وضا) يتم استخدامها هنا كبديل لـ(تضا)، ولا تنطوي على أي تغيير دلالي معين. فقد استخدمت الكلمتان (وضا) و(تضا) في المثاليين المعينين في سياقات متطابقة، لذا فمن المعقول أن نستنتج أنهما متعاوضتان، أي يمكن استبدال إحدهما بالآخرى. مهما كان معنى الصيغة فإنني أعتقد أن ظهورها في اللغة المعينية يمكن عده أمثلة على التني المتقطع لصيغ ثابتة من لغة أجنبية نتيجة لاتصالات بين مركزين ثقافيين. ومن المعروف أنه كان يوجد تحالف وثيق بين حضرموت ومعين، خاصة خلال منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد، وذلك بسبب اهتمامهما المشترك بالحصول على أكبر قدر ممكن من الأرباح من تجارة البخور.

تم التعرف على حالة موازية توضح ظاهرة التأثير اللغوي المتبادل ولكن في الاتجاه المعاكس، في نقش حضرمي عثر عليه في نقب الهجر، والذي يرجع تاريخه إلى فترة العصر الحجري نغسهل إبان حكم الملوك المرتبطين بمعين.

6- 5/ 3869 RES:

وليسعذب خبل يهر سعذبم وذال-يهرسعذبم
"دعه يصلح الجزء الخارب القائم ويصلح غير القائم"

من الواضح جدًا في النص الحضرمي أعلاه أن بعض سماته المعجمية والنحوية ذات جذور معينة، فعلى سبيل المثال الفعلان: (سعذب) بمعنى (يصلح)، و(خبل) بمعنى (يتلف، يخرب) لم يوثقا في الحضرمية إلا في هذين المثالين، ولكنهما شائعان في المعينية.

زيادة على ذلك، يشير نقش سبئي (B-L Nashq-Demirjian 1)، جديد إلى أن التحالف بين مملكتي حضرموت ومعين قد يعود تاريخه إلى ما قبل مائة عام في الأقل، وأن حضرموت ومعين هما المنافستان الرئيستان اللتان تتنافسان مع سبأ للسيطرة على تجارة البخور. حتى أن مملكة سبأ اضطرت للقيام بحملة عسكرية ضد حضرموت في منطقة ميفعة البعيدة، والاستيلاء مؤقتًا على المدينة نفسها:

يوم ذباب-عمسبا وركبن رجلم وبعوصر معنم ب-
سافل اتمي ويوم ذب بعمس عبهو ركنن بعنم مصر
سبا عد ارض جضرمت ويثبرش [] بن وبعو ميفعت
"عندما قاتل مع سبا وفرسان الحملة؟ وهزم الجيش المعيني تحت
اتمي وعندما شن حربا بفرسانه سالكا طرق القوافل السبئية في
أرض حضرموت ودمروا ثلاث [] وهاجوا ميفعة"

4- الاستنتاجات:

تتيح لنا الأبحاث الأثرية الحديثة في مواقع، مثل (سمهرم)، بالإضافة إلى اكتشاف نقوش حضرمية جديدة، أن نؤرخ من جديد للمراكز الثقافية المهمة في مملكة حضرموت. ومن ثم يمكن إعطاء وزن أكبر لحضرموت، التي كانت مملكة مستقلة وقوية منذ العصر القديم. الأمر نفسه ينطبق على لغويات هذه الحضارات وثقافتها التي سادت في جنوب الجزيرة العربية. وكما تبين هنا، ففي حين كانت لغة حضرموت تحمل سمات معينة كانت مشتركة بين جميع لغات ممالك الجنوب العربي القديمة فإنها كانت قادرة على إعادة تفصيل هذه السمات واستيعابها في لغة خاصة بها في مرحلة مبكرة، مما سمح لنا بافتراض مرحلة أولية طويلة إلى حد ما من التطور. خلال فترة نضجها، ونظرًا لوجود مجموعة متنوعة من المراكز الثقافية في البلاد، تمكنت اللغة الحضرمية القديمة من الحفاظ على سماتها اللغوية الفريدة وتوسيعها، وغالبًا ما كانت تنقل نماذجها الأسلوبية إلى لغات ممالك الجنوب العربي الأخرى.

دراسة لأحوال الاجتماعية والاقتصادية في محمية عدن

تأليف: دورين إنجرامز

ميل تقريباً حتى يصل إلى رأس ضربة علي على حدود سلطنة مسقط وعمان. ويختلف امتداد البلاد إلى الداخل من مسافة ١٠٠ ميل تقريباً في المنطقة المجاورة لمستعمرة عدن إلى مسافات أكبر، ولكن غير مثبّنة، في محمية عدن الشرقية.



ترجمة:
نجيب سعيد باوزير

٢- أقسام المحمية

قسمت المحمية لأغراض إدارية إلى قسمين: محمية عدن الغربية، ومحمية عدن الشرقية. ويراعي هذا التقسيم جغرافية المنطقتين وتوجهات السكان في كل منهما. فسكان المحمية الغربية ينظرون إلى عدن بوصفها نقطة ارتكاز لهم، في حين يميل السكان الذين يقطنون المنطقة الأبعد شرقا إلى التطلع باتجاه الشرق نحو الهند وجزر الهند الشرقية، وتمثل المكلا نقطة ارتكازهم المحلية.

الجزء الأول: وصف عام

الفصل الأول: الجغرافيا

١- المساحة

تقدر المساحة الكلية لمحمية عدن بـ: ١١٢٠٠٠ ميل مربع، ولكن ليست كل حدود البلاد مرسمة. ويبدأ الخط الساحلي للبلاد، من الغرب إلى الشرق، من رأس حصن مراد قبالة جزيرة بريم، ويتحرك ناحية الشرق بمقدار ٦٠٠



خريطة محمية عدن، الفرسية

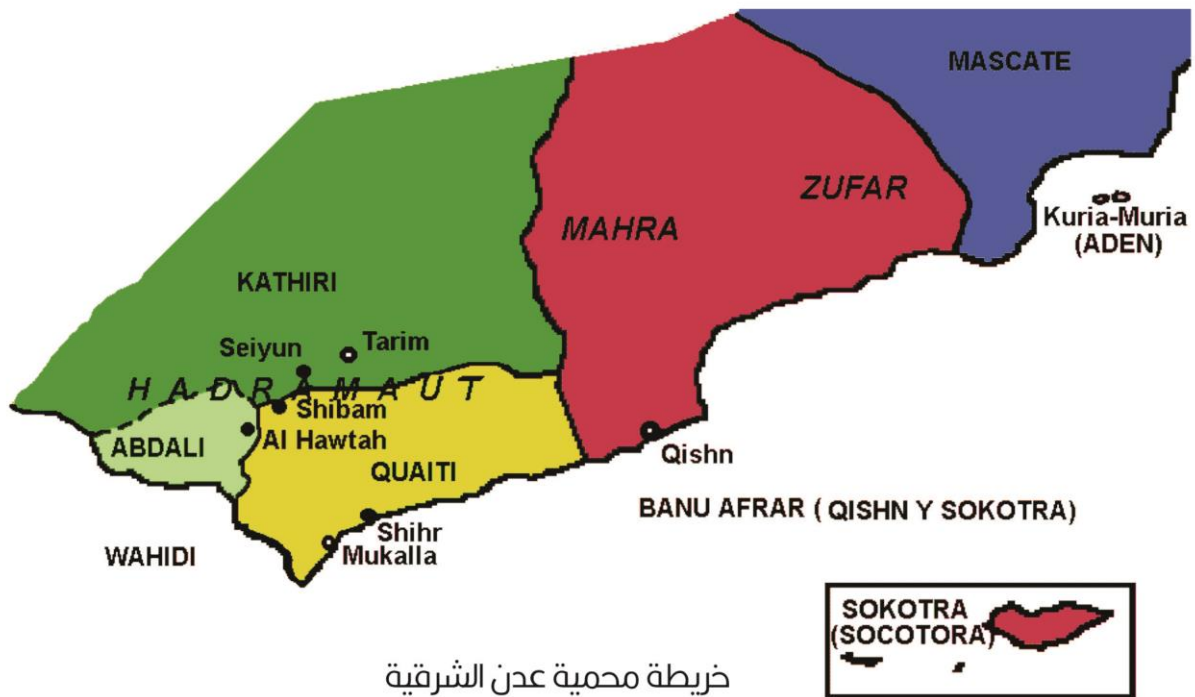


تعريف اسم (حضر موت):

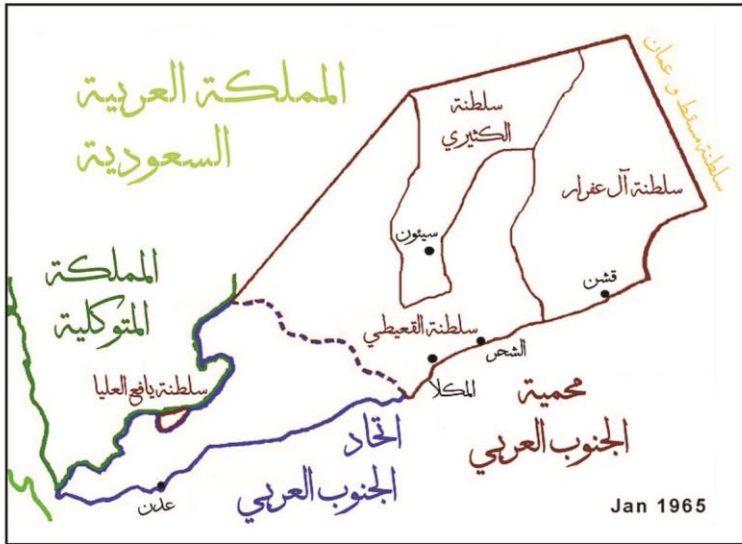
ظل اسم (حضر موت) يستعمل لكي يدل على منطقة شاسعة ومتغيرة بحيث يمكن أن يستعمل نفس الاسم للإشارة أيضاً إلى ما يعنيه في الوقت الحاضر. كان الاسم يستعمل على مدى سنوات عدة للمنطقة الواسعة من جنوب الجزيرة العربية التي تقع إلى الشرق من المقاطعات التسع وإلى الغرب من سلطنة مسقط وعمان. وقد ظهر الاسم بهذا المدلول على عدد كبير من الخرائط. ومن المحتمل أن الاسم كان في الأصل اسماً لقبيلة ثم أصبح، في تاريخ موغل في القدم، يستعمل للدلالة على الوادي الذي يحمل هذا الاسم. ويوجد الاسم بصيغته العبرية، هزرمات (حزرمات) (*) Hazarmaveth، في سفر التكوين من العهد القديم. وكان الجغرافيون الكلاسيكيون يشيرون إلى سكان هذه المنطقة بأنهم Adramitae و Chatramotitae، وكانوا يسمون المنطقة Adramytta. كانت هذه المنطقة ينظر إليها دائماً بوصفها منطقة منفصلة عن (اليمن)، التي كانت، حتى عهود قريبة نسبياً، تشمل أجزاء كبيرة من المنطقة التي تعرف اليوم

وتتكون محمية عدن الغربية مما كان يعرف قبل ذلك بالمقاطعات التسع، وهي تحديداً: العبدلي، والأميري، والحوشبي، والفضلي، والياضي، والصبيحي، والعقربي، والعولقي، والعلوي، ومعها منطقتان قبلتان إضافيتان، هما العوذلي، والبيحاني. وتنقسم كل من منطقتي الياضي والعولقي إلى يافع العليا ويافع السفلى، والعوالق العليا والعوالق السفلى. وعلى هذا الأساس، يوجد الآن في محمية عدن الغربية ثلاثة عشر قسماً جغرافياً رئيسياً، إلا أن هناك ما هو أكثر من هذا العدد من التقسيمات السياسية. وتقدر مساحة محمية عدن الغربية بـ ٤٠٠٠٠ ميلاً مربعاً.

وتتضمن محمية عدن الشرقية إمارات حضر موت، التي تشمل الدولتين القعيطية والكثيرية، والسلطنتين الواحديتين في بير علي وبلحاف، ومشيختي عرقة وحورة، والسلطنة المهرية في قشن وسقطرى. وتتراوح مساحة محمية عدن الشرقية ما بين ٧٠,٠٠٠ و ٨٠,٠٠٠ ميل مربع، ولكن جزيرة سقطرى التي تعد جزءاً من السلطنة المهرية، تضيف إلى هذا الرقم ما يقارب ١,٣٨٢ ميلاً مربعاً.



خريطة محمية عدن الشرقية



بمحمية عدن الغربية. ويفهم من اسم حضر موت في الوقت الحاضر أنها المنطقة التي تقع تحت سلطة الدولتين القعيطية والكثيرية، ولكن علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن هذا المدلول لا يكاد يعني شيئاً لكثير من السكان الحاليين الذين ينظرون إلى قريتهم أو عاصمتهم القبلية بوصفها (الأرض) التي ينتمون إليها. كما تجدر الإشارة أيضاً إلى أن هناك تقليداً محلياً مُربكاً، إذ درج القاطنون في المنطقة الساحلية على القول، مثلاً، إنهم "ذاهبون إلى

(حضر موت)"، يقصدون بذلك أنهم "ذاهبون إلى وادي حضر موت". وفي هذه الدراسة، سأقتصد في استعمال اسم (حضر موت)، لأن هذا الاسم يشمل مجالاً غايةً في التنوع والاختلاف من الخصائص الاجتماعية والاقتصادية.

٣- حدود المحمية

يحد محمية عدن من الغرب اليمن، ومن الشمال اليمن والربع الخالي، ومن الشرق منطقة القرا التي تتبع سلطنة مسقط وعمان، ومن الجنوب البحر العربي ومستعمرة عدن التي تحتل مساحة صغيرة.

والحدود الوحيدة المُرسَّمة للمحمية هي:

(أ) خط الحدود من جهة مستعمرة عدن الذي يمتد في خط مستقيم تقريباً من الغرب إلى الشرق شمال الشيخ عثمان وبمحاذاتها تماماً.

(ب) خط الحدود الذي عرّفته لجنة الحدود الإنجليزية-التركية التي عملت خلال الأعوام ١٩٠٣-١٩٠٥م، وهو يفصل بين جزء من اليمن وبين المحمية.

أما الحدود الأخرى المعترف بها ولكنها غير مُرسَّمة فهي كما يلي:

(١) الخط الذي يخضع لصيغة الوضع الراهن Status Quo، والذي أقر لمدة أربعين عاماً بموجب معاهدة صنعاء

في عام ١٩٣٤م. فإن إمام اليمن لم يعترف بشريعة خط الحدود الذي عينته اللجنة الإنجليزية-التركية، ولكنه وافق على أن يبقى الوضع على الحدود ساري المفعول كما كان عليه حال التوقيع على الاتفاقية، إذ ينص البند الثالث من المعاهدة على ما يلي:

"تظل مسألة خط الحدود الجنوبي مؤجلة لا يبت فيها في انتظار التسوية، بأي طريقة يتفق عليها كلا الطرفين الساميين المتعاهدين في ظل روح الصداقة والتفاهم التام، بعيداً عن أي نزاع أو خلاف، التي سستتمخض عنها المباحثات التي ستجري بينهما قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة".

"في انتظار التسوية التي سستتمخض عنها المباحثات المشار إليها في الفقرة السابقة، يتفق الطرفان الساميان المتعاهدان على المحافظة على الوضع القائم حال التوقيع على هذه المعاهدة فيما يخص خط الحدود، ويتعهد الطرفان الساميان المتعاهدان بأن يمنعا بكل الوسائل التي تحت تصرفهما أي انتهاك من قبل قواتهما لخط الحدود المذكور أعلاه، وأي تدخل من قبل رعاياهما، أو من الجانب التابع لهما من ذلك الخط، في شؤون السكان الذين يعيشون على الجانب الآخر من خط الحدود المذكور".

وخط الوضع الراهن هذا يتماشى في واقع الأمر مع خط الحدود الذي عرّفته اللجنة الإنجليزية-التركية حتى وادي بنا، وهناك يفترق عنه.



ظل اسم (حضر موت) يستعمل لكي يدل على منطقة شاسعة ومتغيرة بحيث يمكن أن يستعمل نفس الاسم للإشارة أيضاً إلى ما يعنيه في الوقت الحاضر. كان الاسم يستعمل على مدى سنوات عدة للمنطقة الواسعة من جنوب الجزيرة العربية التي تقع إلى الشرق من المقاطعات التسع وإلى الغرب من سلطنة مسقط وعمان

قمم يصل ارتفاعها إلى ٨٠٠٠ و ٩٠٠٠ قدم. وفي جهة الشرق يمتد كور العوالق حتى يشبم. والطرق الوحيدة التي تستطيع أن تسلكها القوافل من الساحل صعوداً إلى سلاسل الكور هي تلك التي تمر عبر وادي العلم، ووادي الرجوب، وممر الطلح. وهذه الطرق تؤدي في النهاية إلى الجزء الجنوبي الشرقي من هضبة اليمن وإلى سهل نصاب. وهذا السهل يعد جزءاً من المساحة شبه المثلثة المحصورة بين نصاب وبيحان وشبوة، وهي منطقة تتناثر فيها بعض الآثار القديمة^(٢). وتنحدر تدريجياً جبال يافع والسلاسل الجبلية المتقطعة الواقعة بعيداً إلى جهة الغرب حتى تنتهي إلى الشريط الساحلي. وأبرز خاصية طبيعية في محمية عدن الشرقية هي وادي حضر موت. وهذا الوادي يقسم إلى نصفين النجد المكون من الحجر الجيري (الجلول) الذي يمتد على شكل حزام عريض يصل ارتفاعه إلى ٦٠٠٠ قدم على الناحية الجنوبية من الوادي الرئيسي وإلى ٣٥٠٠ قدم تقريباً على الناحية الشمالية من الوادي. وترتفع (الجيلان) في سلسلة من السهوب التي ينتشر فيها عدد كبير من المنخفضات غير العميقة القابلة للزراعة عن طريق تجميع مياه المطر في برك تسمى الواحدة منها (كريف) أو في حفر ضحلة تسمى (نَقَب).

(٢) الحد بين المحمية وسلطنة مسقط وعمان، الذي يبدأ من رأس ضربة علي ويمتد شمالاً في خط غير معرف حتى الآن. (٣) الحد البيني داخل المحمية نفسها. وهذا الحد يمتد من البحر شمالاً متماشياً مع وادي سنام، بين يشبم وحبان، ثم إلى الشرق من نصاب وإلى الغرب من عياد، حتى يصل إلى الحد الشمالي غير المعروف.

وما زال الحد الشمالي للمحمية مدار نقاش بين حكومة جلالة الملك والمملكة العربية السعودية والمملكة اليمنية. إذ إن خط الحدود الذي وُضع بموجب اتفاقية عام ١٩١٤م الإنجليزية-التركية غير معترف به من المملكتين المذكورتين. وتؤخذ الحدود الشمالية لدولتي حضر موت الآن على أنها تبعد بمسافة عشرين ميلاً تقريباً إلى الشمال من الحد الجنوبي للربع الخالي.

٤- وصف الأرض^(١)

تضم المحمية تنوعاً ملحوظاً في خصائصها الطبيعية. فالشريط الساحلي، الذي يتكون غالباً من سهول جرداء، تتخلله منحدرات جبلية شديدة الانحدار تحاذي البحر تماماً أو تعترضها أودية تتمدد خلال السهول أو تشق طريقها بين التلال الساحلية نحو البحر. وقد تكونت حول هذه الأودية واحات مختلفة الأحجام من الأرض المزروعة والاستيطان البشري مثل لحج، وأبين، وميفع، وغيل باوزير. وفي المناطق الداخلية، تتميز محمية عدن الغربية بقمم الجبال الشاهقة، والسلاسل الجبلية المسننة، والهضاب العالية، ولكن في المحمية الشرقية تفضي الجبال إلى سهوب قاحلة مترامية الأطراف (جيلان) تتخللها منظومة معقدة من الأودية العميقة يتشكل منها تكوين طبيعي فريد من نوعه. وأبرز مظهر طبيعي في المحمية الغربية هو سلاسل الكور الجرانيتية التي يمكن القول إنها بشكل تقريبي تمتد غرباً-جنوباً-غرباً ثم شرقاً-شمالاً-شرقاً. وأعلى منطقة في بلاد العوذلي هي كور العواذل التي ترتفع إلى ٦٥٠٠ قدم مع وجود



**يفهم من اسم حضرموت في الوقت
الحاضر أنها المنطقة التي تقع تحت
سلطة الدولتين القيعطية والكثيرية،
ولكن علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن
هذا المدلول لا يكاد يعني شيئاً لكثير
من السكان الحاليين الذين ينظرون
إلى قريرتهم أو عاصمتهم القبيلية
بوصفها (الأرض) التي ينتمون إليها**

بحيث تكون تلك الضفاف المزروعة بمنأى عن المجرى الرئيسي للسيل. إلا أنه في بعض الأحيان تزرع أشجار النخيل والحبوب في مجرى السيل، في أودية مثل وادي دوعن، عندما لا يكون هذا السيل ذا طبيعة شديدة الخطورة. وفي أحيان كثيرة أيضاً يتم تغيير مجرى السيول لاستعمالها في الري، ولذلك فإن القليل منها فقط يصل إلى البحر. كما أن الأودية الجافة تمثل أهمية كبرى من حيث إنها لا تكاد تخلو أبداً من المياه الجوفية التي يمكن استعمال الآبار للوصول إليها والاستفادة منها، وعندما تكون هذه المياه الجوفية قريبة بما فيه الكفاية من السطح، فإنه عندئذ يمكن زراعة مساحات واسعة من الأرض.

بعد وادي حضرموت وعدد من روافده الكبيرة المصادر الرئيسية للازدهار الاقتصادي في الدولتين القيعطية والكثيرية. ويمتد هذا الوادي خلال مسافة تبلغ ٣٦٥ ميلاً ابتداءً من منبعه بالقرب من العبر التي ترتفع ٣٠٠٠ قدم فوق سطح البحر حتى مصبه بالقرب من سيحوت. وفي هذا الوادي توجد المياه بكثرة في طبقة الأرض التي تحت التربة، وهناك منطقتان قريبتان من البحر توجد بهما مياه غير منقطعة. ويبلغ عرض الوادي عند منبعه ٤٠ ميلاً تقريباً، ولكنه يضيق شيئاً فشيئاً، حتى إذا تقدم ٧٥ ميلاً نحو الشرق أصبح عرضه ما بين

وتخترق الجبلان عددٌ من الأودية العميقة. وهذه الأودية تتجه، من الجول الجنوبي، جنوباً نحو البحر وشمالاً نحو وادي حضرموت، وكثير منها يضم مناطق مهمة مأهولة ومزروعة، من أهمها وادي دوعن، ووادي عمد، ووادي ليسر. أما الجول الشمالي فتتجه منه الأودية جنوباً نحو وادي حضرموت وتتجه شرقاً-شمالاً-شرقاً إلى الحافة الجنوبية من الربع الخالي. وفي حين يتغلغل الجول الشمالي تدريجياً داخل رمال الصحراء، يميل الجول الجنوبي منحدرًا إلى شريط التلال السفحية الساحلي.

وإلى الغرب من المكلا يغلب الطابع الجبلي على تضاريس البلاد، وتخترقها صدوعٌ تمتد من الشرق إلى الغرب وينتج عنها قطعُ اتصال السلاسل الجبلية فتنشأ جبال ذات جوانب شديدة الانحدار وقمم مسطحة أو قمم جرانيتية مدببة. وهذه السلاسل الجبلية هي التي يشق طريقه خلالها نهرٌ (حجر) الدائم ذو الأهمية الحيوية.

شبكات الأودية:

يوجد في المحمية قليل من الجداول التي تجري فيها المياه طول العام، ولكن لا يوجد إلا نهر واحد دائم الجريان هو نهر حجر الذي تنساب مياهه خلال وادٍ مكتظ بالمزروعات. ويعود السبب في نشوء هذا النهر إلى العيون الساخنة في الصدارة التي تبعد ٦٠ ميلاً من مصب النهر. أما الأودية الأخرى فتكون جافة خلال الجزء الأكبر من العام وأحياناً خلال عدة أعوام متصلة على الرغم من أنه قد تنشأ فيها برك معزولة أو قليل من الجداول. وفي حالة هطول أمطار غزيرة فإن الأودية الجافة تتحول فجأة إلى سيول جارفة يصل عمقها إلى عشرين قدماً تحتاج في طريقها كل شيء، ويتذكر الناس هناك ما تسببت فيه هذه السيول من الكوارث. ولهذا السبب دأب الناس على اختيار مواقع بلداتهم وقراهم على جوانب مجاري السيول، كما تزرع المحاصيل على الضفاف المكونة من التربة الغرينية، أو ما يعرف بالطمي الذي جلبته في طريقها السيول السابقة،

أربعة إلى خمسة أميال فقط. وفي أجزاء الوادي الواقعة على مسافة أبعد باتجاه المصب يقل عرض الوادي في بعض الأماكن إلى أقل من ١٠٠ ياردة. وعلى بعد ثلاثة أميال تقريباً بعد مدينة تريم يتغير اسم الوادي ليصبح (وادي المسيلة). ويمثل الصدع في السلسلة الجبلية الساحلية الذي يمر منه الوادي إلى البحر واحداً من أجمل معالم الشريط الساحلي.

وهناك عدد من الأودية المهمة، تمثل روافد تصب في وادي حضر موت، وتوجد فيها تجمعات سكانية كبيرة وتستغل أرضها زراعياً على نحو واسع، بالاعتماد بصورة عامة على الري بوساطة الآبار. وتتميز هذه المنطقة بخاصية طبيعية بارزة تتمثل في الشكل الذي يتخذه الوادي الرئيسي وروافده من الأودية الأخرى وهي تشق الهضبة، إذ إن هذه الأودية جميعها تتكون على هيئة صدوع أو أخاديد عميقة لها جوانب شاهقة شبه عمودية يصل ارتفاعها أحياناً إلى أكثر من ١٠٠٠ قدم.

وتعتمد بقية مناطق المحميتين الغربية والشرقية إلى حد بعيد على شبكات الأودية أيضاً في ازدهارها الاقتصادي. فإن واحات ذات أهمية اقتصادية كلحج وأبين، على سبيل المثال، تعتمد على وادي تب و وادي بنا، كما أن المساحات الواسعة من الأرض المزروعة في ميفع هي نتيجة لتغيير اتجاه وادي حجر. وفي الواقع فإن الأودية، بما تختزنه من مياه تحت تربتها، أو بما يجري فيها من سيول بين وقت وآخر، تعد بمثابة الدم الذي يضخ الحياة في المحمية.

سقطرى:

تقع جزيرة سقطرى على بعد ٣٠٠ ميل من البر. ويبلغ طولها ٧٠ ميلاً تقريباً من الغرب إلى الشرق، كما يبلغ متوسط عرضها ٢٠ ميلاً. وتتميز الجزيرة بكثرة الجبال، ومعظم مساحة نصفها الشرقي يتكون من سلسلة جبال حاجر، التي يصل ارتفاعها إلى أكثر من ٤٠٠٠ قدم. وفي هذه المنطقة تسقط كميات جيدة من الأمطار، ولكن إلى الغرب من سلسلة الجبال يميل المناخ أكثر إلى الجفاف. وتعد حديبو البلدة الرئيسية التي تقوم بوظيفة الميناء أيضاً،

وهي تقع على الساحل الشمالي. وليس من السهل الوصول إلى الجزيرة، ويعمل الضباب والغمام السائد في أحيان كثيرة على جعل الاقتراب من الجزيرة متعذراً على الطائرات. ولا يوجد في الجزيرة مرافئ، ولكن هناك مراسٍ تقع بعيداً عن حديسو، وقاضب، وقلنسية، إلا أنه يتعدر استعمال هذه المراسي في أثناء هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية.

الهوامش:

* ورد الاسم هكذا عند الدكتور جواد علي في كتابه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)، الجزء الثاني، الطبعة ٢، ص ١٣٠. (المترجم)
(١) لمعرفة وصف الحياة النباتية، انظر الفصل ١٦، القسم ٧.
(٢) كانت بيحان مركزاً للحضارة القتبانية القديمة، وتقع عاصمتها (تمنع) في أنقاض مدفونة في الطرف الشمالي من الوادي، في هجر كحلان. وهناك موقع آخر مهم يقع إلى جهة الغرب في وادي حريب، ويعرف الآن باسم هجر حنو الزرير. وتنتشر في المنطقة بأكملها العديد من المواقع الأخرى الأقل أهمية. وقد تجرأ بعض من لا ضمير لهم في الماضي على نبش تماثيل ومنحوتات من المرمر وجلبت أعداد هائلة منها إلى عدن؛ ولكن تم الآن منع هذا الفعل، وأعلن الموقع منطقة محمية.

المراجع:

- 1) Western Arabia and the Red Sea. Produced by the Naval Intelligence Division, 1946.
- 2) W.H. Ingrams. A Report on the Social, Economic and Political Conditions of the Hadhramaut- Col. No. 123. pp. 7-8.
- 3) W.H. Ingrams. Arabia and the Isles. pp. 216-218.
- 4) W.H. Ingrams. The Exploration of the Aden Protectorate. American Geographical Review., Vol. 28. 1938. pp. 638-640.
- 5) W.H. Ingrams. The Hadhramaut: Present and Future. Journal of the Royal Geographical Society. Vol. 92. No. 4. 1938. P. 302.
- 6) W.H. Ingrams. Unexplored Regions of the Hadhramaut. Journal of the Royal Central Asian Society. Vol. 23. Pt. 3. 1936. pp. 381-401.
- 7) Harold Ingrams. South-West Arabia: To-day and Tomorrow. Journal of the R.C.A.C. Vol. 32. Pt. 2. 1945. pp. 136-145.
- 8) Sir Bernard Reilly. The Aden Protectorate. Journal of the Royal Central Asian Society. Vol. 28. Pt. 2. 1941. pp. 132-134.
- 9) Col. M.C. Lake. South-West Arabia: Transliteration of Names. Aden. 1941. p. 39.

أسلوب البناء فالهدم

في رسم ملامح الصورة الحضرمية (أرضاً وإنساناً)

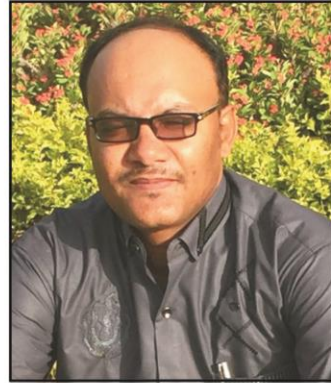
قراءة في سياق الوصف التصويري للمجتمع الحضرمي عند (مايبل بنت)

(٢ - ٤)

حين تكون تلك المرأة، أو الزوجة هي سلطانة، أي زوجة السلطان، وقتئذٍ نعي جيداً القيمة السلبية الحاصلة من رسم صورة مشوهة لهذه المرأة في السياقات التاريخية، الموجهة خطاباتها للعالم بأسره، وليس للعرب أو الحضارمة حسب.

ثمة سياق وصفي تبدى فيه لوحة المرأة الحضرمية في صورة زوجة السلطان على نهج أسلوب البناء والهدم التصويري عن طريق السرد، تقول الكاتبة مادحة زوجة السلطان بانيةً وصفاً جميلاً: «كان تأثير الزوجة في القطن جديراً بالاعتبار، وبدا بوضوح بأن السلطان يخشاها إلى حد كبير؛ وصل إلى أنه عندما كان يريد زيارة زوجته الأخرى، كان يجب عليه اختلاق قصة تتعلق بعملٍ ملحٍّ لديه في شبام»^(١٩) (بناء).

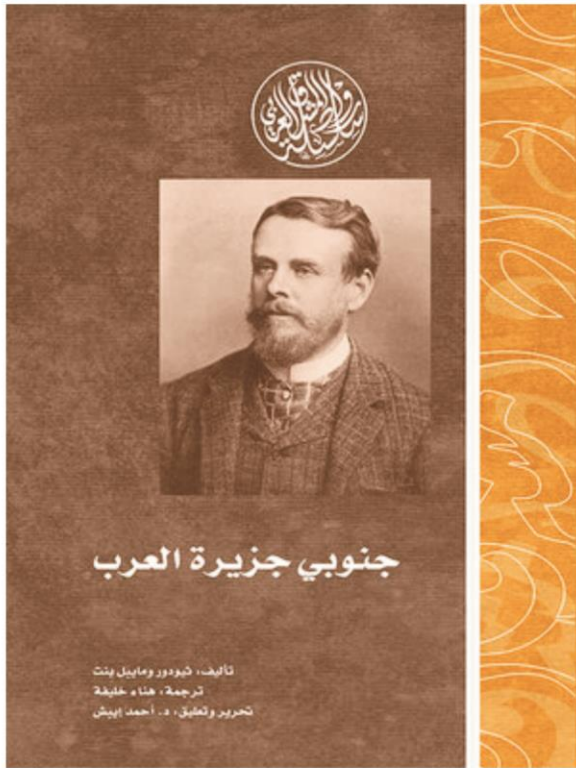
في هذه السطور تمجد الكاتبة دور المرأة في المجتمع الحضرمي، وتظهرها صاحبة قرار، وأن السلطان يخشاها إلى حد كبير، هذا أسلوب يرسم امرأة قوية في قراراتها، وهو أمر يُعدُّ إيجابياً في ظل تبعية شبه تامة لقرارات الرجل من قبل المرأة في المجتمع الحضرمي آنذاك، أسلوب يظهر المرأة أو الزوجة الحضرمية صاحبة قرار، ورأي مستقل عن تبعية رأي زوجها، بل مجابهة له، يصل به إلى حد الخوف منها، كما يصرح السياق.



د. زهير برك الهويل

(ب) تصوير المرأة:

لا يدعي البحث أن مستوى المرأة الحضرمية نهاية القرن التاسع عشر معيشياً قد بلغ مستويات من الرقي الاجتماعي - شكلاً ومضموناً - من حيث نمط اللبس والمظهر، والثقافة والفكر، ما يشفع لبحثنا أن يجابه كل ما سطرته عنها الكاتبة (بنت)، لكن ليس معنى ذلك الإقرار بكل محاولات التشويه المترصدة في سردها للمرأة الحضرمية على وجه العموم، والزوجة على وجه الخصوص؛ لكونها ركيزة أساسية من الركائز التي تشكّل بناء النسيج الاجتماعي الحضرمي، لا سيما



لإظهار صورة المرأة الحضرمية قبيحة المنظر، وأحياناً تسهم الكاتبة في خلق ذلك التشويه، على النطاق الخاص نساء الطبقات الحاكمة، أو على النطاق العام نساء المجتمع الحضرمي كافة، يمكن التدليل على ذلك الشعور السيئ - المسيطر على كوامن الكاتبة تجاه المرأة الحضرمية ببعض النماذج؛ التي بلغ فيها التشويه حد المبالغة تارةً، واللجوء إلى التدليس والكذب تاراتٍ أخرى - بإيجاز على النحو الآتي:

النموذج الأول:

تعرض فيه الكاتبة وصفاً سيئاً لنساء السلطان القعيطي في شبام على لسان زوجهن السلطان نفسه حين وصفهن بأنهن: «عاجزات عن فعل شيء سوى التبرج والمشاجرة»^(٢١).

معلوم في اللغة أن اسم الاستثناء يُخرج ما بعده عن حكم ما قبله في الحدث، بهذا يخرج التبرج والمشاجرة، عن العجز الذي وُصفت تلك الزوجات به، ومنه إثبات هاتين التهمتين عليهن، (التبرج + المشاجرة)، وهو اتهام خلقي خطير يمس العرض في مجتمع محافظ كالمجتمع الحضرمي، ولا سيما أن يصدر عن شاهد قريب من داخل بيت الزوجية (الزوج)، وإن كان في عُرف الأجانب لا يرقى إلى مستوى الاتهام، لكن مكان الوصف،

هذه الصورة السامية للزوجة الحضرمية، وإن بدت كذلك في نهج أسلوب البناء التصويري، فهي في حقيقتها صورة هلامية وهمية كما يؤكد بحثنا؛ شأنها في ذلك شأن كل صور البناء الموهوم الذي يتدثر بالهدم مباشرة، كاشفاً حقيقة جوهره الموهومة، مباشرة بعد كلمة شبام في السياق السردى السابق يتحوّل البناء الوصفى إلى هدم، وقدح في تلك المرأة أو الزوجة نفسها، ومما يزيد من عمق هدم هذا البناء؛ حين يحمل الزوج نفسه معول الهدم لذلك البناء الشامخ المرسوم، حين تسلمه الكاتبة دفة الوصف، قائلةً على لسان السلطان متحدّثاً واصفاً زوجاته: «يشبهن الخادومات ويعملن للحصول منا على كل ما يمكن لهن أن يحصلن عليه، لا توجد لديهن اهتمامات في أملاك الزوج؛ لأنهن يعرفن بإمكانية التخليّ عنهن في أي وقت من الأوقات»^(٢٠) (هدم).

ألم ينسف هذا السياق الوصفى السياق السابق برُمته؟! عن المرأة أو الزوجة الحضرمية؟! بل يسقطها من مكان عال جداً لتغرق في عمق المهجاء، فتؤكد وهمية صورة البناء السابقة وهلاميتها، ولا أدلّ على ذلك فيها من قبورها بمبدأ التعدّد - فإن مرحلة البناء لا تعدو كونها نقطة يبدأ السياق هدمه من ذروة علوّها، بل تجاوز الأسلوب - نكايّة - إسناد الوصف للزوج نفسه - وفق منحنى عمودي - فإنه يكثر مجتمع الزوجة في كل الزوجات بأسلوب الجمع - بمنحنى أفقي - تصبح فجأة بلا كلمة فاصلة بين السياقين، هذه المرأة السلطانة مجرد خادمة جشعة، لا يشغلها سوى جمع ما استطاعت جمعه من مال؛ لأنها في حقيقة علاقتها الزوجية مجرد متاع زائل بعد حين، ليس لديها فكرٌ ووعي واسع يخونها استيعاب إدارة الأملاك الخالدة الكبيرة، التي يمكن الحصول عليها بعد وفاة زوجها؛ لأنها تدرك أن صلاحية زواجها قد تنتهي في أي لحظة، وهي على الرغم من ذلك فهي بهذه الحال راضية مرضية.

هذه صورة نسوية قائمة شديدة التشويه، حتى وإن صدق الوصف فيها؛ لأنها جاءت بعد صورة ناصعة البياض، وقد جاء في سياقات الكاتبة من المحكيّات ما يكشف اجتهادها



”
ثمة حقد دفين يتكشف في لغة
التوصيفات النسوية الحضرية
عند الكاتبة، وانتقائها هذه الملامح
المشوّهة من بين عددٍ من الملامح
الوصفية المغايرة التي يمكن أن
تبدو عليها صورة المرأة الحضرية،
فحين تقرأ التوصيفات الآتية يتضح
مدى التردد في الانتقاء المشوّه
لمواد الصورة، التي تحاول رسمها
للمرأة الحضرية: كقولها في عموم
النساء الحضريات، مثل:
«... بين كمية من النساء لسن على
قدر كبير من النظافة».
«وسرعان ما جلس حولي مجموعة
من النساء، لم تكن النساء جميلاتٍ
بالطبع عدا واحدة».

كما نلاحظ أن قولها (لي) في نهاية الفقرة المشروحة، تحفر شكاً عميقاً لدى المتلقي بأن السياق الوصفي السابق لهذا السياق، لم يكن صادراً عن لسان السلطان بل الكاتبة من قامت بنسبته إليه؛ ليلعب من المصادقية مبلغاً كبيراً لدى القارئ، وهو أمر يطعن في أمانة الكاتبة وحياديّتها لصالح الانحياز لما تبطنه من شعور مبني على الكره والحقد على الحضارمة، فيتفلّت في سياقات لغتها.

إن ما يشفع للقول بعدم صحة نسبة الصفات السيئة المسرودة عن زوجات السلطان إليه أيضاً، إلصاق السياق النصي صفات قبيحة للسلطان ذاته، وعلى لسانه كـ (الحرامي + الوغد)، ليس هو حسب بل كل الرجال من بطانته، وهو قول لا يصدقه عاقلٌ فضلاً عن سواه، حين قالت على لسان السلطان: «قبل أن أذهب إلى الهند كنتُ وغداً (حرامي)، كهؤلاء الرجال هنا» (٢٧).

وإحالة القول على الشاهد الداخلي تقوي هذا الاتهام، وتكشف عن كره مضمّر في نفس الكاتبة تجاه تلك النساء. لا يقرُّ بحثنا هذه التهمة، ولا يُسلم بها من وجوه؛ أولها أن نص هذا السياق جاء نصّاً طارئاً مُقحّماً على سياق عرضه، ومن جهة أخرى أن الكاتبة تعرض ما يدحض هذا الوصف ويقوّض دلالته في الصفحة ذاتها، وفي الموصوف نفسه (زوجات السلطان)، حين قالت الكاتبة: «إن طريقة الترتيبات التي يتبعنها، على الرغم من التصاقهنّ بحجابهنّ هو لغزٌ بالنسبة لي» (٢٢). وكذلك شهادة إنجرامس تدحض هذا الافتراء حين قال واصفاً النساء الحضريات: «تعيش نساء الأغنياء والطبقات العليا في عزلة تامة، ولا تخرجن إلا تحت حجاب كثيف» (٢٣).

هذه الترتيبات التي تتحدث الكاتبة عنها، هي الأعمال المنوطة بهن، وهو أمر يدحر العجز عن فعل شيء في النص السابق، وتوصيف (التصاقهن بحجابهن) يؤكّد تأكيداً أن الحجاب لا ينفك عن أجسادهن، مما يشكل لغزاً في نفس الكاتبة: كيف تستطيع هؤلاء النسوة القيام بتلك الأعمال دون انفكاك الحجاب؟! وهو ما يدحر تهمة التبرجّج المرسومة في السياق السابق.

ثمة حقد دفين يتكشف في لغة التوصيفات النسوية الحضرية عند الكاتبة، وانتقائها هذه الملامح المشوّهة من بين عدد من الملامح الوصفية المغايرة التي يمكن أن تبدو عليها صورة المرأة الحضرية، فحين تقرأ التوصيفات الآتية يتضح مدى التردد في الانتقاء المشوّه لمواد الصورة، التي تحاول رسمها للمرأة الحضرية: كقولها في عموم النساء الحضريات، مثل:
«... بين كمية من النساء لسن على قدر كبير من النظافة» (٢٤).

«وسرعان ما جلس حولي مجموعة من النساء، لم تكن النساء جميلاتٍ بالطبع عدا واحدة» (٢٥).

«اعتقدن أنني مصابة بالجذام في جميع أنحاء جسدي» (٢٦). من شدة بياضها، وجهل النساء الحضريات ببياض كهذا، الأمر الذي نحا بالتوصيف القدحي في أسلوب خطابها السردى إلى منحى فكري عن منح شكليّة جسدية.

إن هذا التضارب السياقي في الوصف يضعنا أمام حقائق تتكشف لغتها؛ تبوح بمضمرة مشحونة كرهاً ومقتناً للصورة الحضرمية في مجتلاها الإنساني بشتى مكوناته، والاجتماعي والثقافي، والجغرافي والتاريخي؛ لدى كثير من الكاتبين الأجانب، و(بنت) أنموذج منهم، الأمر الذي يجعلنا نعي أننا أمام محاولات تشويه ممنهجة بأساليب محسوبة ومدروسة، من لدن أهل الخبرة في التأليف، والعاملين على رصد حركة التاريخ في العالم أجمع، والجزيرة العربية وحضرموت على وجه الخصوص، لعلنا لا نكون مبالغين في الإنكار إذا ما وقف تلقينا مجاهلاً للمسردات التي أعطت الكاتبة فيها حق السرد للزوج، في ما مضى من محكيّات مسرودة.

ثمة تغذية راجعة، وثقافة مسبقة جاءت الكاتبة إلى حضرموت محملةً بها تجاه الجنس البشري الحضرمي، لعل هذه التغذية مثلت عائقاً حقيقياً أمام ملامسة حقائق البحث التاريخي الحضرمي المجرد عن كل موجّهات خارجية، ترسم نتائج مسبقة قارة في وعي الباحثة، الأمر الذي يؤكد على عدم الوصول إلى رصد دقيق لملامح الحضارة المدفونة في العمق التاريخي الحضرمي، المحظور على الكشف من لدن سلطات داخلية من جهة، والمغمور بضبابية التغذية الراجعة المسبقة، والمستمدة من خارج جغرافية البحث قبل الوصول إليها، من جهة أخرى.

ليس هذا الطرح إنشاءً من القول، أو ضرباً من التخمين، بل هو قول مبني على تصريح مقدمة كتاب الزوجين (بنت) نفسه، التي كتبها الدكتور أحمد إيش، بأن ثمة قناعة بارتباط أفريقي وعلاقات تاريخية أفريقية تربط جنوب الجزيرة العربية بأفريقيا أسهمت في حركة التاريخ في المنطقتين تأثيراً وتأثراً، قائلاً: «وفي ربيع عام ١٨٩٣م قام الزوجان بنت برحلة خطيرة لمدة أربعة أشهر في شمال إثيوبيا، فبلغا مدينة أكسوم المقدسة، حيث لاحظ بنت مجدداً روابط مع جنوبي جزيرة العرب القديمة، وهي الآن عموماً نظرية مقبولة بين الباحثين. ولقد لقي كتابه عن الموضوع قبولاً حسناً، وعدّ الزوجان بنت

بمثابة الرائدین في حقل الدراسات الإثيوبية... وبعد ذلك في عام ١٨٩٣م اقترحت عليهما الحكومة البريطانية أن "مسحاً لحضرموت بواسطة رحالة مستقل سيكون ذا فائدة مشهودة"، وكانا بطبيعة الحال تواقين لرؤية البلاد التي يبدو أن سكانها قد لعبوا دوراً مهماً للغاية في تاريخ أفريقيا الذي كانا لتوّهما يقومان باستكشاف غوامضه...» (٢٨).

هذا القول يؤكد أن الزوجين (بنت) قد جاء بتغذية راجعة؛ مفادها أن ثمة روابط تربط حضرموت بأفريقيا اجتماعياً، تتكشف من خلال الدراسات البيولوجية للمكان، والجغرافيا السطحية كذلك ينبغي التنقيب لكشف تلك العلاقة، بل ربما كان هذا الموجه هو الهدف القار والأكثر دافعية في مقدم الزوجين بإيعاز سياسيٍّ بحث، متمثل في تكليف من السلطة البريطانية.

بغض النظر عن مدى صحة هذه المعطيات من عدمها - ليس مجال البحث مناقشتها من حيث الصحة والبطلان - فإن هذا الأمر قد ألقى بظلاله على آلية البحث والتنقيب في حضرموت، والانزياح عن حيادية البحث العلمي المفرغ من إملاءات عقلية مسبقة، حيث جاء الزوجان (بنت) بعقلية موجّهة نحو المنطقة، وكان اختيارهما ليس لأنهما الأفضل لهذه المهمة من حيث براعة التنقيب والاكتشاف، بل هو اختيار من السلطة الموجّهة لرحلة الاستكشاف (السلطة البريطانية)، للقيام بهذه المهمة المحددة سلفاً؛ لكونها حديثي عهد ببلاد أفريقيا، حيث كانت الرحلة إلى حضرموت في العام نفسه الذي قدما من رحلتها الاستكشافية إلى أفريقيا، هذه الاستجابة لتلك الموجّهات القوية - سلطويةً ومادياً وسياسياً - تكشف آثارها جلية في ميدان البحث للزوجين (بنت) في حضرموت، من مظاهر هذا التأثير إقامة علاقات مقارنة بين حضرموت وأفريقيا - أرضاً وإنساناً؛ بشرياً وجغرافياً - كما تقول الكاتبة بنت متحدثة عن بقعة جغرافية حضرمية: «إنها لحقيقة غريبة تلك التي تقول بأن الصوماليين جاؤوا من إفريقيا ليجمعوا الصمغ متنقلين بين قبيلة وأخرى من قبائل



”
**جاء الزوجان (بنت) بعقلية
موجّهة نحو المنطقة، وكان
اختيارهما ليس لأنهما الأفضل لهذه
المهمة من حيث براعة التنقيب
والاكتشاف، بل هو اختيار من
السلطة الموجّهة لرحلة
الاستكشاف (السلطة البريطانية)،
للقيام بهذه المهمة المحددة
سلفاً؛ لكونهما حديثي عهد
ببلاد أفريقيا، حيث كانت الرحلة
إلى حضرموت في العام نفسه
الذي قدما من رحلتهم
الاستكشافية إلى أفريقيا**
“

زفاف. ومن أجل تهيئة مكان مناسب للمرح، يقومون بوضع
غطاء من الحصى على امتداد ياردة كما يفعل الحبشيون تماماً،
ولإظهار مرحهن الصاخب، تقوم النساء بإصدار أصوات
قرقرة كما تفعل النساء الحبشيات في مناسبة مشابهة، وهو ما
يسمى في الحبشة «Ululta»⁽³¹⁾.

تكررت الصورة الفنية التشبيهية المتكونة من مشبه حضرمي،
ومشبه به حبشي في سياق الفقرة مرتين، مرة بأسلوب الجمع
المذكر: (يقومون... كما يفعل الأحباش)، ومرة بأسلوب
الجمع المؤنث: (كما تفعل النساء الحبشيات)، وهي تعني في
السياقين الإناث، بلا شك إذ السياق من أوله يتحدث عن
رسم صورة تجهيز مكان احتفالات النساء، والحفاظ على
الستارة التي تحجب رؤية العابرين عن مكان الاحتفالات
التي تكون فيها النساء في كامل زينتهن وسفورهن.

وأحياناً يشير أسلوب السياق من دون التصريح إلى هذه
المشابهة في وصف المرأة الحضرمية، على منهج الكاتبة في
أسلوب البناء فالهدم، كما في قول الكاتبة تصف إحدى النساء

البدو ليشتروا حق هاتين العينتين، حيث كانوا يدفعون
أحياناً مبلغاً كبيراً قدره خمسون دولاراً... في الماضي البعيد...
من خلال ملاحظتي الشخصية سيتبين أنه كانت للأقدمين
صلوات مع حضر موت بشكل كامل تقريباً عبر طريق
القوافل، حيث لا يوجد مطلقاً أي أثر لعصر قديم على طول
الشاطئ، بينما يزخر وادي حضر موت نفسه وفروعه الموازية
بآثار الحضارة الحميرية الغابرة»⁽²⁹⁾.

عند قراءة هذه العبارة: (من خلال ملاحظتي الشخصية
سيتبين أنه كانت للأقدمين صلوات مع حضر موت)، إن
هؤلاء الأقدمين هم المذكورون في بداية فقرة السياق،
(الصوماليون) الآتون منذ الماضي البعيد، يلخص هذا الطرح
ما ذهب إليه بحثنا من توجيه فكري ثقافي مسبق خارجي
مسيطر على استراتيجية الاستكشافات للزوجين (بنت) في
حضر موت، وأن هذه الرؤيا هي رؤيا استباقية قبل البدء في
تحليل حركة التاريخ ودراساتها في هذه الجغرافيا، كما توضح
العبارة ذلك بالحديث عن حكم مقدم لأمر مستقبلي.

هذا على نطاق المقاربة الإنسانية، أما على الصعيد الجغرافي
فهي تتحدث عن العقبة المنحدرة إلى وادي عدم، قائلة: «إن
السمة الخاصة بهذا النجد تسترعي لذاكرتنا بقوة ذلك القسم
من الحبشة الذي زرناه بين عامي ١٨٩٢ م، و١٨٩٣ م...»⁽³⁰⁾.

النموذج الثاني:

ثمة تصورات سياقية مسيطرة على السياق الوصفي للكاتبة
(بنت) تقارب بين صورة المرأة الحضرمية والمرأة الحبشية،
نابعة من تكثيف الحضور الأفريقي في عقلية الباحثة نحو
حضر موت أرضاً وإنساناً؛ ولأن مساق البحث كان يشرح
أسلوب البناء فالهدم في رسم الصورة الحضرمية في سياقات
الكاتبة اللغوية، فإن الحديث عن صورة المرأة الحضرمية في
هذا النهج هو من جرنّا إلى هذه الوقفات التي استطرّدنا في
إيضاحها، والآن يمكن إبداء ملامح صورة المرأة الحبشية
صورة للمرأة الحضرمية، منها وصفها لنساء المهجرين قائلة:
«أثناء أيام وجودنا في المهجرين تمت إقامة بعض حفلات

الحضرميات: «كانت تمتلك وجهاً لطيفاً وطيباً وذكياً جداً، لم تكن شفتاها كبيرتين إلى أقصى الحدود»^(٣٢).

فالشطّر الأول من الوصف يشكل مساق البناء: كانت تمتلك وجهاً لطيفاً وطيباً وذكياً جداً (بناء).

في حين يرسم الشطر الآخر من الوصف مساق الهدم (هدم)، حيث يتحول الوصف الجميل المبدي لجمال وجه تلك الفتاة إلى قبح في كبر شفتيها؛ وهو وصف أفريقيّ أوحى به السياق ولم يُصرّح.

ولم يغيب العقل والفكر كوجه شبه جامع بين الحضارمة والأفارقة في أسلوب توصيف الكاتبة، وهي ترسم ملامح الصورة الحضرمية مقارنة بمقاربتها وبين الصورة الأفريقية في تغذية راجعة، تغذت بها من قبل المجيء إلى حضرموت إبان زيارتها وزوجها للاستكشاف في أفريقيا.

سنختتم نماذج تلك المقاربات الحضرمية الأفريقية في أسلوب سرد الكاتبة (بنت) بهذا الوصف الفكري، حين قالت: «... لأن سكان حضرموت جاهلون على نحو يائس بالأشياء الطبية أكثر من القبائل البدائية في إفريقيا»^(٣٣). فما من صورة سيئة الملامح تراءى لها في حضرموت إلا وتثير الصورة الأفريقية الراسخة في عقل الكاتبة الباطن، الأمر الذي يفقد التحليل والبحث في حضرموت من قبلها وزوجها حياديته واستقلاليتها، فيحيد مشوار البحث عن مساره الأبيستيمولوجي العلمي وصولاً إلى حد الافتراء والكذب أحياناً، وهي تترصد الإساءة والتشويه في رسم ملامح صورة المرأة الحضرمية وإن صدقت! - حتى نكون على قدر من الأمانة العلمية - في بعض الأوصاف.

ثمة صورة للنساء الحضرميات يرسمها سياق البناء فالهدم، بقدر ما تتجسد فيها هذه الآلية التصويرية، كمنهج متبع في أسلوب الكاتبة، بقدر ما يتجلى مبدأ التغذية الراجعة وأثره في رسم ملامح الصورة المشوهة للمرأة الحضرمية بعمومها، فكانت التغذية الراجعة هذه المرة ثقافية تتمثل في صورة فنية مشوهة مكتنزة في مخيلة الكاتبة، تحاول إسقاطها على النساء الحضرميات؛ لتمضي في منهجها، واصفة نساء صيف بمنطقة دوعن: «ترتدي هذه النساء أثوابهن مرتفعة إلى الأمام (حيث

يظهرن أرجلهن الملونة بالأصفر فوق الركبة)، وطويلة من الخلف، وهي قطنية باللون الأزرق الغامق، مزينة بتطريز جميل وأجزاء صغيرة من اللون الأصفر والأحمر، مخاطة بقطع من القماش. وهو الثوب النسائي السائد في حضرموت، ويبدو بأن هذا الزي السائد لم يتغير منذ الأيام التي استقر فيها الجد حضرموت Hazarmaveth في الوادي الذي سمي باسمه»^(٣٤) (بناء).

سنمضي مع وجهة الشاء على زي المرأة الذي حاولت السياق رسمه هنا بصورة جميلة، من حيث ظهور عدد من الألوان (الأصفر والأزرق والأحمر)، والتطريز الجميل، والذيل المجرور من الخلف، وأصالة اللبس العائد إلى الجد حضرموت - كما تقول - وننظر إلى هذه القطعة الثرية النسوية من منظار متفائل وجميل، وهو نهج بنائي هنا في رسم هذه اللوحة اللباسية. لكننا سنرى السياق يتحول إلى هدم هذه اللوحة الجمالية الشكلية حين قالت في السطر التالي مباشرة؛ وهي لا تزال تسرد الوصف التصويري لهذه اللوحة النسوية الملونة والمطرزة الأصيلة: «إن قبعة القش الطويلة مستدقة الطرف التي ترتديها النساء في الحقول تساهم مع القناع لتجعل النساء الحضرميات مثيرات للنفور، بمظهرهنّ الخارجي بقدر ما يرغب معظم الأزواج الغيورين»^(٣٥) (هدم).

لا يقف سياق الوصف عند مجرد تشويه مظهر المرأة هنا إلى حدّ النفور، بل يتجاوز ذلك إلى عدم ثقة أزواجهن بهن حتى قاموا بتشويههن عمداً - من دافع الغيرة - بهذا اللباس الذي لم ترفيه سوى عوامل تشويه ونفور مجتمعة، فكانت تلك الغاية من هذا اللباس؛ جهلاً بفوائده في حماية الجسد من حرارة الشمس، سواءً (البرقع) الذي رأته قناعاً منقراً، أو (المظلة) التي صُنعت من سعف النخل بآلية هندسية تكسر حدة سقوط أشعة الشمس القوية على الرأس.

فبدت غاية الهدم هنا قيمة أخلاقية سلوكية، وإن لبست لبس الشكلي في الملبوس، فإن الغيرة وعدم الثقة الأخلاقية كانت عناصر حاضرة بقوة في استمرار نهج أسلوب البناء



ثمة تصورات سياقية مسيطرة على السياق الوصفي للكاتبة (بنت) تقارب بين صورة المرأة الحضرية والمرأة الحبشية، نابعة من تكثيف الحضور الأفريقي في عقلية الباحثة نحو حضرموت أرضاً وإنساناً

أي هدم للملامح اللوحة الجميلة - السابقة في سياق البناء -
أكبر من هذا الهدم؟!

إن هذه القراءة الثقافية والتاريخية للكاتبة - في تحليلها
لتوصيف سير جون ماندفيل - قراءة بعيدة عن الأمانة
العلمية؛ كونها بنت تحليلها على تصور مسبق بلا دليل، وقبل
دراسة الظاهرة المعروضة أمامها، والتوصل إلى نتائج من
خلالها، فكان عليها أن تتقن خطوات منطقية، يفضي كل
منها إلى الأخرى، عن طريق النهج الأبستمولوجي^(٣٧)؛
أو ما يسمى بالنظام المعرفي المحايد؛ بغية الوصول إلى نتائج
عقلانية منطقية، مجردة من الجهورية الأيديولوجية، أو السياسية.

إن صورة ثوب المرأة الحضرية من الأمام إلى فوق الركبة،
هي تلك الصورة المحفورة في ذهن الكاتبة عن نساء بابل
الموصوفات؛ لأن التاريخ والواقع الحضري يكذبان إصاقتها
بالحضرميات، فهي صورة ليس من تصويرها الواقعي
المحايد، بل من مكنوزها الثقافي، الذي جاءت تسقط القبيح
منه هنا على المرأة الحضرية.

والملتبس للكاتبة عذراً سيقول ربما قصدت إلى فوق
الكعبين، سنقول إن هذا هو الصحيح، وهو الأصل في الثوب
النسوي الحضري، وقد تعي الكاتبة ذلك جيداً، لكن تعصبها
لإصاقتها بقية السمات القبيحة في الصورة البابلية حتم عليها
إصرارها على إبداء الثياب من الأمام إلى فوق الركبة؛ إذ تشفع
هذا الوصف بوصف آخر، في مكان حضري آخر بالإصرار
على إصاقتها الصورة ذاتها، الأمر الذي يقطع على ملتبس
العذر عذره، حين قالت واصفة نساء من القطن: «لم تكن

فالهدم، في التحول عن الشكلي الظاهر إلى المعنوي الباطن.
أما ما عنيناه قبل الولوج في هذه الصورة من التغذية الثقافية
الراجعة التي توجه مسار السرد التاريخي لدى الكاتبة،
فتخرجه عن حياديته كثيراً كما أسلفنا في قضية الموازنة بين
الحضري والأفريقي سابقاً، غير أنها هنا نحت بالوصف
السردى إلى مرحلة خطيرة هي مرحلة الكذب والافتراء،
حين ادّعت أن ثياب النساء الحضرميات من الأمام إلى فوق
الركبة. فوضعت هذه العبارة بين قوسين مترصدة تأكيدها:
(حيث يظهرن أرجلهن الملونة بالأصفر فوق الركبة).

لقد حصرت هذه العبارة مؤكدة عليها؛ لكي تتطابق مع
قصة سابقة قرأت عنها، تبدو فيها النساء بهذه الهيئة،
فأسقطت تلك الصورة الثقافية المكتنزة في مخيلتها على هذه
الصورة الحضرمية، ولم تقل إنها تشبهها، بل أكدت أنها هي
بعينها، قائلة: «أنا متأكدة تماماً بأنه هو الثوب نفسه تماماً الذي
ترك انطباعاً غير مستحب عند سير جون ماندفيل John
Maundeville عندما رأى "النساء الكدرات اللواتي
يعشن بالقرب من مدينة بابل العظيمة" يقول: "كساؤهن
منفر. وهن يمشين حافيات مرتديات أثواباً بغليضة كبيرة،
وعريضة لكنها قصيرة إلى مستوى الركبة...»^(٣٦).

هذا السياق الوصفي متمم لأسلوب الهدم السابق، لكن
الأهم من ذلك المقارنة بين السياق الثقافي لهذه الصورة
المرسومة سلفاً في ذهن الكاتبة، والتي أسقطتها من بابل إلى
حضرموت، في أسلوب لا يوحى بمجرد مشابهة بين طرفين،
بل تؤكد على أنها مماهاة بين اللوحتين، حين قالت: (أنا +
متأكدة + تماماً + بأنه + هو + الثوب + نفسه + تماماً)، فلنلاحظ
بدقة عدد المؤكّدات التي تسبق عرض اللوحة، والتي تحتم
على القارئ تصديقها، ثم لنقرأ صفات الدمامة التي ساقها
ماندفيل، والتي صارت هنا صفات للنساء الحضرميات:
النساء الكدرات / كساؤهن منفر / يمشين حافيات / مرتديات
أثواباً بغليضة، كبيرة / عريضة / لكنها قصيرة. فاستعارت
الكاتبة منه وصف النساء بالمنفر، في العبارة السابقة.

”إن هذه القراءة الثقافية والتاريخية للكاتبة - في تحليلها لتوصيف سير جون ماندفيل - قراءة بعيدة عن الأمانة العلمية؛ كونها بنت تحليلها على تصور مسبق بلا دليل، وقبل دراسة الظاهرة المعروضة أمامها، والتوصل إلى نتائج من خلالها، فكان عليها أن تتقن خطوات منطقية، يفضي كل منها إلى الأخرى، عن طريق النهج الأبيستيمولوجي“

هناك صعوبة في رؤية الخلاخيل الذهبية التي تلبسها النساء متخذة شكلاً حسناً فوق ركبهن...» (٣٨). هذه صورة قبيحة في مجتلاها السياقي المعروف.

بلا شك نحن نفهم أنها فوق الكعبين؛ لأنه المكان الذي يوضع فوقه الخلخال عند المرأة الحضرية، لكن ارتكانها السابق إلى ثقافة مسبقة شوه نهج سردها التاريخي، إلى تقديم معلومات مكذوبة أو مغلوطة، أصرت على تكرارها مراراً، كما هو جلي هنا؛ لأن قولها فوق الكعبين سيحرف الإسقاط البابلي السابق برؤيته عن المكان المسقط عليه؛ (المرأة الحضرية)، وهو الأمر الذي تجتهد الكاتبة في إثباته لانه.

صورة الرجال والنساء معا:

وقد يجمع أسلوب البناء فالهدم في تصوير ملامح الصورة الحضرية البشرية عند الكاتبة (بنت) بين الرجال والنساء في مستوى واحد، في وجهة نحو إبداء مكوّن اجتماعي كامل مشوه الصورة، ينطلق هذا التشويه من أسلوب البناء بالثناء والمديح والوصف الجميل - كعادة الأسلوب السياقي لدى الكاتبة - منه قول الكاتبة تصف أناساً قرب منطقة (عذب) بحضر موت قاتلة: «كان الناس ودودين حقاً، قلنا لأنفسنا، على الرغم من تجمهرهم حولي ليشاهدوا "الامرأة". ذهبت إلى بعض النساء المتجمعات على مسافة قصيرة ولم يكن هناك أية مشكلة طالما أننا وقفنا هناك. غادرنا قبل أن تأتي الجمال ونسمع بأنه قد تم استقبال بقية الفريق بطريقة سيئة جداً، تم إلقاء الحجارة وتعالّت الأصوات هاتفية "خنازير! كفار! كلاب! ترجلوا عن جمالكم وسنقوم بذبحكهم"» (٣٩).

في هذه الفقرة يبدو تحول في مستوى سياق السرد الوصفي بعد كلمة (هناك)، فيجسد الشطر الأول مرحلة البناء، في الوصف وهو وصف يتبدى فيه مدى رقي الناس؛ (رجالاً ونساءً)، وأنهم كانوا ودودين، لكن فجأة يلتفت أسلوب السياق الوصفي بالسرد إلى وجهة مغايرة أسماها البحث (الهدم)، الذي يوضح استقبالا قاسياً جداً، تجاوز مرحلة اللغة

والشتم إلى رمي الحجارة، والقذف بألفاظ حيوانية: خنازير: كفار/ كلاب. ثم التهديد بالذبح.

فكانت صورة البناء تمثل لوحة سطحية مظهرية كالعادة؛ في التجمهر لرؤية المرأة الجميلة، لكن صورة الهدم تعمقت نحو الباطن لدى الموصوفين حتى بلغت مكنن الاعتقاد والبعد الأيديولوجي، في توصيف (كفار)، وإن بدا التوصيفان الآخران حسيين (الخنازير + الكلاب)، فهما صورتان مستعارتان للتعبير عن الصورة الجوهرية (الكفر) في الوعي الجمعي للمهاجرين.

فمثلت لفظة (هناك) في السرد المدروس، مرحلة برزخية بين مرحلتين البناء والهدم، على النحو الآتي:

(بناء) (هناك) (هدم).

تُغيّر هذه الصورة الصور السابقة في أنها تنبني على سرد ترسمه حوادث تاريخية على أرض الواقع، وليس إنشاءً فنياً يعكسه الصوت السارد في الموصوف، قد تصدق مبالغتها فيها، وقد تكون المبالغة طابعاً تريبياً في وصفها، كما كشفت السياقات السابقة وهي كثيرة. لسنا هنا بصدد التكذيب الكلي، أو القبول الإجمالي بما سرّد؛ لمعرفتنا بالأيديولوجية القارة في الوعي الجمعي الحضري قاطبة؛ في عدم قبول كل من هو على غير دين الإسلام، وإقامة أي علاقات تواصلية معه، بدافع الخوف من الانجرار والتأثر بسدينه، وهو الأمر



١١ إن صورة ثوب المرأة الحضرية
من الأمام إلى فوق الركبة، هي تلك
الصورة المحفورة في ذهن الكاتبة
عن نساء بابل الموصوفات؛ لأن التاريخ
والواقع الحضري يكذبان إصاقها
بالحضرريات، فهي صورة ليس من
تصويرها الواقعي المحايد، بل من
مكنوزها الثقافي، الذي جاءت تسقط
القبيح منه هنا على المرأة الحضرية
١٢

الذي ذكرته الكاتبة في أكثر من موضع، الأمر الذي يجعل كلمة الأرض المقدسة، أو المكان المقدس - تهكماً - ترد في سياقات شرحها للحديث عن المجتمع الحضري في أكثر من موضع، لكنها لا تعزو هذا الانقطاع مع غير المسلم إلى الخشية على الدين، بل تعزوه إلى التعصب الديني، وهو الأمر الذي يجعلنا دائماً نقيم سياقاتها بالمنظور ذاته جزاءً وفاقاً، على قاعدة (كل إناء بما فيه ينضح)، فهي تقول واصفة الحضارة في أثناء زيارتهما لمدينة شبام: «هناك حقيقة قائمة، هي أن الدين والتعصب متأصلان في الشعب الحضري، حيث يتعذر أي شيء، مثل إقامة علاقات ودية مع الناس شيئاً بما يقارب المستحيل حالياً» (٤٠).

الهوامش:

- ١٩- السابق: ١٥٤.
- ٢٠- السابق: ١٥٤-١٥٥.
- ٢١- السابق: ١٥٤.
- ٢٢- السابق: ١٥٥.
- ٢٣- حضر موت (١٩٣٥-١٩٣٥)، دبليو إتش إنجرامس، تعريب د. سعيد عبدالحير النويان، ط (١)، ٢٠٠١م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ص ٥٨.
- ٢٤- جنوبي جزيرة العرب: ١٥٩.
- ٢٥- السابق: ١٥٩-١٦٠.
- ٢٦- السابق: ١٤٧.
- ٢٧- السابق: ١٥٥.
- ٢٨- السابق: ٨-٩.
- ٢٩- السابق: ١٢٦.
- ٣٠- السابق: ١٢٨.
- ٣١- السابق: ١٣٨.
- ٣٢- السابق: ١٦٠.
- ٣٣- السابق: ١٥٦.
- ٣٤- السابق: ١٣١-١٣٢.
- ٣٥- السابق: ١٣٢.
- ٣٦- السابق: ١٣٢.
- ٣٧- ينظر، تكوين العقل العربي، د. محمد عابد الجابري، ط (٨)، ٢٠٠٣م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: ٢٤.
- ٣٨- جنوبي جزيرة العرب: ١٦٠.
- ٣٩- السابق: ١٤٣.
- ٤٠- السابق: ١٩٧.

ثمة موجّهات حضرية تحول دون إقامة تلك العلاقات، لكن انفتاح هذا التوصيف على مصراعيه (... مثل إقامة علاقات ودية مع الناس) يحفز القارئ على إعطاء الحضارة كل العذر، لا سيما في ظل مستوى الوعي البسيط السائد لديهم في تلك الفترة، أن يخافوا من تقصّد مدرّوس لخلق هذا التقرب للتواصل، وإن تنوّعت أهدافه من قبل المستكشفين، وإن كان أكبر هذه الأهداف الحصول على أي معلومة تقود لوسيلة تسهم في الوصول إلى الغاية الأسمى للرحالة، المتمثلة في الوصول إلى قبر نبي الله هود، وبئر برهوت، كما صرّحت سياقات الكاتبة في أماكن كثيرة من كتابها.

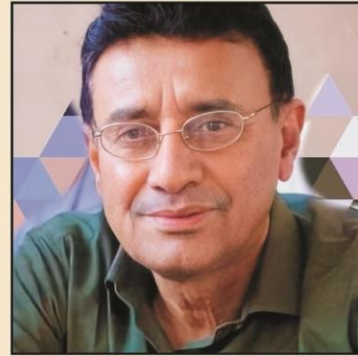
لكن قولها: (حالياً) في خاتمة الوصف ترسم أملاً باحتمال تحقق ذلك مستقبلاً، حتى لا ييأس المستكشفون من بعدها، من ذلك فلا تبقى حال على حالها مع مرور الزمن، هذا الأمل في لغة السياق بلفظة (حالياً)، بعد كل التأكيدات على استحالة الأمر من مثل: التعميم في: (يتعذر أي شيء)، و(بما يقارب المستحيل)، ينبع عن إيمان أن لدى المستكشفين إيماناً يقهر المستحيل في سبيل الوصول إلى الغايات التي يسعون إليها، والقارئ لمحاولات الوصول إلى شرق تريم من لدنها وزوجها يؤمن كذلك بذلك.

بين مثالين

لا ريبَ في أنَّ الأمثال التي ضربها الله سبحانه وتعالى للناس بهدف التفكير والتدبر، والعودة إلى تقويم السلوك البشري، ومعرفة المسارات الحقيقية؛ لتجنب المعاصي، وصولاً إلى عمارة الأرض، والفوز بالجنة، والله أعلم.

إنَّ مختلف المراحل التي مرَّتْ بالإنسان الحضرمي وما كابده من ضنك وكند المعيشة وموجة المجاعة التي أجبرته على ركوب البحار وتحمل مخاطر قحالة الصحارى، لعلها سببٌ من الأسباب التي دعت إلى إسقاط الأمثال السلبية المحبطة لفطرته في حبه للعمل، وما يمتاز به من روح المبادرة للتسامح والجنوح للسلم ومحبة السلام وتجنب المشاكل، وهي خصال روحية تفتقدها مجتمعات كثيرة.

إنَّ الأمثال أحد أهم صور محاكاة المجتمعات وأبرز تجلياتها، بل هي تعكس المفهوم الثقافي الذي وصل إليه الفرد بين جماعة من الناس وما أفرزته بيئته من مظاهر وسلوك وقيم، مالت ميلاً خفيفاً عما كان سائداً ومعمولاً به في فترة زمنية محدّدة، فاتخذوا من الأمثال المتفوّه بها من أي فرد حتى وإن صنفوه أو وصفوه بالجنون؛ فإنَّ ما يخرج من بين فكّيه ما هو إلا محاكاة من عالم غير العالم الذي كان يعيش فيه مع عقلاء زمانه، فيؤخذ بما يقوله دون تحرّج وحياء، ويصبح محلّ التناول ومضرب الأمثال إن كان في الحرب والسلم / الشجاعة والخوف / القوة والضعف / بل في تغيير كثير من مواقف الشعوب، بما تقتضيه مرحلة ما من الخنوع والتسليم وعدم المقاومة.



سليمان مطران

قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَلِكِ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

كُنْتُ من جُمْلَةٍ من حَظِي بِشرف حضور الفعالية الثقافية الصباحية "الأبعاد الثقافية والاجتماعية للأمثال الحضرمية"، التي نظّمها مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، بالتنسيق مع نادي المعلم بسيئون، الخميس قبل الأخير من شهر أكتوبر ٢٠٢٣م.

وبالعودة إلى الآية المباركة أعلاه، مستنبطاً لا مفسراً، أنَّ الأمثال في مجملها تدعو الناس إلى التفكير والسعي لإحياء الهمم، وتجاوز الهموم الناتجة عن مشاكل مجتمعية، يسهم في صناعتها الإنسان نفسه ممارسةً وتثبيتاً.

إنَّ ضرب الأمثال في سياقها المجتمعي يدعو إلى الإيجابية، لا إلى السلبية، وإلى التحفيز، لا إلى التحبيط، كما هو الغالب اليوم في الضرب والاستشهاد بها.



المجتمعي، وبروز مظاهر الترف الطّاغي على فئة دون فئات أخرى، وأدعو الله ألا تكون رفاهية الفرد دعوة مرتباً لها لإحياء مفهوم الصراع الطبقي، وغياب المساواة في المواطنة، ونحن على مشارف البحث على الهوية الحضرمية المختطفة منذ عام ١٩٦٧م.

ومن أبرز دلالات المثل الحضرمي (قع ذره وكل سكر) على لسان الدكتور الفاضل / عبد القادر باعيسى:

- مجتمع مغلق على نفسه، لا يكون له تأثير غير متفاعل مع قضايا مجتمعه.

- ظهور مكثف غير مرغوب فيه.

- العيش على أنساق طبيعية لا يحدث فيه فاعلية تغير.

- وظيفة الأكل مع تحمل "الدّوس".

- النمل يأكل في الحياة أشياء جميلة "حلويات" دون أن يقدم شيئاً.

- ديدنه الأكل فقط.

- يقوم بتدريس الأشياء وتلوّثها وتوسيعها من حوله.

- هذا النمل يجب أن يموت.

الجميل في مناقشات الحضور الصراحة وصدق الطرح، والأجمل قبول ذلك، فعكس علو قيمة المفهوم العلمي لديهما (باعيسى والجعيد)، فمداخلات الحضور عكست إيجابية الأمثال، وتغييرها للسلوك الإنساني، وقوة ارتباطها بالحياة، بما تمثله من فروق في الاستشهاد بين الكناية والأمثال.

إنّ ما تم تناوله في الفعالية الثقافية الصباحية هما مثالان من بين ركام الأمثلة، بل من بين آلاف من الأمثلة الحضرمية:

١ - (كلين يجمر على قرصه)

للأستاذ الدكتور / عبدالله سعيد الجعيد، رئيس مركز حضر موت، مُنشدًا الفرق بين القول المأثور والمثل، شارحاً فكرة المثل، وتطورها، وارتباطها بالبيئة الاجتماعية للإنسان. فمَثَلُ (كلين يجمر على قرصه) تم إسقاطه (سلبياً) على حُب الذات في الأنانية المفرطة ولو على حساب القيم والمبادئ،



التي كان يُنادي بها شخصاً ما، ضارباً بها عرض الحائط في سبيل أن يعيش في رغد ورفاهية، لا يابَهُ بمن حوله ممّن كانت أكتافهم سلماً لصعوده، فتنگر لهم معروفهم معه.

تساءلت: (لم لا يكون هذا المثل حاملاً لـ "الإيجابية" في زمن المجاعة، ويعكس الحالة الاقتصادية في تلك الفترة؟)

بمعنى: (كلين يجمر) بما يملكه من أنواع الجُوب، وبما يسد رمقه، ويُقيم صُلبه، و"المثل" دعوة للتقشّف دون الإسراف.

٢ - (قع ذره وكل سكر)

فيما تناول الدكتور / عبد القادر علي باعيسى المثل الحضرمي القائل: (قع ذره وكل سكر)، معرّجاً على ما يقارب أحد عشر مدلولاً، بأبعاد مختلفة، وبمنظرة أيضاً (سلبية)، غير أنّ رأيي الشخصي في إسقاط السلبية على أمثالنا الحضرمية نتاج مظاهر الإحباط المستمر في واقع مسارات الحياة والسلوك

أديبة ناظمة تسأل الحافظ السخاوي



طارق بن محمد
سكلوع العمودي

إنها للسيدة الأديبة الناظمة المجاورة لبیت الله: فاطمة المدعوة (ستينة)، وربما يقال لها (ناجية)، ابنة القاضي كمال الدين محمود ابن ... ابن شيرين الحنفي.

ولدت بالقاهرة سنة (٨٥٥هـ)، والذي يظهر أنها قبل ذلك كما علق السخاوي. ونشأت فتعلّمت الكتابة وما تيسر.

وتزوجت الناصري محمد بن الطنبغا، واستولدها ابنتها فاطمة وغيرها؛ ثم مات عنها؛ فتزوجها العلاء علي بن محمد بيرس، حفيد ابن أخت الظاهر برقوق؛ فاستولدها بيرس.

عرفت بيراعتها في النظم؛ وحسن فهمها؛ وقوة جنانها؛ حتى كانت فريدة فيما اشتملت عليه.

ولها مكاتبات إلى جماعات من الأدباء والأعيان والأكابر.

وقد حجّت سنة (٨٨٤هـ) حج الملك؛ ثم في سنة

(٨٨٦هـ)؛ ثم في سنة (٨٩٤هـ) وهي السنة التي جاورت فيها

مكة بوجود الحافظ السخاوي المجاور كذلك؛ ثم في سنة

(٨٩٦هـ) مع ابنها؛ وجاورا في التي تليها.

قال السخاوي: (ولما كتبت إليها لتخبرني بمولدها وبعض

حالتها؛ كتبت إليّ بما نصه: وأما ما أراده المولى في بيان أمر

هو به أولى؛ فذلك منه جود أو فضل. فإنني لست لذلك

أهلاً؛ لكن إذا رأى سيد أن يرفع عبده فعل؛ ويرقى به أبداً

أعلى محل).

ولم يذكر الحافظ السخاوي سنة وفاتها، فلعلها كانت بقيد

الحياة حال ترجمته لها.

ويؤيد هذا من أن العيدروس في "النور السافر" قد ترجمها

وذكر وفاتها في سنة ٩٤١هـ في القاهرة (٢).

هذا كل شيء عن ترجمتها؛ ولكن عدد صفحات الترجمة

في المطبوع من "الضوء اللامع" أكثر من خمس صفحات؛

لقد كانت المرأة المسلمة وما زالت في جميع أدوار التاريخ الإسلامي لها دورها المتميز المبارك في الحركة العلمية والأدبية.

ولقد أُلِّفَت المصنفات المتخصصة في إبراز ذلكم الدور من النساء المسلمات العالمات (١).

وكان العصر المملوكي شأنه شأن العصور الإسلامية السابقة له واللاحقة كذلك؛ له نصيبه في ذلك.

وكنت قد جرّدتُ - والله الحمد - منذ فترة وجيزة الكتاب

الضخم الفخيم (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) للحافظ

المؤرّخ المحدث الجوّال المتفتّن شمس الدين السخاوي

المتوفى سنة (٩٠٢هـ).

جرّدتُه بقراءة فاحصة متأنّية؛ فاستخلصتُ جواهره وشوارده

ودُرّره، وكنت كلّما وفقني الله عز وجل من ختام كل مجلد؛

أرفقت الأوراق المستخلص فيها بقلمي شوارده وفوائده

على (الواتس اب)، مشاركاً إخواني وطلبة العلم تلکم

الجواهر والدرر احتساباً في نشر العلم والمعرفة والثقافة.

ولقد وجدتي في المجلد الأخير منه؛ الخاص بتراجم النساء؛

منجذباً نحو ترجمة تستحق أن تفرد فوائدها وشواردها في

مقالتنا هذه؛ خصوصاً أنني لم أقف على من تعرّض لها بتوسّع

كما هو هنا؛ والله أعلم.



وعقبك تجرع الصبر على المكروه مسبب لطمأنينة النفس
ورضاها بما أوقعه مولاه، ويكون في تواليه لذلك مخففاً لألمه؛

منزلاً له منزلة ارتفاعه وعدمه؛ لألفه له وترجيه به لكل ما أمّله.

ولذا حفت الجنة بالمكاره^(٤).

والتشاغل بالأولاد والأذكار الصحيحة الإيراد، والعبادة
والزهادة مانع من استرسالها في هواها؛ سيما مع النظر في الآيات
والأخبار الواردة النبويات، المرعبة في الصبر. التي منها
بشارة الله سبحانه للقائمين فيه بما أمرهم به بهدايتهم للجنة
والتواب والحق والصواب، وقوله: (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ)^(٥).

ولا أنفع في ذلك من مصنفي "ارتياح الأكباد"؛ فهو غاية في
الاعتماد؛ بل مرهم للقلوب والأجساد.

ثم إنه لا مانع فضلاً من ارتفاع المكروه أصلاً مع الإثابة إن
وجدت الإنابة؛ فالمصائب مفاتيح الأرزاق، والصبر عقباه
الفرج، وعند التناهي يكون الفرج.

وربما يكون الفرج بالقدم على الله سبحانه؛ وتعويضه
بالفضل الحزيل، والفعل الجميل؛ مما هو أعظم مفروح به.

ولكن الدعاء بطول عمر السائلة للازدياد من الخيرات،
والاجتهاد في الفضائل المتكاثرات، الموجبة لجلب المسرات،
وسلب المضرات من المهمات. على أن قول الشاعر (مداها)
لا يتمحّض للكثرة وإقامة الأمد الطويل؛ فقد يكون مداها
الذي قدره الله تعالى للمصائب لحظة أو نحوها.

كما إنه لا يتمحّص تولت في اضمحلت؛ لما قرّرناه،
وحينئذ يخف الاستشكال المقتضي للسؤال المفتقر
للرجال، والله المستعان، وعليه التكلان.

قاله وكتبه السخاوي محمد بن عبد الرحمن؛ راجياً الستر
والغفران، متوسلاً^(٦) بسيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم
تسليماً كثيراً.

ثم كتبت إلي سائلة أيضاً بقولها:

ولكن العجب يزول بأن أكثر ترجمتها كان في إيراد نظمها في
مناسبات متعدّدة حري بالوقوف عليها.

زاد العيدروس بأنها: (جمعت نظمها في عدة كراريس).
وسنرى وتندوق شيئاً من نظمها وأدبها من خلال استفتائها
وسؤالها للحافظ السخاوي في حادثتين هما:

- الأولى: عندما أتكلت ابنتها؛ وصادف مطالعتها لكتاب:
"ارتياح الأكباد" للسخاوي.

- الثانية: عندما أتاهما ما يأتي النساء فور ذهابها لمكة لحج
أو عمرة.

وجواب السخاوي البديع الأدبي الفخيم عليهما.
والآن نأتي على المقصود؛ وإن كان لنا تحقيق أو تعليق
جعلناه في الحواشي.

قال الحافظ السخاوي:

ومنه حين طالعت كتابي "ارتياح الأكباد"^(٣)؛ لتتسلى عن
ابنة أتكلتها؛ سائلة عن شيء من الأبيات التي أوردتها فيه؛
فقلت:

يا إماماً قد حاز علماً وفهماً وله في الورى محاسن جلت
مارأي الشاعر اللبيب بقول جرح القلب والدموع استهلّت
فاضطرب وانتظر بلوغ مداها فالرزايا إذا توالّت تولّت
أي توالّت له بعين استقامت أو توالّت عنه بعين اضمحلت
لم أطق سيدي بلوغ مداها ضعفت قدرتي لذلك وكلت
أخبروني عن نطقه ببيان نلت أجراً ورتبة قد تعلت
لا ترخص لما أصبت ولكن كثرت بلوتي وإن هي قلت
وكذا النفس نالها ما دهاها فاشمأزت وبعد عز فذلت
بنت عبد لعبدكم يا مفدى طربت في مصنف وتملت
تسأل الله أن يزيدك فضلاً بحبيب له الغمام أظلت
فقلت: يا بديعة المعاني، ورفيعة المباني، ومن فاقت الكثير
من الرجال، فضلاً عن النساء، وراقت أبياتاً فحاكت الخنساء؛
حفظ الله دينك ودنياك، وأراك كل محبوب في بنيك.



يا أيها الحبر وبحر الندى يا حافظاً نقل حديث قديم
يا منحة في دهره لم يزل ممتدحاً من كل فاء وميم
يا غاية الآمال يا منيتي يا من به أضحي غرامي غريم
يا شمس دين الله يا من غدا بكل علم في البرايا عليم
ويا سخاوي يا إمام الورى من خصه الله بعلم جسيم
أسألك يا شيخ شيوخ النهى ومن حوى في فيه در نظيم
فيمن أتاها عائق عاقبها عن أمل صارت به في حميم
قيامها إذ ذاك يا سيدي بين مقام زمزم والحطيم
في ليلة أخبرنا أنها يفرق فيها كل أمر حكيم
وهل لها أجر الذي قامها وهل يساوي مقعداً مستقيم
وهل ينلها مثل ما نالهم تكرمًا من فضل رب كريم
أخبرني يا منيتي عاجلاً يا من ذكاه فاق فهم الفهم
يا من فتاويه إذا أبررت يكاد ذاهب فهم بها أن بهيم
صلاحك الظاهر بين الورى اتمامه إذ ذاك ببر اليتيم
يهنك شعبان الذي قدره ما زال عند الله قدر عظيم
أحياكم الله لأمثاله تروي صحيحاً نقله لا سقيم
أنتم ومن لا ذبكم في الورى بحق رب بالخفايا عليم
بجاه من أسرى به في الدجى وكان للمولى كليم نديم
محمد المختار من هاشم سيد سادات النقا والحطيم
صلى عليه الله طول المدى مانح قمري بصوت رخيم
الحمد لله، هذا أمر كتبه الله على بنات آدم، فطيسي نفساً،
وقري عينا؛ بتفضل الله سبحانه - إن شاء الله - عليك بثواب
ما كنت تؤملين فعله.
فقد صحّ قوله صلى الله عليه وسلم: (من هم بحسنة فلم يعملها
كتبت له) (٧)، أي: سواء كان له عذر أو لا؛ ولكنه في المعذور
كهذا أغلى؛ لأنه يكتب له ما كان يعمل قبل حصول العارض.
ففي الصحيح أيضاً؛ أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ما من
أحد من الناس يصاب ببلاء في جسده؛ إلا أمر الله عز وجل
الملائكة الذين يحفظونه بكتاب ما كان يعمل من خير في كل
يوم وليلة له ما دام محبوباً بوثاقه) (٨).

وفي لفظ عنه صلى الله عليه وسلم: (إذا مرض العبد أو سافر
كتب له ما كان يعمل مُقيمًا صحيحًا) (٩).
فإن توجه هذا المبطل بتفويت ما كان نواه وفاته الوقت
المشروع لمن أداه؛ وعمله فيما بعده من الأيام والليالي في
شهره أو غيره كان الثواب أجزل؛ والفضل أشمل؛ ولا شك
أن رب شعبان ورمضان واحد، وهو الإله الواحد، وفضله
وجوده وكرمه للضعفاء من الموحدين في كل يوم: بل لحظة
وارد؛ والأعمال بالنيات والفضل جزيل.

الهوامش:

(١) انظر: "المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي" لمحمد
خير رمضان.

(٢) انظر مصادر ترجمتها: "الضوء اللامع" (١٠٧ - ١١٢)، و"النور السافر
عن القرن العاشر" للعيدروس (ص ١٨٥ - ١٨٧)، و"البدر الطالع" للشوكاني
(٢/ ٢٣ - ٢٤).

(٣) مطبوع متداول في طبقات عدة وتحقيقات مختلفة.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله
عليه وسلم: (حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات). انظر رقم
(٢٨٢٢).

(٥) سورة التغابن، آية: ١١.

(٦) قال السيد نعمان خير الدين الألوسي الحنفي، رحمه الله في "جلاء
العينين"، ص ٥١٦: "وفي جميع متونهم: أن قول الداعي المتوسل: بحق
الأنبياء والأولياء، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام: مكروه كراهة تحریم،
وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد، وعلموا ذلك بقولهم: لأنه لا حق
للمخلوق على الخالق".

(٧) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا
يُرْوَاهُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ،
فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَنْهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِفَعْلٍ كَتَبَهَا
اللَّهُ عَنْهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ
يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَنْهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِفَعْلٍ كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً).
رواه البخاري [رقم: ٦٤٩١]، ومسلم [رقم: ١٣١]، في "صحيحهما".

(٨) أخرجه أحمد (٦٨٢٥)، والدارمي (٢٧٧٠)، والطبراني (١٣/ ٥٤٣)
(١٤٤٣٧) باختلاف يسير. وهو في "صحيح الجامع" برقم (٥٧٦١)،
و"صحيح الترغيب والترهيب" برقم (٣٤٢١) كلاهما للألباني..

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٩٩٦).



الصوت الذي يشبهني



عمار باطويل

لعلَّه بالقرب منك، ولكن بلا جدوى. فظاهرة الصوت الذي يأتيك من بعيد عبارة عن ظاهرة غريبة، قد دونَّها سجلُّ التاريخ الإسلامي عام ٢٣ هجري، عن «سارية الجبل»، وهي قصة حقيقية، حصلت لأُمير المؤمنين عمر بن الخطاب والقائد سارية بن زعيم، الذي كان في بلاد فارس يقاتلُ المشركين، وقد وصل له صوتُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يناديه «يا ساريةُ الجبل، الجبل، مَنْ استرعى الذئبَ الغنمَ فقد ظلم». وربما البعض لا يصدِّقُ مثل هذا الأمر، وقد حدثت هذه الظاهرة للأديب ميخائيل نعيمة شخصياً، وقد دونَّها في كتابه «سبعون»، وسمَّاه «خوارق»؛ حيث يقول: "ولكنَّكَ قد لا تصدِّقُنِي إذا أنا أخبرْتُكَ أنَّني سمعتُ صوتاً من مسافة بعيدة، وبدون أيِّ جهاز، غير الذي جهزْتُني به الطبيعة، والذي لا أعرفُ ما هو، وأين مكانه في جسدي" ... إلى آخره. وكذلك قد حصلتُ معي شخصياً هذه الخوارقُ عندما كنتُ صغيراً، وقد ذهبتُ وقتئذٍ إلى مسافة بعيدة لصيدِ العصافير إذا بصوت أبي يصلُّ إلى مسامعي يناديني: «يا عمار... يا عمار...»، كان صوته يهزُّ كياني وأربكني، ولعلَّ والدي نادى حقاً، ولو نادى والدي فعلاً لن يصلَّ صوته لبعد المسافة، ولكن وصلني، فكيف، ولماذا، ومتى؟ فلستُ أدري؟ وعندما عدتُ أدراجي ملبياً للصوت وجدتُ والدي مُطلاً من شُرْفَةِ الدار منتظراً خطواتي. فاكشفتُ بعد سنوات أنَّ هذه الظاهرة هي الجذورُ التي تمتدُّ فيك وتُشبهُك وتكونُ معك حيثما تكون، فصوت أبي عبارة عن الجذور التي تُغوصُ في أعماقي، والصوت الذي يُشبهني ويُناديني.

ليست كل الأصوات تتشابه، فالشخص الذي يعيش في الأعماق هو جذورك، وجذورك لا تخونك على الإطلاق، فهي ممتدة من مسافات بعيدة تصل إليك. فكل ما يشبهك فهو حقيقة، كحقيقة الهيئة والشكل، وكحقيقة الروح، وكذلك كحقيقة الوجود الإنساني، وكل ما لا يشبهك ابتعد عنه؛ فهو لا يمتُّ لك بصلة. فعندما تسمع صوتاً يناديك من مسافة بعيدة فعليك أن تنصت لهذا الصوت، فقد يكون صادقاً، والصوت الذي يصلُّك من بعيد لا يكذب، ولكن كيف يصلُّ إليك الصوت من مسافة بعيدة ينادي عليك؟ فهناك صوت الأرض وكل ما فيها من هضاب مرتفعة ونجوم متلاثلة في السماء تضيء دربك، وكذلك صوت الأودية عندما تتدفَّق سيولها في أعماقك لترتوي دماؤك بينبوع الحياة. وعلينا ألا نغفل صوت الديار، التي تجسّدُ في جدرانها حياتك؛ فالديار ليست الماضي كما يصفها الآخرون، بل تجسّد الحياة وكلَّ تحولاتها، فعلينا ألا نصف الديار بالماضي؛ فهو وصفٌ سطحيٌّ وعقيم. فهناك أصوات تتشكل في مسيرة حياتك، وبها تميّز خطواتك وترشدها، وقد صوّبت الأصواتُ التي بأعماقي خطواتي نحو بلدي الذي سكن بداخلي، الذي كان يناديني في غربتي، أن أعود إلى جذوري؛ فمن لا جذور له لا بلد ولا أعماق له. فصوت الإنسان هو مرتكز الحياة وخاصةً عندما يناديك من مسافة طويلة، فيهر ذلك الصوتُ كيانتك، وتبحثُ عن مصدره، أو



الأديب والباحث عبدالرحمن الملاحي

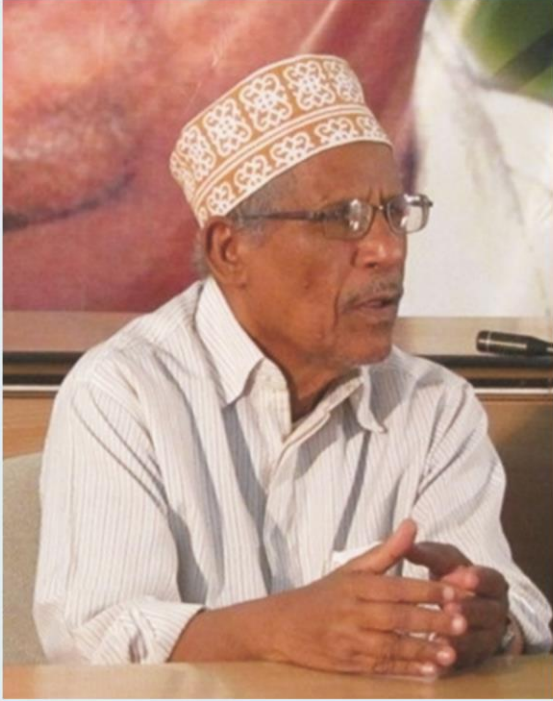
الأولى التي سمعت بها عن الأستاذ الملاحي - رحمه الله - منذ أشهر قليلة للأسف الشديد، وهذا ما ندمت عليه كثيراً، وحزنت عليه أشد الحزن، كنت ذاهباً يوماً ما من مدينة الشحرر الحبيبة إلى مدينة شحير المجاورة للشحرر، برفقة أحد الأصدقاء وفي حين كُنَّا نجلسُ لانتظار سيارة الأجرة التي سنُقلُّنا إلى شحير إذ بي ألتقي بالأخ عبدالله باوزير - حفظه الله -، فدار بيني وبينه حديثٌ شائق جداً عن الثقافة والأدب في حضر موت، وفي أثناء الحديث الذي طال بيني وبينه قال لي: هل تعرف عبدالرحمن الملاحي؟!، فأطرقتُ رأسي قليلاً،

فقلت له: ومن هو هذا الملاحي الذي تتحدث عنه؟! فأجابني: إنَّ الملاحي أحدُ أبرز أدباء ومثقفي حضر موت، له عدد من الدراسات والكتب، التي تتحدث عن الواقع الحضرمي، وهو باحث معروف، فشعرتُ بشيء من الحزن والألم؛ لأنني لم أعرف هذا الشخص إلا متأخراً، فأخذتُ على نفسي من حينها أن أبحث عن هذا الرجل العظيم الذي أهمله الإعلام، وأهمل دوره الكبير، فلم ألتقِ بشخصٍ مهتمٍ بالجانب الثقافي الحضرمي بعد ذلك إلا وسألته عن الملاحي - رحمه الله -، وكنتُ في كل مرة أسمع إجابةً مختلفة، والجميع يشيد بدور هذا الرجل العظيم، وقرأتُ عنه كثيراً



سالمين سعيد بنقح

على مر التاريخ كانت وما زالت حضر موت ولادة للمبدعين من كُتَّاب وشعراء وفقهاء ومثقفين في شتى المجالات، والبعض منهم طُوي اسمه وأصبح طي النسيان؛ وذلك لضعف الجانب الإعلامي، الذي هضم حقوق هؤلاء العظماء، الذين سطوروا الأمجاد، في وقتٍ لم تكن فيه كل هذه الوسائل المتاحة الآن، ولكن ستبقى ذكراهم خالدة في وجدان كل مهتم بالتراث الحضرمي، بكافة أنواعه ومضامينه، من هؤلاء الذين لم يتم إعطاؤهم حقَّهم من الشهرة والتعريف والإبراز للجيل الصاعد الأستاذ الأديب عبدالرحمن الملاحي - رحمه الله -، هذه الهامة الحضرمية الكبيرة التي تباري الشُّهْبَ العالية بثقافتها وعلمها وتواضعها الجَم، كانت المرة



هذا الشخص ليس مجرد شخص عادي، بل هو رجل قضى جزءاً كبيراً من حياته في سبيل خدمة العلم، والتراث الحضري، وإثراء المكتبة الحضرية بالكثير من الكتب، التي تُعدُّ مرجعاً في بابها؛ لأنه أرخَ لمرحلة مهمة في تاريخ حضرموت، مرحلة ربما لم يُعطَ حقها من الاهتمام والبحث، فقدر الله أن يحمل هذه المهمة الأديب الملاحي - رحمه الله -.

كلّي أملٌ أن أرى بعض الاهتمام من قبل أصحاب الشأن بهؤلاء العظماء، الذين أسهموا بشكل كبير في النهضة الأدبية في حضرموت.

حتى استطعتُ أن أكون صورة نمطية عن هذا العالم والباحث، الذي كرّس حياته في سبيل إحياء الساحة الحضرية وإثرائها بكثير من الآداب في مختلف المجالات.

إنّ الأديب الملاحي - رحمه الله - شخصية عظيمة، تستحقُّ منا أن نُسلط الضوء عليها، ونعطيها حقها من الإبراز، ونعرّف الشارع الحضري المعاصر بهذا الأديب الكبير، مرّت عشر سنوات منذ وفاته - رحمه الله -، وقد أقام نادي الشحر الأديبي ندوة يوم الجمعة بتاريخ ٣ / ١١ / ٢٠٢٣م بمناسبة مرور الذكرى العاشرة لوفاته - رحمه الله -، شارك في هذه الندوة عددٌ من الشخصيات، التي ربطتها علاقة بالأديب - رحمه الله -، من هؤلاء الأشخاص الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد بن جसार الجعدي، الذي ربطته بالملاحي علاقة دامت لسنوات عدة، وقد علمتُ أنه صاحبه سنوات عدة، كان فيها قريباً جداً منه، وكنتُ قبل مدة من الزمان أبحثُ في حساب د. الجعدي فوجدتُ له صوراً كثيرة تجمعته بالملاحي رحمه الله -، فعلمتُ من حينها أنه كان مقرباً منه جداً.

ينبغي على السلطة المحلية في محافظة حضرموت تكريم هذه الهامة الكبيرة، وتسلط الضوء عليها، وذلك بتسمية بعض الشوارع باسمه، وتسمية المراكز المهمة في المحافظة باسمه؛ لتُخلّد ذكره في وجدان كل حضرمي وكل يمني؛ لأنّ



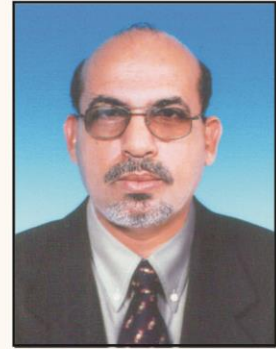


مرثاة

في وفاة الشيخ أمين سعيد عوض باوزير

ودمّع عيني على الخدين أنهارُ
شيخٌ تقى له في العلم آثارُ
علت بهم في سماء العلم أمصارُ
وسيفه في سباق العلم بتارُ
قد أعلن الشيخ عنها أنها دارُ
غير الذي حثّه عزّم وإصرارُ
على يد الشيخ حفاظٌ وأنصارُ
فهي النجوم ترى أم تلك أقمارُ
له مع الليل في الآفاق أنوارُ
سرّ أمين له في الخلق أسرارُ
أرض العلوم وفيها النبع مدرارُ
والعلم جسراً له مبنى وإعمارُ
إلى كريت حيث الدار والجارُ
له نقوشٌ وموروثٌ وآثارُ
بالخير ينعم والديان يختارُ

تكفكف الدمع عيني وهي تحتارُ
تبكي الفقيه الذي قد كان قدوتنا
تتلمذت في ديار العلم كوكبة
له كتابٌ مع التجويد ألقنه
يسموبه في العلا نوراً ومدرسةً
دار العلوم ومن هذا ينافسها
فقد تخرج فيها خير نخبتها
كم من رجال وكم من نسوة كمعت
فالشيخ شمس يهاب النجم مطلعها
شيخ له العز والمقدار قد شهدا
في الغيل في بلدة الأمجاد مولده
أرض الوفاء وفي الوجدان ساكنة
وغادر الشيخ أرض العلم متجهاً
يا من له في ديار الغيل بصمته
جاء المنون وقد لاقاه مبتسماً



شعر

حسين عبدالله بامطرف

٣ / ١٢ / ٢٠٢٣م

(أَتَغَاغَا كَالطِّفْلِ)



أكرم بن عبدالكريم بايماني

رَوَّنَ عَلَى قَلْبِي بِشَوْقٍ مُتِمِّمٍ
لِمَلِيحَةٍ حَسَنَاءَ كَانَتْ مَغْنَمِي
عَرَفَا عَلَى أَوْتَارِ حَبِّ مَفْعَمٍ
يَا لَيْتَهَا حَلَّتْ لِبَاسَ الْمُحَرِّمِ
حَقًّا كَأَنَّ خِضَابَهَا أَتْرَجَةٌ
نَفَسًا عَلَى أَرْدَانِهَا بِالْبَلَسَمِ
بَلْ سُرِبَلَتْ أَطْرَافُهَا مَخْضُوبَةً
بِالْوَرَسِ مَشْرُوبًا بِلَوْنٍ مِنْ دَمِي
وَأَتَتْ مُحَجَّلَةً أَسَاوِرَ مِعْصَمٍ
وَحَلَاخِلًا فِي السَّاقِ هَزَّتْ مِعْصَمِي
فَاجْتَابَهَا مِنِّي حَنِينٌ كَالَّذِي
بَيْنَ الْمَلُوحِ قَيْسَ لَيْلَى الْمُغَرِّمِ
الْحُبُّ يَرْقِصُ فِي خِيَالِي كَأَنِّي
طِفْلٌ يَدَاعِبُ دُمِيَّةً كَالْأَعْجَمِ
لَا الدُّمِيَّةُ الْبَلَهَاءُ قَالَتْ حِكْمَةً
لَا الطِّفْلُ أَفْهَمَهَا وَلَمَّا تَفْهَمُ
فَدَعَابَةُ الطِّفْلِ الْبَرِّي لِدُمِيَّةٍ
عَجَمَاءَ تَحْكِي حَالَةَ الْمُنْتَمِمِ
وَأَنَا الْمُتَمِمُّ عِنْدَ ذِكْرِ حَبِيبَتِي
أَتَغَاغَا كَالطِّفْلِ الْبَرِّي مِنَ الْفَمِ
وَالْحُبُّ الْفَانِي بِحُضْنِ سَنِيَّتِي
كَالطِّفْلِ الْفَاهِ غَرِيفًا فِي الْيَمِّ
عُذْرًا فَسِرَ الْحُبُّ غَيْبٌ يَرْتَجِي
إِنْ يَحْسِبِ الْعُقَلَاءُ عَدَّ الْأَنْجَمِ

قصة قصيرة

حفلة



صالح بحرق

دُعِيتُ لحضور حفلة مرموقة،
أخذت الدعوة معي لأنني أجهل العنوان، نزلت من الحافلة التي
أقلتني، وقرأت الدعوة: حفل توقيع رواية العشاق يأتون قبل الفجر،
المكان: صالة المتنبى، الزمان: الساعة العاشرة. تقاطع شارع الأمل.
فأسرعت السير، وقبلها كنت قد اشتريت علبة شوكولاتة؛ فأنا
مغرم بها جداً، وسبب ذلك أن حبيبتي تعشقها، فكنت ألتهمها
وأنا أمشي، وعيني على الإعلانات، حتى صادفتني لائحة
أرجوانية: صالة المتنبى، فدخلت حتى وصلت الدور الثالث،
وولجت الصالة متعباً من الدرج، رميت بأوراقي وجوالي، وهي
عادة أفعلها دائماً عندما أكون متعباً.
كانت الصالة خالية من المدعوين، باستثناء رجل أشيب، لا يكثر
بأحد.. كان كل شيء مرتباً ومُعَدَّ في الصالة، لكن المشاركين في
حفل التوقيع لا وجود لهم!، فهل هذه الصالة لحفل توقيع كتاب
آخر؟! ما الذي يجري؟! وتمددت على إحدى المقاعد، ونظرت
إلى السقف، وهي عادة أفعلها كلما تمددت على ظهري، وعندما
أفقت وجدت ثمة أشخاصاً قد دخلوا الصالة، وأنا لم أنتبه لهم،
وغال بهم من البنات، واستويتُ جالساً، كانت صورة غلاف الرواية
أمامي، وبدأ الجمهور يصل تباعاً، حتى امتلأت تماماً، وصعد على
المنصة المكلّفون، وبعدهم بقليل صعد ذلك الرجل الأشيب؛
فقد كان هو كاتب الرواية: العشاق يأتون قبل الفجر.

"قرب حطبك وماك ورزقك على مولاك"

ظاهر المثل، الذي يتقدم فيه الحطب على الرزق، ولأن درجات الإيمان متفاوتة عند (المؤمنين)، فإنه تتراوح لديهم المسافة بين ثنائية المثل بحسب قوة الإيمان العامر في القلوب، ففي الحد الأدنى نجد من يعوّل على الأسباب، ويغفل عن ذكر رب الأسباب.

وصيغة المثل ودلالاته قابلة للاستمرار في الثقافة الشعبية، ليس فقط من حيث شعريته، وسلاسة نطقه، بل أيضاً لأنه صار نصيحة حكيمة لا غنى عنها للمطامحين في تغيير حياتهم إلى الأفضل، وذلك بالتقاط الفرص، التي غالباً لا يفوز بها إلا من هياً نفسه وإمكاناته في المسارات الصائبة، فعلى سبيل المثال تجد زملاء في تخصص معين، أو مرحلة دراسية معينة، وفجأة يذاع إعلان للتنافس على منحة دراسية، أو وظيفة مرموقة خلال مدة معينة، وبشروط متاحة، فمن هو مستعد بالمتطلبات والشهادات المطلوبة (الحطب والماء) يكون حظه بالفوز أوفر، ولهذا فإن النجاح كما هو أولاً توفيق رباني، فهو أيضاً استعداد ذكي، وتنظيم يقظ، ورؤية واضحة.

وإذا عرّجنا بالمثل في حاضر حاضر موت وتاريخها نجد رغبة ملحّة عند الحضارمة للاستفادة من خيرات بلادهم الربانية، وتوحيد كلمتهم، لكن تكمن مشكلة الحضارمة العابرة للعصور ليس في قلة الحطب، ولا في ندرة المياه، ولا من نقص في إيمان عندهم؛ إنما العلة في فارق توقيت الاستعداد لتقريب (الحطب والماء)، فتارة لا يكونون مستعدين الاستعداد المنظم، وتارة يتحركون بعد فوات الأوان، وتارة يتزودون بماء مكشوف، وبحطب بال، وهكذا حالهم سنين بعد سنين، وأعواماً بعد أعوام، في دوامة أنهمكتهم، ولا مجال للخروج منها إلا بقلوب طاهرة، وعقول متحررة، وباستعدادات محسوبة بدقة مكاناً وزماناً، أما رزق الله فهو الحقيقة الثابتة الذي سيناله من قدر له، واستحققه بجدارة.



أ. د. عبدالله سعيد بن جَسَّار الجعدي

يبحث هذا المثل الشعبي (التفاؤلي - الإيماني) على الأخذ بالأسباب، مع الثقة بأن رزق الله وعطاءه آت لا ريب فيه، وهو خطاب أو دعوة من طرف لطرف آخر أو من طرف لنفسه.

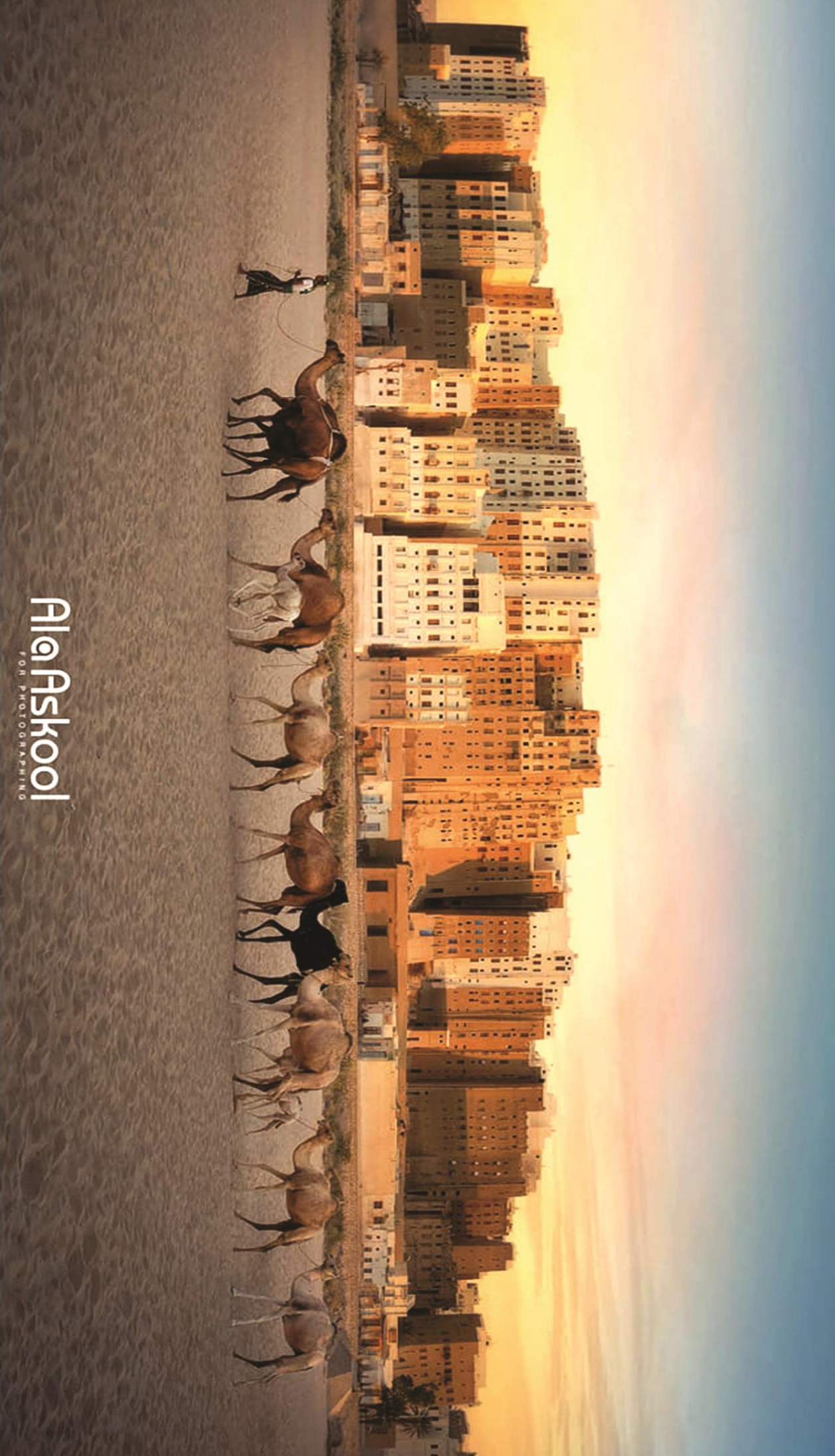
وقرب أو (حرب) فعل أمر (نصائحي) مسالم، وتاريخياً يرتبط المثل بالمجتمعات الفقيرة أو الأسر ذات الدخل المحدود، المرتبط رزقها بالعمل اليومي، لكنه كغالب الأمثال غادر فكرته المباشرة، وتغلغل في بعض تفاصيل حياة الناس، الذين يستحضرونه لتوجيه المسارات، وغرس بذرة الأمل، وتعزيز الطمأنينة.

ويشير المثل إلى ثنائية تكاملية (الحطب والماء) (الرزق على الله) الأولى فكرة حاضرة منتظرة، والثانية رؤية غائبة قادمة، لكن عند قراءة المثل بالبعد الإيماني العميق سنجد كتلة واحدة متداخلة، خاصة عند أولئك المتوكلين على الله، الموقنين بقدرته على الاستجابة، فاستعداد هؤلاء (بالماء والحطب) يسبقه اعتقاد راسخ في دواخلهم بأن الرزق بيد الله، وأن السعي إليه هو أمر الله، وفي صيغة مقارنة يقال في الأثر: "منك الحركة ومني البركة"، ولهذا يأتي عندهم (الحطب والماء)؛ بوصفه فكرة لاحقة عكس



2023

لوحة للفنان
أصيل حسين صالح الحامد



AlaAskool
FOR PHOTOGRAPHING

صورة لمدينة شبام التاريخية التي أصبحت في مقر الأمم المتحدة بنيويورك
تصوير المصور علاء عسكول